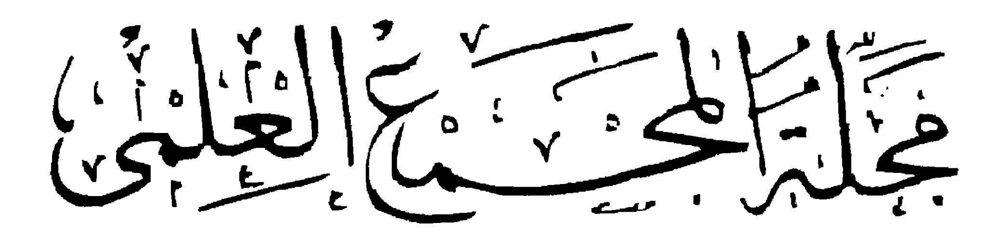

المجمع العلمي العراقي
بغداد
مجلة المجمع العلمي





فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

الجزء الثالث ـ المجلد الواحد والستون

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

ضوابط النشر

١- تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢- لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣- يشترط في البحث أن لا يكون قد نشر أو قدم للنشر في مجلة اخرى .

٤- تعرض البحوث المقدّمة للنشر في المجلّة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥- هيئة تحرير المجلة غير ملزمة برد البحوث الى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر .

٦- يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات الاتية :

أ. ان يكون مطبوعا على الحاسوب ومخزونا على قرص CD ومرفق بنسخة ورقية .

ب. ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل إسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

ت. يجب أن لايزيد عدد الصفحات على (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لا يتجاوز (٧٥٠٠) سبعة الآف وخمسمائة كلمة .

ث. أن يكون مستوفيا للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقا تاما حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي.

ج. يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو الصور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار إلى المصدر إذا كانت مقتبسة .

ح. يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والانكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص .

خ. تكتب الكلمات الدالة باللغة الإنكليزية .

د. ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربيا .

٧- يعطى صاحب البحث (عند نشره) ثلاث نسخ من المجلة مع عشر مستلات من بحثه مع مكافأة تقديرية وفق نظام المكافآت المعمول به في المجمع العلمي .

البحوث لاتعبّر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

توجه البحوث والمراسلات إلى رئيس تحرير مجلة المجمع العلمي

iraqacademy@yahoo.com

journalacademy@yahoo.com

الاشتراكات: داخل العراق (٢٠٠٠٠) الف دينار سنويا.

خارج العراق (١٠٠) دولار أمريكي سنويا.

محتويـــــات

الجزء الثالث / المجلد الواحد والســتون

شرح الكافية البديعية(*)

الدكتور احمد مطلوب
رئيس المجمع العلمي – بغداد

الملخص :

لم يكن الاسلام عقيدة وشريعة فحسب ، وإنما كان روحا سمت بالانسان الى أرفع ما في الوجود من قيم عالية ومعان سامية ، وكان يسعى بين عينيه نور السماء ، ويقين القلب المؤمن ، والنفس الراضية المرضية .

كان من أثر ذلك أن عمرت القلوب والنفوس محبة هذا الدين والايمان بمن أرسله الله – تعالى – للعالمين مبشرا ونذيرا ، وأخذت نفحاته تسري ، وتتمثل في الشعر الذي صدح بمدح الرسول الأعظم ، وكثرت المدائح النبوية ، وتغنى الشعراء بفضائل النبي المختار ، وظهرت (البديعيات) وهي لون من هذه المدائح الحافلة بألوان البديع .

كان (صفي الدين الحلي) من أشهر شعراء (البديعيات) إذ نظم قصيدة في مدح نبي الله ، وشرحها في كتاب (شرح الكافية البديعية) الذي كثرت مخطوطاته وطبعاته ، ففي سنة ١٨٩٨م ظهرت نشرة (المطبعة العلمية) وفي سنة ١٩٨٣م ظهرت طبعة جديدة بتحقيق الدكتور (نسيب نشاوي) أعقبتها سنة ٢٠٠٤م طبعة أخرى بتحقيق

(*) نشر قسم من هذه الورقة في (مجلة المجمع العلمي العراقي) سنة ١٩٨٧م .

الدكتور (رشيد عبد الرحمن العبيدي) وكلتاهما اتخذت من أصول التحقيق سبيلا ، فكانتا خير هدية للمؤمنين بالله ورسوله – عليه أفضل الصلاة والسلام – .

وهذه الورقة تلقي الضوء على جهود المحققين ، وتبين أهمية كتاب (صفي الدين) لما فيه من قدرة على تطويع الشعر للتعبير عن المعاني السامية وفضائل الرسول الأكرم ، وذكر النوع البديعي في كل بيت ، وليس هذا بهين ، ولكن (صفي الدين) كان شاعرا مبرزا ، ولم يستطع من جاراه في نظم البديعيات أن يصل الى ما وصل اليه من دقة في النظم ، وروعة في التصوير .

(١)

شهد القرن السابع للهجرة لونا جديدا من التأليف في البلاغة هو ((البديعيات)) التي كانت قصائد تتضمن فنونا بلاغية في مدح النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – وهي من بحر البسيط وعلى روي الميم كقصيدة البوصيري التي مطلعها :

أمن تذكر جيران بذي سلَمِ   مزجت دمعا جرى من مقلةٍ بدمِ

والبديعيات كثيرة أحصى منها الدكتور (احمد ابراهيم موسى) أربعا وأربعين[١] ، منها ما هو مشروح ، ومنها ما هو مجرد ، ومنها ما هو مطبوع ، ومنها ما هو مخطوط . وقد اختلف الباحثون في نشأتها فذهب الدكتور (زكي مبارك)[٢] الى أن أبا عبد الله محمد بن احمد المعروف بابن جابر الأندلسي (– ٧٨٠هـ)أبتكرها ورسم أصولها . وذهب ابن معصوم المدني الى أن صفي الدين الحلي (– ٧٥٢هـ) أول من نظم البديعيات ، ثم استدرك وقال : إن (الشيخ علي بن عثمان بن علي بن سليمان أمين الدين السليماني الاربلي الصوفي (– ٦٧٠هـ) نظم قصيدة لامية ضمنها ألوانا من البديع ومطلعها :

بعض هذه الدلال والادلالِ   حال بالهجر والتجنُّب حالي[٣]

---

[١] الصبغ البديعي في اللغة العربية ص ٣٨٠ . (القاهرة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م) .

[٢] المدائح النبوية ص ٢٠٤ . (القاهرة ١٩٦٧م) .

[٣] فوات الوفيات لابن شاكر الكبتي ج٢ ص١١٨ . (القاهرة تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ١٩٥١م) .

وقال : إنه لا يتحقق أن صفي الدين أول من نظم على الوزن البسط وروي الميم ؛ لان (ابن جابر الاندلسي الأعمى (– ٧٨٠هـ) الذي كان معاصرا للصفي نظم بديعيته المعروفة ببديعية العميان[٤] .

ورجَّح الدكتور (جواد علوش) أن يكون صفي الدين أسبق من ابن جابر ؛ لانه توفي قبله ، وان (ابن حجة الحموي) اعترف باسبقيته في عدة مواضع من خزانته[٥] . وليس هذا دليلا قاطعا ، فقد يكون (ابن جابر) أسبق لانه كان قد تخطى الخمسين حين مات (الحلي) ولعله نظمها في هذه السن أو قبل ذلك بكثير فيكون له السبق في هذا المضمار .

ومهما يكن من أمر فقد اشتهرت بديعية (صفي الدين) ومطلعها :

إن جئْتَ سلْعا فسَلْ عن جيرة العَلَمِ　　واقرا السلامَ على عُرْبٍ بذي سَلَمِ

وروى الحلي[٦] قصة هذه البديعية فقال : إنه طالع سبعين كتابا في البلاغة ، وجمع ما فيها من فنون ؛ وأضاف اليها ما استخرجه من أشعار القدماء ، وعزم على تأليف كتاب يحيط بجلها فعرضت له علّة طالت مدتها وامتدت شدتها ، واتفق له أن رأى في المنام رسالة من النبي – عليه أفضل السلام – يتقاضاه المدح ويعده البرء من السقام ، فعدل عن تأليف الكتاب الى نظم قصيدة تجمع أشتات البديع وتتطرز بمدح مجده الرفيع ، فنظم مائة وخمسة وأربعين بيتا في بحر البسيط تشتمل على مائة وواحد وخمسين نوعا

---

(٤) انوار الربيع ج١ ص٣١ . (تحقيق شاكر هادي شكر – النجف ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م)

(٥) شعر صفي الدين الحلي ص١٢٦ . (بغداد ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م) .

(٦) شرح الكافية البديعية ص٥٤ .

من محاسنه ، ومن عدّ جملة أصناف التجنيس بواحد كانت عنده العدة مائة واربعين نوعا ، فانّ في السبعة الأبيات الاوائل منها اثني عشر صنفا منه ، وجعل كل بيت مثالا شاهدا لذلك النوع . وربما اتفق في البيت الواحد منها النوعان والثلاثة بحسب انسجام القريحة في النظم والمعتمد منها على ما أسس البيت عليه . ثم أخلاها من الأنواع التي اخترعها واقتصر على نظم الجملة التي جمعها ، وألزم نفسه في نظمها عدم التكلف والجري على ما أخذ به نفسه من رقة اللفظ وسهولته ، وقوة المعنى وصحته ، وبراعة المطلع والمنزع ، وحسن المطلب والمقطع ، وتمكن قوافيها .

وشرحها بكتاب ((شرحا لطيفا لم يوف بالمقاصد ولا أبان عما في النفس من الخبايا . بل ترك ذلك مهملا بل ربما لم يصب في بعض الأنواع))[٧] . واهتم الأدباء بها ، وشرحها (عبد الغني النابلسي) بكتاب سماه ((الجوهر السني في شرح بديعية الصفي)) وأثنى عليها (ابن حجة الحموي) في خزانته وفضلها على البديعيات الأخرى وقال في مدح ناظمها : ((وما ألمّ بالملفق أحد من أصحاب البديعيات غير الشيخ (صفي الدين الحلي) وما ذاك إلا انه قال في خطبة بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا في هذا الفن . وهذا دليل على أنه لما عارضه (الشيخ عز الدين) والتزم تسمية الانواع التي ذكرها الشيخ (صفي الدين) لم يجد بدًا من نظمه لأجل المعارضة . ولكن نحت فيه بيتا من الجبال))[٨] . ووازن بينها وبين بديعية (الموصلي) وقال : ((والشيخ (صفي الدين الحلي) أجاد في الغالب

---

[٧] نفحات الازهار لعبد الغني النابلسي ص٣ . (ط٣ – بيروت ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م) .

[٨] خزانة الأدب لابن حجة الحموي ص ٢٧ . (القاهرة ١٣٠٤هـ) .

لخلاصه من التورية في تسمية النوع ، ولكنه قَصَّرَ في مواضع نبهت عليها في مظانها . والشيخ (عز الدين) – رحمه الله – قصَّر في غالب بديعيته لالتزامه بتسمية النوع البديعي ومراعاة التورية))[9] . ومن إعجابه بالحلي قلّده وجاراه وحذا حذوه ، قال مفتخرا ببديعيته : (فجاءت بديعية هدمْتُ بها ما نحته الموصلي في بيوته من الجبال ، وجاريتُ الصفي مقيدا بتسمية النوع وهو في ذلك محلول العقال))[10] .

وكتاب (الحلي) ذو أهمية في الدراسات البلاغية :

١- إنه من أقدم البديعيات إن لم يكن أولها .

٢- إنه خلاصة سبعين كتابا قرأها (الحلي) واستخلص منها مادته .

٣- إن (الحلي) ناقش الآراء ، وردّ ما لم يره حسنا مقبولا .

٤- إنه وافق ما رآه من الآراء مقبولا .

٥- إن الكتاب ضم نصوصا أدبية رفيعة تهذب الذوق .

٦- إنه كان دافعا الى نظم البديعيات وشرحها .

طبع الكتاب باسم ((شرح بديعية صفي الدين الحلي)) سنة ١٣١٦هـ ١٨٩٨م وأصبح في عداد المخطوطات ، وظل الباحثون ينتظرون مَنْ ينهد لتحقيقه حتى قيّض الله له الدكتور (نسيب نشاوي) فعكف عليه دارسا ومحققا ، وأخرجه مجمع اللغة العربية بدمشق في ٤٨٠ صفحة سنة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، فكان خير هدية للدارسين .

---

[9] خزانة الأدب ص٤٦٧ .

[10] خزانة الأدب ص٣ .

عرفتُ الدكتور (نسيب نشاوي) باحثا في الأدب الحديث وحين التقيته في المؤتمر الثاني للرابطة العربية للأدب المقارن بجامعة دمشق في تموز ١٩٨٦- عرفتُ أنه يجمع بين القديم والجديد ، وأنه أصدر ((شرح الكافية البديعية)) للحلي ، والجزء التاسع من ((مختصر تأريخ دمشق لابن عساكر)) لابن منظور سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م . وسررتُ بمعاصرة تستند الى تراث أصيل ، وأهداني الدكتور (نسيب) الكتابين وكان سروري بكتاب (الحلي) عظيما لاني كنت مشتاقا الى رؤيته منذ سنين .

قام الدكتور (نسيب نشاوي) بتحقيق كتاب ((شرح الكافية البديعية)) خير قيام ، وقدّم له بمقدمة تحدث فيها عن مادته وقيمته ، وأثره في البديع ، وترجم لصفي الدين ، وأحاط بآثاره الشعرية والنثرية . ووصف النسخ المعتمدة في التحقيق وهي :

١- نسخة الظاهرية التي كُتبت سنة ٨٤٩هـ ، وقد اتخذها المحقق أصلا لدقة روايتها ، وخلوها من التصحيف .

٢- نسخة الظاهرية التي كُتبت سنة ٧٦٦هـ ، وهي أقل من الأولى أهمية لأن فيها سقطا .

٣- نسخة المركز الثقافي بحماة التي كتبت سنة ١٠٠٨هـ .

٤- نسخة مكتبة الاوقاف العامة ببغداد ، وهي ناقصة غير مشكولة .

٥- النسخة المطبوعة عام ١٣١٦هـ - ١٨٩٨م .

هذا ما كان من أمر التقديم ، أما النص فقد بذل فيه الدكتور (نسيب) جهدا كبيرا يدل على حرص عظيم . وكان في تحقيقه يسعى الى إثبات الرواية الصحيحة للمؤلف . وترتيب الأبواب والفقرات بحسب ورودها

في الأصول ، ووضع ما أضاف اليها بين هلالين معقوفين ، والتخفف من شكل الالفاظ المثلثة ، وشكل ما يحتاج الى شكل ولاسيما آيات الذكر الحكيم ، وحرف الروي ، والتدقيق في شكل الحروف التي تحتمل وجهين ، والاشارة الى الفروق بين النسخ حين يكون ذلك مفيدا ، وكتابة بعض الشروح لتفسير لفظة أو جملة ، وتخريج الأبيات والأخبار ، والتعريف ببعض الاعلام ، ووضع فهارس الآيات والاشعار والأعلام والكتب والموضوعات .

هذه هي سبيل المحققين ، غير ان الدكتور (نسيب) اهتم بالتخريج اكثر من اهتمامه بالنص والفنون البلاغية . وكنت قد دعوت قبل سنوات الى أن تتخفف علوم اللغة العربية من التعليقات الطويلة والتخريجات الكثيرة ، وأن يُعنى المحقق بمادة الكتاب ليكون أعظم فائدة واكثر نفعا[1] .

إن عناية الدكتور (نسيب) بكتاب (الحلي) كانت عظيمة ، وهناك ملاحظات عرضت لي في اثناء قراءة الكتاب وهي :

١ - إن مقدمة التحقيق موجزة ، وكنت أود أن تعرض للبديعيات وتوازن بينها ، وتضع بديعية (الحلي) حيث ينبغي لها أن توضع بين البديعيات .

٢- إن ترجمة المؤلف جاءت طويلة ، وليس (الحلي) ممن يُعرَّف به هذا التعريف وقد طبقت شهرته الآفاق .

---

[1] ينظر (نظرة في تحقيق الكتب - علوم اللغة والأدب) المنشور في مجلة معهد المخطوطات العربية (المجلد الأول - الجزء الأول) ص٤١ . (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) .

٣- إن المحقق لم يتخذ كتب البلاغة – ولاسيما البديعيات – أساسا في تحقيقه ، وقد نجم عن ذلك أنه لم يشر الى المصادر التي استقى منها (صفي الدين) إلا قليلا . والاشارة الى المصادر في مثل هذا اللون من الكتب ضروري للتأكد من سلامة النص المنقول ودقته ، ومن صحة النسبة الى القدماء . ومن أوضح الأمثلة ما جاء في أول الكتاب :

((فان أحق العلوم بالتقديم ، وأجدرها بالاقتباس والتعليم بعد معرفة الله العظيم ، معرفة حقائق كلامه الكريم ، وفهم ما أنزل في الذكر الحكيم لتؤمن غائلة الشك والتوهيم ، ((أَفَمَنْ يَمْشي مُكِبًّا على وَجْهه أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشي سويًا على صِراط مُسْتَقيم)) . ولا سبيل الى ذلك إلاّ بمعرفة علم البلاغة وتوابعها من محاسن البديع اللتين بهما يُعرف وجه إعجاز القران وصحة نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – بالدليل والبرهان))[١٢] . وهذا يُذكِّر بكلام (أبي هلال العسكري) : ((إنّ أَحَقَّ العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه – علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به يُعرف إعجاز كتاب الله تعالى ، الناطق بالحق ، الهادي الى سبيل الرشد ، المدلول به على صحة الرسالة وصحة النبوة))[١٣] . ومثل عبارة ((اختيار المرء شاهد

---

[١٢] شرح الكافية البديعية ص٥١ .

[١٣] كتاب الصناعتين لابي هلال العسكري ص١ . (تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢ .

عقله ، وشعره شاهد فضله))[١٤] ، وهي قريبة مما ذكره (العسكري) :
((اختيار الرجل قطعة من عقله كما أن شعره قطعة من علمه)) .[١٥]

٤- إن المحقق أسرف في تخريج الشواهد ، والمعروف أن يكتفي بالاشارة الى ديوان الشاعر ، فان لم يكن له ديوان فيشار الى أقدم مصدر . ولو فعل المحقق ذلك لصرف جهده الى العناية بما في الكتاب من مادة علمية .

٥- إن الدكتور (نسيب) لم يحقق أقوال الحلي مثل ((وسماه قوم)) و ((قليل من أفرد هذا الصنف)) و ((في تسميته اختلاف كثير)) و ((قال البديعيون)) وغير ذلك مما يكمل الكتاب ، ويحقق الأقوال .

٦- إن المحقق يذكر عند كل علم يرد أن ((ترجمته في ملحق تراجم الأعلام)) وعبارته في المقدمة ((وقد جمعت التعريفات في آخر الكتاب منسوقة على حروف المعجم)) تغني عن مئات الإشارات التي ناءت بحملها هوامش الكتاب .

٧- إن بعض المواضع تفتقر الى التكملة في الهامش مثل إشارة (الحلي) الى ما لرد العجز على الصدر من ضروب .

٨- إن المحقق يرجع أحيانا الى الكتب الحديثة كما في أبيات ديك الجن :

قولي لطيفك ينثني ... عن مضجعي عند المنام[١٦]

والرجوع الى المصادر أولى .

---

[١٤] شرح الكافية البديعية ص٥٦ .

[١٥] كتاب الصناعتين ص٣ .

[١٦] تنظر الأبيات في خزانة الأدب للحموي ص٧٨ .

٩- إن المحقق فصّل القول في مصادر (الحلي) وفاتته بعض طبعاتها مثل : [١٧]

(البرهان في وجوه البيان) لابن وهب الكاتب الذي طبع ببغداد عام ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م بتحقيق الدكتور (احمد مطلوب) والدكتورة (خديجة الحديثي) وهو النسخة الكاملة لنقد النثر المنسوب الى (قدامة بن جعفر) و (حلية المحاضرة في صناعة الشعر) للحاتمي الذي له طبعة أُخرى صدرت ببيروت عام ١٩٧٨م بتحقيق (هلال ناجي) .

و (المنصف) لابن وكيع الذي طبع في (دمشق) سنة ١٩٨٢ بتحقيق الدكتور (محمد رضوان الداية) وفي (الكويت) عام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م بتحقيق الدكتور (محمد يوسف نجم) .

و (تلخيص البيان في مجازات القرآن) للشريف الرضي الذي طبع في (بغداد) سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م بتصحيح (مكي السيد جاسم) .

و (الاقناع في العروض وتخريج القوافي) للصاحب بن عباد الذي طبع ببغداد عام ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م بتحقيق (محمد حسن آل ياسين) .

و (مفتاح العلوم) للسكاكي الذي طبع في (بغداد) سنة ١٩٨٢ بتحقيق الدكتور (اكرم عثمان يوسف) .

---

[١٧] لعل عذره انه قدّم الكتاب منذ مدة طويلة الى المطبعة وان بعض الطبعات صدرت بعد طبعه .

و (كتاب الخراج وصناعة الكتابة) لقدامة بن جعفر الذي طبع في (بغداد) سنة ١٩٨١ بتحقيق الدكتور (محمد حسين الزبيدي) .

و (البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن) لابن الزملكاني الذي طبع في (بغداد) سنة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م بتحقيق الدكتور (احمد مطلوب) و الدكتورة (خديجة الحديثي) .

و (عيار الشعر) لابن طباطبا العلوي الذي طبع في (القاهرة) بتحقيق الدكتور (طه الحاجري) والدكتور (محمد زغلول سلام) وطبع في (الرياض) سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م بتحقيق الدكتور (عبد العزيز بن ناصر المانع) .

و (المصباح) لبدر الدين بن مالك الذي طبع في (القاهرة) سنة ١٣٠٢هـ .

و(كتاب العاطل الحالي والمرخص الغالي) لصفي الدين الحلي الذي ظهرت طبعته الجديدة في (القاهرة) سنة ١٩٨١بتحقيق الدكتور (حسين نصار) .

١٠- إن مصادر التحقيق البلاغية قليلة مما ضيق آفاق التحقيق .

هذه نظرة في كتاب ((شرح الكافية البديعية)) لصفي الدين الحلي ولا تقلل الملاحظات التي عرضت لي من عمل المحقق الذي بذل جهدا عظيما ؛ وحسبه أنه وضع هذا السفر بين أيدي الباحثين . وتبقى الملاحظات بعد ذلك وجهة نظر ، لأن لكل محقق طريقته ولكل باحث منهجه ، ولعل ما أشرت اليه يمثل وجهة نظري في تحقيق كتب البلاغة ، وهي وجهة تدعو الى الاهتمام بمادة الكتاب وبما فيه من

آراء وموازنتها بما في الكتب الاخرى لتظهر أهمية الكتاب ويأخذ موقعه في التراث العربي الخالد .

(٢)

صدرت طبعة الدكتور (نسيب نشاوي) لكتاب (شرح الكافية البديعية) لصفي الدين الحلي سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م[١٨] عن (مجمع اللغة العربية) بدمشق ، ولا أظن أنها وصلت الى (العراق) في تلك الأعوام للظروف والمواقف المختلفة آنذاك ، وحصلتُ عن نسخة من الكتاب هدية من المحقق الذي جمعني به (مؤتمر النقد المقارن الثاني) الذي عقد في (دمشق) في تموز ١٩٨٦م .

كانت هذه الطبعة أول ما صدر من الكتاب في القرن العشرين وكانت الطبعة الأولى قد صدرت في (مصر) - المطبعة العلمية - سنة ١٣١٦هـ - ١٨٩٨م ، وتعدان هاتان الطبعتان نادرتين في هذه الأيام ، ولذلك نهد الاستاذ الدكتور (رشيد عبد الرحمن العبيدي) - ١٩٤٠ - ٢٠٠٨م - الى تحقيق الكتاب تحقيقا علميا وأصدره (ديوان الوقف السني) سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، وبذلك تيسر الكتاب للقراء والباحثين في (العراق) .

---

[١٨] هذا ما كتب على غلاف الكتاب ، أما في الصفحة الأولى منه فقد ذكر أنه طبع سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

المرحوم الدكتور (رشيد) ممن عرفوا في البحث والتحقيق ، فهو استاذ بارع فيهما ، ومن هنا تأتي أهمية تحقيق كتاب (شرح الكافية البديعية) تحقيقا علميا مستندا الى أصول التحقيق المعروفة ، وكانت أمامه عند التحقيق الطبعة الأولى من الكتاب ، وهي ((طبعة وقع فيها الكثير من التحريف والتغيير)) إلا إنها أفادته ((في تحقيق نص الشرح)) ، وهذه الطبعة في ثلاث وسبعين صفحة ، ووضع على جلدها عنوان (كتاب شرح بديعية صفي الدين الحلي لناظمها - رحمه الله - وقد أشار اليها الدكتور (رشيد) بالرمز (ط) .

واعتمد على مخطوطتين للكتاب وهما محفوظتان في (مكتبة الأوقاف) في (العراق) وقد اتخذ الأولى أصلا ، وتقع في تسع وثلاثين ورقة ، وعليها تملك ((الفقير اليه مفتي زاده ، نعمان خير الدين الآلوسي سنة ١٢٧٧هـ وعليها ختم ((وقف المكتبة النعمانية في المدرسة المرجانية)) ، وهي نسخة مضبوطة واضحة الخط لم ينقص منها شيء ، وكانت هي الأصل الذي انتسخه الدكتور (رشيد) .

والنسخة الثانية مصابة بنقص من آخرها يقرب من خمس الكتاب وقد أشار اليها بالرمز (ن) .

وأشار الى طبعة الدكتور (نسيب نشاوي) وقال : ((نشر الشرح نشرا علميا في (سورية) حاولنا أن نقابل بين تحقيقنا وما ورد في هذه النشرة ، وأثبتنا ما وقع من اختلاف بين نشرتنا والنشرة السورية))[19] ولكن

---

[19] ينظر شرح الكافية البديعية - تحقيق الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي ص٦٣ - ٦٤ .

لم يظهر هذا في الكتاب ، وإنما كانت الاشارة الى الطبقة القديمة التي رمز لها بالحرف (ط) .

وكان الدكتور (نسيب نشاوي) قد اعتمد في تحقيق الكتاب على خمس نسخ منها نسختان في المكتبة الظاهرية بدمشق ، ونسخة (المركز الثقافي) في (حماة) والنسخة المطبوعة سنة ١٣١٦هـ - ١٨٩٨م ، ونسخة (مكتبة مديرية الأوقاف ببغداد ، وهي نسخة ناقصة غير مشكولة .[٢٠]

نهج الدكتور (رشيد) في تحقيق الكتاب نهج أصول التحقيق المعروفة ، فهو قد قابل بين النصوص ، وراجع كتب البلاغة ، وأشار الى مصادر كل نوع بديعي ، ووثق النصوص الواردة في نص الشرح ، وذكر مظان ذكرها ، ووضع رقما لتسلسل أبيات (البديعية) ، ونسب الأبيات الشعرية المستشهد بها الى بحورها وحرص على ضبط المفردات التي تحتاج الى شكلها بالحركات .

كان الدكتور (رشيد) - رحمه الله - معجبا بالبديعية فقال في إهدائها : ((أيها الهائمون بحب محمد - صلى الله عليه وسلم - :

هذه بديعية تزيد في هيامكم ، وتحكم تمسككم به ، فهي مهداة اليكم .

للهائمين بحب طه الهادي	أُهدي بديع الشعر والانشادِ
نظم (الصفي) المستفيض بلاغة	وردا يسوغ لأطيب الورادِ

وأهم مزية لهذه النشرة الدراسة المفصلة التي تعرضت للعناية بالبديعيات وبلاغتها إذ طاف فيها وما كان من أمرها ، ووقف وقفة طويلة

---

[٢٠] شرح الكافية البديعية - تحقيق الدكتور نسيب نشاوي ص٣١-٣٣ .

عند شخصية ((صفي الدين الحلي)) فتحدث عن حياته ورحلاته واتصاله بالمسؤولين في عهده أي القرن الثامن للهجرة ، وعرض ما قال فيهم من شعر ، ثم ذكر مؤلفاته ، وذكر معها (أنوار الربيع في أنواع البديع) والمعروف أن هذا الكتاب لابن معصوم المدني (١٠٥٢ -١١٢٠هـ) .

وختم الدراسة ببديعية (الحلي) بين من تقدمه ، ومن تأخر عنه ، وتحدث عن مديح الشعراء للرسول (محمد) - صلى الله عليه وسلم - ومنهم (محمد بن سعيد بن حماد (البوصيري) صاحب (البردة) التي مطلعها :

أمن تذكر جيران بذي سلَمِ مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

ونسج على غرارها البديعيون قصائدهم (البديعيات) .

ووقف بعد ذلك عند البديعيين مثل (ابن حجة الحموي) - ٨٣٧هـ - الذي صرح بمجاراته (الحلي) و (عبد الرحمن الحميدي) و (شهاب الدين احمد العطار) و (عز الدين الموصلي) و (محمد بن داود الآثاري) و (ابن جابر الأندلسي) و (عائشة الباعونية) و (عبد الغني النابلسي) .

ولم ينسَ الشاعر (علي بن عثمان السليماني) - ٦٧٠ - الذي نُسبت اليه أول بديعية مطلعها :

بعض هذا الدلال والادلال حال بالبحر والتجنب حالي

وذكر (ابن شاكر الكبتي)[٢١] ستة وثلاثين بيتا منها ، وفي كل بيت فن بديعي يندرج في علمي البيان والبديع .

---

[٢١] ينظر فوات الوفيات . محمد بن شاكر الكتبي . القاهرة ١٩٥١م .

وازن الدكتور (رشيد) بين قصيدة السليماني وبديعية الحلي ، فقال :

١- إن قصيدة (السليماني) من (بحر الخفيف) وقصائد البديعيات من (بحر البسيط) .

٢- إن الغالب على روي القصائد البديعية هو الميم ، وهو ما أسسه (البوصيري) في مدحته ، ثم تحولت عند (الحلي) الى (بديعية) .

٣- إن المعارضات والمحاراة والمتابعات بُنيت جميعها على قصيدة (الحلي) ولم نسمع أن شاعرا عارض السليماني ، أو بنى على بناء قصيدته مضمونا أو شكلا ، فضلا عن أن قصيدة (السليماني) ليست في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

٤- إن (الصفي الحلي) قد وضع أُسسا ملتزمة في بناء القصيدة من مطلعها حتى اختتامها ، وهو ما سار عليه المقلدون إلا في بعض الخروجات من مثل (التورية) عن الفن البديعي .

لقد أجاد الدكتور (رشيد) في تحقيقه وهو المتمرس في البحث والتحقيق ، وهناك ملاحظات من أهمها :

١- الاطالة في الكلام على حياة (صفي الدين الحلي) ورحلاته ، ولو اتجه المحقق الى دراسة (شرح الكافية البديعية) لكان أفضل لأن الكتاب بلاغي وليس أدبا خالصا ، فضلا عن أن حياة الشاعر مدروسة دراسات كثيرة ومنها كتاب (شعر صفي الدين الحلي) للدكتور

(جواد علوش) (١٩٢٧ – ١٩٧٦م) الذي فصّل القول في حياة (الحلي وشعره) .

٢- كان يذكر بيت البديعية المذكورة في الديوان إشارة وأحيانا لا يذكر ، وقد رجع الى طبعة صادر في بيروت وكان الأولى أن يرجع الى طبعة الدكتور (محمد ابراهيم حور) التي صدرت محققة في ثلاثة أجزاء كبيرة ، وكان من الأفضل توزيع القصيدة على صفحات الكتاب لمعرفة الفروق بدلا من ذكرها كاملة في نهاية الكتاب .[٢٢]

٣- لا حاجة الى تخريج الفنون البديعية من الكتب لأنها كثيرة جدا ، وكل فن مذكور في عشرات الكتب البلاغية والنقدية ، ولعل (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها) يكفي ، ومن أراد تطور الفن البلاغي يجد ذلك واضحا ، وليس ذلك بمنكر ، ولم توضع المعاجم حديثا عبثا وإنما للاستعانة بها في معرفة التفاصيل وكان المحقق – رحمه الله – قد استعان بكتابه (معجم مصطلحات العروض والقوافي)[٢٣] في مصطلح (براعة الاستهلال) بدلا من الرجوع الى كتب البلاغة والنقد والعروض القديمة . ومن المعروف أن الرجوع الى الكتب القديمة في البحث مهم ، وليس كذلك في أمور لا توجب هذا الإلزام .

---

[٢٢] ينظر ديوان صفي الدين الحلي – تحقيق الدكتور محمد ابراهيم حور ج٣ ص١٤٢٧ ، بيروت سنة ٢٠٠٠م .

[٢٣] ينظر تحقيقه الكتاب ص٧٣ (حاشية ٣) .

٤- كان من الأفضل المقارنة بين ما جاء في (البديعيات) من فنون بديعية (الحلي) ولاسيما الذين جاءوا بعده كابن حجة الحموي وعائشة الباعونية وعبد الغني النابلسي ، لا الاشارة الى الفن في الكتب فقط ، إذ لا يتضح الاتفاق والاختلاف في تسمية النوع البديعي إلا بالمقارنة .

٥- الاكتفاء بالديوان عند ذكر الشواهد إن وجد ديوان للشاعر ، لأن تخريج الشاعر لا قيمة له في مثل تحقيق كتاب (الحلي) وهو في البلاغة ، والتخريج نافع في جمع نصوص شاعر أو كاتب ، كما شاع أخيرا في إصدار دواوين لمن لا ديوان له ، أو اصدار كتاب لم يصل الينا ، كما فعل بعضهم في جمع نصوص من كتب الجاحظ وإطلاق اسم (نظم القرآن) على كتاب مفقود للجاحظ بهذا العنوان .

٦- ذكر (الحلي) أنه جمع ما وجد في كتب العلماء من فنون بلاغية . واضاف اليه انواعا استخرجها من أشعار القدماء ، وعزم على ان يؤلف كتابا بجلها إذ لا سبيل الى كلها لولا أن عرضت له علة طالت سوأتها ، وامتدت شدتها .[٢٤]

وليس في (شرح الكافية البديعية) إلا فن واحد هو (التوزيع) قال : ((وهذا النوع من مخترعاتي ومستخرجاتي التي كنت أفردتها عن هذه القصيدة ، وإنما جئت به ههنا تكملة للعدد))[٢٥] وبيت الحلي :

---

[٢٤] ينظر تحقيقه ص٦٩ – ٧١ .

[٢٥] شرح الكافية ص٢٢٦ (رشيد) ، ص٢٦٢ (نسيب) .

محمد المصطفى المختار من خدمت		بمجده مرسلو الرحمن من أمم

وقال في تعريفه : ((والتوزيع أن يوزع الشاعر أو المتكلم حرفا من حروف الهجاء في كل لفظة من الكلام بشرط عدم التكلف . وقد جاء في الكتاب العزيز مثل ذلك لغير قصد ، وذلك لاعجازه وانسجام فصاحته وكونه ((لا يغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها)) (الكهف ٥) وهو - قوله تعالى - : ((كي نسبحك كثيرا))[٢٦] ((طه ٣٣)) فالكاف ملزوم في جميع الكلمات سوى الفاصلة ، أو من الشعر قول مبتدع هذا العلم ومخترعه (عبد الله بن المعتز) من قصيدة لزم بها حرف السين في جميع كلماتها وهو :

سقاني سلاف الخندريس بمجلسي		وسامرت شمسا بالسعادة مكتسي

وكقول (سليم الهوى النيني) من قصيدة يلتزم في كلماتها القاف . أولها :

رشقت قلبيَ أحداق الرشاق		فسقامي لسقام بالحداقِ

وذكر هذا الفن البديعي (ابن معصوم المدني)[٢٧] وقال :

((هذا النوع من مستخرجات الشيخ (صفي الدين الحلي) في بديعيته وشرحها . وذكر بيت (الحلي) وقال : ((لم ينظم (ابن جابر)

---

[٢٦] الأيات من ٣٣ الى ٣٥ في سورة (طه) هي : ((كي نسبحك كثيرا . ونذكرك كثيرا . إنك كنت بنا بصيرا)) .

[٢٧] أنوار الربيع في أنواع البديع ج٦ ص١٨٨ ، وينظر (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ص٤٣٧ - طبعة مكتبة لبنان - ناشرون - بيروت سنه ١٩٩٦م .

ولا (الموصلي) ولا (ابن حجة) ولا (السيوطي) ولا (الطبري) هذا النوع إما إغفالا أو اهمالا)) . ثم ذكر بيت بديعية (المقري) وهو قوله ولزم فيه حرف الراء :[٢٨]

عسير حرب بسير الرعب ينصره شهرا بشير نذير طاهر الارمِ

وبيت بديعية (العلوي) قوله وقد لزم فيه حرف الميم :

محمد المجتبى المحبو من ملك بما يكرم من مجد ومن نعـــم

وذكر ابن معصوم بيت بديعيته وقد لزم حرف الياء ، وهو :

توزيع لفظي لمدحي فيهم شرفا في النشأتين ففخري في مديحهم

٧- قال الدكتور (رشيد) إن (إرسال المثل من مخترعات الصفي) وليس من مخترعاته ، وقد ذكره (الثعالبي)[٢٩] ولم يعرفه وكان (الحلي) قد نظمه في بديعيته ولم يكن مخترعا له ، ولو كان محترعه لاشار الى ذلك كما أشار الى مصطلح (التوزيع) وقال : إنه من مخترعاته ، قال (ابن حجة الحموي) : ((إرسال المثل نوع لطيف في البديع ولم ينظمه في بديعيته غير الشيخ صفي الدين)) .[٣٠]

---

(٢٨) شرح الكافية ص١٢١ ، الحاشيه (٣) .

(٢٩) يتيمة الدهر ج١ ص٢١٤ ، ٢١٩ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد الطبعة الثانية – القاهرة ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م .

(٣٠) خزانة الأدب ص٨٣ ، وينظر أنوار الربيع ج٢ ص٥٩ .

٨- ذكر (الحلي) أنه تحدث عن (تجنيس الاشارة) في كتاب آخر له ، قال : ((وتجنيس الاشارة : وهو ما أضمر أحد ركنيه ، ويضيق هذا المكان عن شرحه ، فمن أراد بسط القول في استيفاء أقسام التجنيس وتقريرا أنواعه على الترتيب فعليه بكتابي المسمى بالدر النفيس في أجناس التجنيس))[٣١] .

لم يشر الدكتور (رشيد) في الحاشية الى هذا الكتاب والى مقصد (الحلي) وإنما أشار الى نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وكان (حاجي خليفة) قد ذكره في (كشف الظنون) .

ولكن الدكتور (نسيب نشاوي) بيَّن هذا اللون من التجنيس وقال : ((كتاب في البديع اخترع فيه (صفي الدين الحلي) نوعا مشكلا من أنواع التجنيس ، وهو انه جعل ركني التجنيس ثلاثة في صدر البيت وثلاثة في عجزه ، وهو نوع لم يأت به غيره لما فيه من تكلف ، وقد نظم في ذلك أبياتا وردت في الديوان (ط دمشق ص٤٢٣) مطلعها :

سل سلسل الريق : لم لمْ يروِ حرّ ظما

بل بلبل القلب لما زاده ألما[٣٢]

وتجنيس الاشارة غير هذا عند الاخرين فيه عند (فخر الدين الرازي) : ((إن المتجانس قد يكون مذكورا صريحا ، وقد يكون مذكور

---

[٣١] الشرح (رشيد) ص٨٦ .

[٣٢] الشرح (نسيب) ص٧١ ، وتنظر ص٣٠ .

إشارة))[٣٣] ومثل هذا قال (العلوي)[٣٤] وسمى بعضهم هذا النوع (تجنيس الكناية) قال (ابن حجة الحموي) : ((ومنهم من يسمي تجنيس الاشارة (تجنيس الكناية) وكل منهما سطابق التسمية ، ولم ينظم الشيخ (صفي الدين الحلي) في بديعيته غير نوع الاضمار ، وهو أصعب مسلكا من جناس الاشارة) .[٣٥]

وذكر (الحلي) أن (تجنيس الإشارة) من (التجنيس المعنوي) وهو في بيت بديعيته :

وكل لحظ أتى باسم ابن ذي يزن   في فتكه بالمعنّى أو أبي هرم

وقال : ((والمعنوي صنفان : تجنيس إشارة ، وتجنيس إضمار))[٣٦] وتحدث عن (تجنيس الاضمار) وحده ، مشيرا الى كتابه (الدر النفيس في أجناس التجنيس) للوقوف على (تجنيس الاشارة) .

٩- تظهر عناية الدكتور (رشيد) بتحقيق الكتاب ، وإن كان رجوعه الى المخطوطة الأصل والطبعة القديمة ، ولم تتضح مطابقة نسخته مع نسخة الأوقاف الأخرى إلا قليلا وطبعة االدكتور (نسيب نشاوي) وإن قال : ((نشر الشرح نشرا علميا في (سورية) حاولنا أن نقابل بين

---

(٣٣) نهاية الايجاز – فحر الدين الرازي ص٢٩ – القاهرة ١٣١٧هـ .

(٣٤) الطراز – يحيى بن حمزة العلوي ج٢ ص٣٧٢ – القاهرة ١٩١٤م .

(٣٥) خزانة الأدب ص٤١ .

(٣٦) شرح الكفاية (رشيد) ص٨٤ .

تحقيقنا ، وما ورد في هذه النشرة ، وأثبتنا في صفحات التحقيق ما وقع من اختلاف بين نشرتنا والنشرة السورية)) .[٣٧]

١٠- كان يشير الى ما في الأصل وما أثبته ، جاء في مقدمة الشرح : ((الحمد لله الذي حلل لنا سحر البيان وجعل تلقيه بالعقول مشاهدا للعيان – صلى الله على سيدنا محمد – الذي نسخ بدينه سائر الأديان ، وهدانا الى التحقيق والتبيان وعلى آله الأطهار ، وصحبه الأعيان ، ما اختلف الملوان وتعاقبت الأحيان)) .[٣٨]

قال في الحاشية : الأصل تلقبه – بالباء الموحدة

وفي (ط) : تلعبه من اللعب

في الأصل : شاهدا

في الأصل : تعاقب

١١- قد يضيف كلمة للايضاح ، من ذلك : ((هذا النوع والتسعة الأنواع))[٣٩] إذ أضاف كلمة (الأنواع) وذكر أن العبارة في (ط) ((السبعة الأنواع)) ، وذكرت كلمة (الأنواع) في نص طبعة الدكتور (نسيب) .[٤٠]

---

[٣٧] الشرح (رشيد) ص٦٤ .

[٣٨] الشرح ص٦٥ .

[٣٩] الشرح ص٩٧ .

[٤٠] الشرح (نسيب) ص٨٥ .

١٢- كان يشير الى ما في الكلام من تصحيف وتحريف ، ومن ذلك قول (ابن الرومي) :

ما يبين رؤينها في كفه كرة   وبين رؤيتها قوراء كالقمر

قال : ((في الأصل : وبين رقبتها ، وهو تصحيف وتحريف))[٤١]

١٣- يشير أحيانا الى ما وقع من أوهام الناسخ ، ومن ذلك ما جاء في قول المتنبي :

الدهر معتذر والسيف منتظر   وأرضهم لك مصطاف ومرتبع

قال : الأصل (وأرضهم مصطاف) وهو وهم من الناسخ .[٤٢]

١٤- يذكر أن الكلام لا يستقيم أحيانا ، ومن ذلك كلام (الحلي) على (التسهيم) إذ جاء في مطلع بيت البديعية :

كذاك (يونس) ناجى ربه فنجا

من بطن نون له في اليم ملتقم

قال : في (ن) : (كذلك) وهو لا يستقيم باللام .[٤٣]

١٥- يفسر أحيانا ، ومن ذلك قوله في (التوجيه) : ((وهو مصدرّ الفعل (وجّه) وهو أن يجعل للشيء وجها يحسن لأجله ويرغب فيه ، وهو في مصطلح علوم البيان : أن يكون الكلام له وجهان ، وقد فسره

---

(٤١) الشرح (رشيد) ص١٩٦ .

(٤٢) الشرح ص١٦٠ .

(٤٣) الشرح ص٢٣٢ .

(العلوي) بغير ما فسر (الحلي) مصطلح (التوجيه هنا ، وجعله المدح بما يشبه الذم ، ومدح شيء بصفة يقتضي المدح بغيرها)).[44]

١٦- لقد أجاد الدكتور (رشيد) والدكتور (نسيب) وإن تباينت ملاحظاتهم ، إذ لكلٍ وجهة نظر وذوق وفهم ، فرشيد لغوي وإن كان شاعرا ، ونسيب أديب وإن كان له إدراك لغوي ، وذوق بياني .

ومهما يكن من أمر ، فكل لون من التحقيق نافع إذا كان النص مضبوطا ، أما التعليقات والتخريجات وترجمة الأعلام ونحو ذلك فهي من محسنات التحقيق والإيضاح .

---

(٤٤) الشرح ص١٢٤ .

المصادر :

١- أنوار الربيع في أنواع البديع – علي صدر الدين بن معصوم المدني – تحقيق شاكر هادي شكر – النجف ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م .

٢- خزانة الأدب وغاية الارب – ابن حجة الحموي – القاهرة ١٣٠٤هـ .

٣- ديوان صفي الدين الحلي – تحقيق الدكتور محمد ابراهيم حور – بيروت ٢٠٠٠م .

٤- شرح الكافية البديعية – صفي الدين الحلي – تحقيق الدكتور نسيب نشاوي – دمشق ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

٥- شرح الكافية البديعية – صفي الدين الحلي – تحقيق الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي بغداد ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

٦- شعر صفي الدين الحلي – الدكتور جواد علوش – بغداد ١٣٧٩هـ – ١٩٥٩م .

٧- الصبغ البديعي في اللغة العربية – الدكتور احمد ابراهيم موسى – القاهرة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م .

٨- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز – يحيى بن حمزة العلوي – القاهره ١٣٣٢هـ – ١٩١٤م .

٩- فوات الوفيات – محمد بن شاكر الكتبي – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – القاهرة ١٩٥١م .

١٠- كتاب الصناعتين – أبو هلال العسكري – تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم – القاهرة ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م .

١١- المدائح النبوية – الدكتور زكي مبارك – القاهرة ١٩٦٧م .

١٢- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها -- الدكتور احمد مطلوب - بيروت ١٩٩٦م .

١٣- نظرة في تحقيق الكتب (علوم اللغة والأدب) الدكتور احمد مطلوب - مجلة معهد المخطوطات العربية - المجلد الأول (الجزء الأول) ص٤١ سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .

١٤- نفحات الأزهار - عبد الغني النابلسي ط٣ بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

١٥- نهاية الايجاز في دراية الاعجاز - فخر الدين الرازي - القاهرة ١٣١٧هـ .

١٦- يتيمة الدهر - عبد الملك بن محمد الثعالبي - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - ط٢ - القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م .

التغيرات المناخية وتداعياتها البيئية

الدكتور داخل حسن جريو

عضو المجمع العلمي

الملخص :

باتت التغيرات المناخية الناجمة من انبعاث الغازات الدفيئة التي أهمها غاز ثاني أكسيد الكربون وأكسيد النيتروجين وغاز الميثان (وما ينجم عنها من إحتباس حراري وإرتفاع درجة حرارة سطح الأرض) تشكل تهديدا متزايدا للبيئة ، حيث ستتضرر بعض الدول من إرتفاع مناسيب مياه البحار والمحيطات ، في حين سيتضرر بعضهم الآخر من شدة الأعاصير والزوابع والزلازل ، أو من الجفاف بسبب إنحسار الأمطار. مما يتطلب تضافر جهود جميع الدول للتصدي الفاعل للحد من آثار التغيرات المناخية وما ينجم عنها من آثار وخيمة على البيئة . تتناول هذه الدراسة بعض تداعيات هذه التغيرات في العالم عامة والعالم العربي خاصة .

المقدمة :

تشير الدراسات إلى أن تركيز غازات الإحتباس الحراري في الغلاف الجوي آخذا بالإرتفاع إلى مستويات تزيد بدرجتين فوق معدلها في فترة ما قبل عصر الصناعة ، مما قد ينجم عنه إستمرار التدهور البيئي في الكثير من بلدان العالم . ويقدربعض الخبراء أن ما يحدث من تغير حاليا في الغلاف الجوي هو الأكبر منذ نحو ٦٥٠٠٠ سنة ويعزى هذا التغير إلى تزايد غازات الاحتباس الحراري وأهمها :

١. غاز ثاني أكسيد الكربون الناتج عن احتراق مليارات الأطنان من الوقود سواء من المنشآت الصناعية أو محطات الطاقة أو وسائل المواصلات حيث ينطلق كل عام ما يزيد عن(٢٠) مليار طن ، أي ما نسبته (٠,٧٪) من كمية الغاز الموجودة طبيعيا في الهواء . وتعد الولايات المتحدة الأمريكية المسبب الأول في العالم لهذا الإنبعاث بنسبة (٢٢٪) ، تليها الصين بنسبة (١٨٪) ، والإتحاد الأوربي بنسبة (١١٪) ، وروسيا بنسبة (٦٪) ، وكل من الهند واليابان بنسبة (٥٪) ، ويتوزع المتبقي على دول العالم الأخرى بنسب مختلفة أقل .

٢. أكسيد النيتروجين : الذي إزدادت نسبة إنبعاثه بسبب زيادة النشاط الصناعي وإلى تزايد عدد المركبات . حيث يسهم القطاع الصناعي بنسبة (٣٥٪) من الكمية المنبعثة

٣. الميثان الذي ينبعث بكميات أقل من ثاني اكسيد الكربون ولكن خطورته كبيرة جدا .

ذ. كما تؤثر الزراعة في المناخ بسبب إنتاج غازات الدفيئة وإطلاقها مثل ثاني أكسيد الكربون والميثان وأكسيد النيتروس ، وتتميز هذه الغازات بقدرتها على إمتصاص الأشعة التي تفقدها الأرض (الأشعة تحت الحمراء) فتقلل ضياع الحرارة من الأرض إلى الفضاء مما يساعد على تسخين جو الأرض والإسهام في ظاهرة الإحتباس الحراري .

يشير تقرير حديث أصدرته اللجنة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ التابعة للأمم المتحدة ، إلى إرتفاع نسبة انبعاثات الغازات المسببة للاحتباس الحراري في جميع أنحاء العالم بشكل كبير خلال العقد الماضي ، لذا أصبح ضروري جدا خفض تلك الانبعاثات بنسبة لا تقل عن (٤٠ ٪) وقد تصل إلى (٧٠٪) من مستوياتها الحالية ، وذلك للحد من الزيادة المتوقعة في متوسط درجات الحرارة العالمية بمقدار (٢) درجة مئوية بحلول منتصف القرن الحالي . كما حذر البنك الدولي خلال ندوة عن التغيرات المناخية أقيمت عام ٢٠١٢ في العاصمة القطرية الدوحة من أن منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ستشهد ارتفاعا في معدل درجات الحرارة يبلغ ست درجات مئوية بحلول عام ٢٠٥٠.

ومنذ انعقاد الدورة السادسة والعشرين لمجلس إدارة برنامج الأمم المتحدة للبيئة / المنتدى البيئي الوزاري العالمي ، أصدرت الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ اثنين من التقارير الخاصة ، بعنوان : مصادر الطاقة المتجددة وتخفيف آثار تغير المناخ ، وإدارة مخاطر الظواهر الطبيعية الحادة والكوارث من أجل دفع عملية التكيف مع تغير المناخ إلى الأمام . ويتضح من استعراض تصورات عدة أن الطاقة المتجددة تتمتع بإمكانات كبيرة

لتخفيف انبعاثات غازات الاحتباس الحراري وأنها ستشهد نموا واسع النطاق في العالم .

ويشير التقرير الثاني إلى أن التقلبات المناخية البالغة القسوة أو الأحوال المناخية القاسية المتسلسلة ، يمكن أن تسبب كوارث مناخية إذا اقترنت بالأحوال الاجتماعية الهشة وقابلية التعرض للمخاطر . وتشمل الاستنتاجات الهامة الواردة في هذا التقرير الآتي :

١. توخي الحذر فيما يتعلق بما لوحظ من زيادة طول فترات الدفء أو موجات الحرّ أو زيادة عددها في مناطق كثيرة من العالم .

٢. احتمال ارتفاع وتيرة هطول الأمطار الغزيرة ، أو زيادة كمية الأمطار الكلية نتيجة كثافة هطولها في مناطق كثيرة من العالم ، ولاسيما في خطوط العرض العليا والمناطق الاستوائية والأجزاء الشمالية من خطوط العرض الوسطى خلال شهور الشتاء

٣. توخي الحذر فيما يتعلق بالزيادة المتوقعة في طول فترات الجفاف وشدتها في بعض مناطق العالم ، بما في ذلك مناطق جنوب أوروبا والبحر الأبيض المتوسط ووسط أوروبا ووسط أميركا الشمالية وأمريكا الوسطى والمكسيك وشمال شرق البرازيل وأفريقيا الجنوبية .

وقدر تعلق الأمر بالمنطقة العربية ، يسلط التقرير الأول لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة لتوقعات البيئة في المنطقة العربية الضوء على ندرة المياه ، باعتبارها أكبر تحد قد تواجهه المنطقة في وقت يتسارع فيه نمو السكان وتتزايد فيه المخاطر المرتبطة بالكوارث وبآثار تغير المناخ ، كالجفاف والتصحر

وملوحة المياه ، وعلى الجانب الإيجابي ، يتحدث التقرير عن إحراز تقدم ملموس في مجال وضع الأطر القانونية البيئية وتزايد الوعي البيئي في المنطقة . ويدعو التقرير إلى وضع سياسات تشمل دمج البيئة في خطط التنمية ، ومراعاة القيمة الكاملة للموارد في صنع السياسات ، وتحقيق أنماط استهلاك وإنتاج أكثر قابلية للاستدامة ، والتحول تدريجيا إلى نهج الاقتصاد الأخضر .

ونشر التقرير المعنون : تقييم قابلية موارد المياه العذبة للتأثر بتغير المناخ : التأثير على الموارد المائية المشتركة في منطقة غرب اسيا ، في عام ٢٠١١. وأكد التقييم ، ضمن استنتاجات أخرى ، أن ارتفاع الطلب على المياه يعد من الشواغل الرئيسة في المنطقة ؛ ومن هنا تأتي أهمية تحسين إدارة جانب الطلب ، وكذلك جانب العرض للموارد المائية وتعزيز الأطر القانونية والمؤسسات باتجاه اتباع نهج شامل . ومن المهم ابرام اتفاقات بشأن تقاسم المياه بغرض تفادي تصاعد حدة التوتر بين بلدان الضفاف . ولمياه مجاري المدن طاقات كامنة ضخمة كموارد للمياه في المنطقة ، ولا مناص من زيادة الاعتماد على تحلية المياه في المستقبل .

التغيرات المناخية والتنمية :

هناك ثمة علاقة وثيقة بين المناخ والتنمية إذ يؤثر كل منهما في الاخر سلبا أو إيجابا ، فقد تأثرت المجتمعات منذ الأزل بالتغيرات المناخية . تشير الدراسات التاريخية إلى أن التغير الذي حصل برياح البحر الأبيض المتوسط الغربية وانخفاض الرياح الموسمية الهندية بحدود العام ٢٢٠٠ سنة

قبل الميلاد ، إدت إلى قلة الأمطار وإنخفاض درجات الحرارة ، مما ألحق أضرارا زراعية فادحة في حضارات ذلك العصر المتمثلة بحضارتي وادي الرافدين ووادي النيل ، ولم تتمكن منظومة الري المتطورة في بلاد الرافدين حينذاك من الحد من هذه الأضرار . وفي العصر الحديث إزدادت هذه التغيرات تأثيرا أكثر من أي وقت مضى ، حيث أصبح واضحا أن المناخ بات أكثر إعتمادا على الأنشطة الصناعية والزراعية ، التي أدت إلى زيادات مطردة بالغازات الدفيئة منذ عصر الثورة الصناعية وحتى يومنا هذا،أي أن هناك علاقة تبادلية بين المناخ والتنمية ، وبدون ضبط التغيرات المناخية فأنه سيكون من الصعب إستمرار التنمية بشكلها الحالي دون إلحاق أضرار فادحة بالأجيال القادمة .

يشهد العالم إرتفاعا ملحوظا بدرجة حرارة الأرض بصورة لم يعرفها من قبل ، وهو أمر يلحق أضرارا فادحة بجميع الدول عامة ، والدول النامية خاصة ، حيث ستتضرر بعض الدول من إرتفاع مناسيب مياه البحار والمحيطات ، في حين سيتضرر بعضها الاخر من شدة الأعاصير والزوابع والزلازل ، أو من الجفاف بسبب إنحسار الامطار ، إذ سيؤدي ذوبان الأنهر الجليدية في جبال الهملايا والأنديز مثلا ، إلى حرمان ملايين الناس من مياه الشرب النظيفة والطاقة الكهربائية . ولا يختلف الحال في مناطق أخرى كثيرة في العالم . مما يتطلب تضافر جهود جميع الدول للتصدي الفاعل لهذه التحديات للحد من آثارها الوخيمة ، على الرغم من الجدل المستمر حول ما يتطلب ذلك من مبالغ يرى البعض أن لا ضرورة ملحة لها مقللين من أهمية تأثير هذه التغيرات .

وافقت الدول الصناعية في إطار اتفاقية كيوتو على خفض الانبعاث الكلي للغازات بنحو (٥.٢٪) مقارنة بعام ١٩٩٠. ألزم الاتحاد الأوروبي بتخفيض قدره(٨ ٪) ، والولايات المتحدة الأمريكية بنسبة (٧٪) ، واليابان بنسبة (٦٪) ، سمحت المعاهدة بزيادة انبعاث الغازات الدفيئة بنسبة(٨ ٪) لأستراليا و(١٠٪) لأيسلندا . كما تتعهد الدول المتقدمة بتمويل وتسهيل أنشطة نقل التقنيات الصديقة للبيئة في مجالات الطاقة والنقل والموصلات ، منها إلى الدول النامية والأقل نموا ودعم جهودها بمواجهة الآثار السلبية للتغيرات المناخية والتأقلم معها.

تشير تقارير البنك الدولي الى أن ارتفاع درجة حرارة الأرض سيؤدي إلى نشوء ظواهر مناخية حادة في تطرفها كالأعاصير والفيضانات والجفاف مما يجعل ملايين البشر في دائرة الفقر والجوع ، مضيفا أن تغير المناخ بهذه الطريقة سيؤدي إلى عواقب بيئية واجتماعية واقتصادية واسعة التأثير كخسارة مخزون المياه الصالحة للشرب وتراجع خصوبة التربة الزراعية مما يؤدي إلى تراجع في الإنتاج الزراعي والموارد المائية ، داعيا إلى الحد من الممارسات الخاطئة التي ستؤدي إلى تغييرات مناخية تؤثر على حياة البشرية، والخروج بتوصيات مهمة لقضية أساسية لها علاقة وطيدة بالتنمية المستدامة.كما دعا جيم يونغ كيم رئيس البنك الدولي أثناء مشاركته في المنتدى الاقتصادي العالمي بدافوس إلى مضاعفة حجم أسواق السندات الخضراء التي تساند مشاريع التكيف مع التغيرات المناخية والتخفيف من آثارها ، مثل الطاقة المتجددة (الطاقة الشمسية ، طاقة الرياح ، الطاقة المائية) ، وكفاءة استخدام الطاقة وترشيد إستخدامها بتحسين مواصفات الأجهزة المنزلية الموفرة

للطاقة ونظم الإضاءة الموفرة للطاقة ، والحد من الانبعاثات الكربونية ، لتصل إلى(٢٠) مليار دولار هذا العام ، ثم إلى (٥٠) مليار دولار عند التوصل إلى اتفاق دولي جديد بشأن المناخ في باريس في عام ٢٠١٥. كما دعا إلى فرض سعر على الانبعاثات الكربونية ، وإلزام الشركات بالإفصاح عن المخاطر المناخية الناشئة عن عملياتها.

يمكن أن تؤدي الإستثمارت في السندات الخضر إلى توفير فرص عمل ، ذلك أن تقنيات الكربون المنخفض بطبيعتها تقنيات كثيفة القوى العاملة مقارنة بقطاعات الكربون العالي ، حيث تقدر بعض الدراسات أن إنفاق الولايات المتحدة الأمريكية نحو مليار دولار أمريكي في مشاريع التقنيات الخضراء يمكن أن يوفر نحو (٣٠) فرصة عمل سنويا ، أي بزيادة نحو (٧) آلاف فرصة عمل مقارنة عما يكون عليه الحال في التقنيات الأخرى ، وتشير تقديرات أخرى إلى أن إنفاق نحو (١٠٠) مليار دولار يمكن أن يوفر (٢) مليوني فرصة عمل . قدر إجمالي الإستثمارات في السندات الخضراء عالميا بنحو (٤٣٦) مليار دولار في العام ٢٠٠٩. وإتخذت الصين خطوات للتحول إلى إستراتيجية نمو منخفض الكربون تقوم على تطوير مصادر الطاقة المتجددة فولدت فرص عمل ودخلا وإيرادات في صناعات واعدة منخفضة الكربون . وإستطاعت فرنسا توفير نحو(90) ألف فرصة عمل في القطاعات المراعية للبيئة في الفترة بين عامي ٢٠٠٦ و ٢٠٠٨ ، معظمها في مجالي ترشيد الطاقة وتطوير الطاقة المتجددة واعتمدت البرازيل مشروعا في إطار آلية التنمية النظيفة ، لتحويل مكانين من أكبر أماكن القمامة في مدينة ساوباولو ، إلى مدافن قمامة مستدامة . ومنذ

العام ٢٠٠٤ ولغاية العام ٢٠١١ تفدت هذه المدافن إطلاق (٣٥٢٠٠٠) طن من غاز الميثان في الغلاف الجوى . إستخدم بإنتاج مليون ميغاواط من الطاقة الكهربائية .

تشير الدراسات إلى أن تكلفة عدم التحرك للتصدي للتغيرات المناخية باهضة من حيث أعداد المتضررين والاستثمارات الضائعة، فحجم الخسائر والأضرار المتعلقة بالمناخ على مستوى العالم إرتفع من (٥٠) مليار دولار سنويا في ثمانينات القرن المنصرم إلى نحو(٢٠٠) مليار دولار سنويا على مدار العقد الأخير . مما يزيد من اهمية التنمية المراعية لإعتبارات التغيرات المناخية والكوارث . وفي البلدان الأكثر فقرا ، من المتوقع أن تؤدي التغيرات المناخية إلى زيادة تكلفة التنمية بنسبة تتراوح بين (٢٥٪ و ٣٠٪) ، وذلك وفقا لتقديرات مجموعة البنك الدولي . ويمكن أن تؤدي الآثار الناشئة عن ذلك إلى تقويض عقود من المكاسب التنموية ودفع ملايين البشر ثانية إلى براثن الفقر . وأذا لم يتم التصدي للتغيرات المناخية ، وإستمرار إنبعاث غازات الدفيئة بالتزايد ، فأنه يتوقع إنقراض ما يزيد على ثلث الكائنات الحية بحلول العام ٢٠٥٠.

وتعد قضية التغيرات المناخية قضية معقدة ومثيرة للجدل بين الدول الصناعية الكبرى والدول النامية ولاسيما الدول الناهضة إقتصاديا مثل الصين والهند والبرازيل ، حيث ترى الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد الأوربي والدول الصناعية الكبرى ، أن مسؤولية الدول الناهضة إقتصاديا بزيادة معدلات انبعاث الغازات الدفيئة لا تقل عن مسؤولية الدول الصناعية الكبرى .

التغيرات المناخية والزراعة :

تشير بعض الدراسات إلى أنه مع كل ارتفاع في درجة الحرارة بمقدار درجة مئوية واحدة فوق المعدل الطبيعي تنخفض كمية المحاصيل الزراعية بنسبة (١٠٪) . إذ تؤثر هذه التغيرات في خواص التربة الطبيعية والكيميائية والحيوية وخصوبة التربة ، وإنخفاض الغلة الزراعية ، وإلى انتشار الآفات والحشرات ، وخفض كميات المياه المتاحة للزراعة بسبب إنخفاض معدلات تساقط الأمطار ، ونقص الأراضي الصالحة للزراعة بسبب الجفاف والتصحر في بعض الدول ، أو فقدان الكثير من الأراضي الزراعية في دول أخرى بسبب الفياضانات وارتفاع مناسيب مياه البحار والمحيطات، وازدياد حرائق الغابات ، التي جميعها تؤثر سلبا في الإنتاج الزراعي كما ونوعا ، وتؤدي إلى إرتفاع أسعار الكثير من المحاصيل الزراعية في ضوء الطلب المتزايد عليها في عالم يشهد إرتفاعا كبيرا بعدد السكان في الكثير من الدول وبخاصة الدول النامية ، حيث يتوقع أن ترتفع الأسعار بأكثر من(١٠٠٪) من أسعارها الحالية بحلول عام ٢٠٣٠ ، مما يهدد بمجاعة حقيقة في أكثر من بلد بنحو (١٠ – ٢٠٪) ، وزيادة عدد الأطفال الذين سيعانون من سوء التغذية بنسبة متوقعة بنحو (٢٠٪) بحلول عام ٢٠٥٠ .

ولا يقتصر تأثير التغيرات المناخية في الإنتاج الزراعي ، بل يشمل الإنتاج الحيواني أيضا ، إذ قد تؤدي بعض هذه التغيرات إلى إنخفاض معدلات تكاثر بعض الحيوانات أو زيادة تعرضها للأمراض أو قلة لحومها بسبب سوء التغذية في أجزاء كثيرة من العالم .

باتت التغيرات الماخية الناجمة من انبعاث الغازات (وما ينجم عنه من إحتباس حراري وإرتفاع درجة حرارة سطح الأرض) تشكل تهديدا متزايدا للأمن الغذائي في العالم ، يشير الأمين العام للأمم المتحدة بانكي مون بأن التغير المناخي يتسارع بوتيرة خطيرة مما يهدد السلم والأمن الدوليين بشكل أساسي.

لذا تسعى بعض المنظمات الدولية الى إقامة شبكة عالمية للإنذار المبكر بالتغيرات المناخية ، وتوطين تقنيات لمواجهة هذه التغيرات والحد من آثارها ، واستنباط سلالات وأصناف مقاومة لهذه التغيرات ، واتخاذ إجراءات منها :

١. استنباط أصناف جديدة تتحمل الجفاف والملوحة وإرتفاع درجات الحرارة فوق معدلاتها المعتادة .

٢. تغيير المواسم الزراعية بما يلائم الظروف الجوية الجديده ، واختيار المناطق المناخية المناسبة لزراعة كل صنف .

٣. ترشيد إستخدام المياه والحد من هدرها بإستخدام وسائل الري الحديثة والإكثار من زراعة المحاصيل التي لا تتطلب مياها كثيرة .

٤. استنباط اصناف جديدة موسم نموها قصير لتقليل الاحتياجات المائية اللازمة لها.

٥. زيادة قدرة القطاع الزراعي على التكييف لمواجهة التغيرات المناخية .

ونظرا لأهمية هذا الموضوع فقد دعا عدد من زعماء العالم في مؤتمر كانكون المنعقد في المكسيك عام ٢٠١٠ المعني بالمناخ لجعل الزراعة جزءً من التصدي لتغير المناخ ، بإعلان وثيقة " خارطة طريق للعمل : الزراعة والأمن الغذائي وتغير المناخ " ، لجعل الزراعة أكثر قدرة على التكييف مع التغيرات المناخية ، والتصدي لتغير المناخ عن طريق إمتصاص الكربون في التربة والكتلة الحيوية . وهذه الخارطة هي نتاج مناقشات بين (٧٠) وزيرا للزراعة واخرين من المسؤولين الزراعيين رفيعي المستوى في المؤتمر العالمي المعني بالزراعة والأمن الغذائي وتغير المناخ الذي استضافته الحكومة الهولندية خلال الفترة من الأول إلى الخامس من شهر تشرين الثاني ٢٠١٠. كما دعا رئيس مجموعة البنك الدولي إلى زيادة الإنتاج الزراعي بنسبة (٧٠٪) بحلول عام ٢٠٥٠ حتى يتمكن من إطعام تسعة مليارات من البشر ، وأن على البلدان النامية أن تراعي الظروف البيئية لتوفير الغذاء في عالم يزداد عدد سكانه وترتفع درجة حرارته .

وتعد البلدان العربية من أكثر البلدان تأثرا بالتغيرات المناخية، حيث تعاني من نقص حاد بإنتاجها الزراعي ، وعدم القدرة على توفير إحتاجاتها من الأغذية الأساسية من مواردها المحلية . وتعتمد إعتمادا كبيرا على سد إحتياجات سكانها من المصادر الخارجية ، وهو أمر يهدد أمنها الغذائي في الصميم ، ويجعلها عرضة للضغوط والإبتزازات السياسية من الدول الأخرى . وتتفاقم المشكلة بكون البلدان العربية معرضة بصورة كبيرة إلى التغيرات المناخية التي تهدد بعضها بالجفاف والتصحر ، حيث تشير التقارير إلى تحول تدريجي في مناخها ليصبح مناخا صحراويا جاف بحلول العام ٢٠٢٥،

وتعرض بعضهم الآخر إلى إرتفاع مناسيب مياه البحار وتعرض مدنها الساحلية للغرق والفيضانات التي تدمر أجزاء واسعة من أراضيها الزراعية ، وهي جميعها أمور تستلزم التصدي المبكر لها للحد من آثارها المدمرة .

تداعيات التغيرات المناخية في البلدان العربية :

عقد في إمارة ابو ظبي يومي الرابع والخامس من شهر آيار ٢٠١٤ ، الإجتماع الدولي الخاص بتغير المناخ ، تمهيداً لإجتماع قادة دول العالم لبحث آثار التغيرات المناخية وتداعياتها ، المقرر عقده خلال شهر أيلول ٢٠١٤ في نيويورك تزامنا مع الدورة السادسة والتسعين للجمعية العامة للأمم المتحدة ، وذلك من أجل التحضير لمؤتمر الدول المشاركة في اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية لتغير المناخ في باريس ، حيث تسعى هذه الدول إلى إبرام اتفاق مناخي عام ٢٠١٥ ، يتم من خلاله اتخاذ قرارات عالمية ملزمة بشأن المناخ، من أجل خفض انبعاثات الغازات المسببة للإحتباس الحراري ،للمحافظة على درجة حرارة الأرض بحيث لا تتجاوز (٢) درجة مئوية في عام ٢٠١٥ ، وذلك لتعزيز إزدهار إقتصادات هذه الدول ، والمحافظة على تنمية إقتصادية مستدامة تتلاءم وخصوصياتها .

تناول اجتماع أبو ظبي التحضيري ، مجالات مهمة ذات تأثير ملموس للحد من الانبعاثات الضارة بما في ذلك تعزيز كفاءة الطاقة ، والإدارة المستدامة للأراضي والغابات ، والتمويل ، والطاقة المتجددة ، والزراعة ، والمرونة في التكيف ، والنقل ، وملوثات المناخ قصيرة الأجل ، والمدن ، وصياغة الإستراتيجيات المناسبة لمواجهة التحديات المرتبطة بالتغيرات المناخية .

شارك في المؤتمر بان كي مون الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة وأكثر من (٧٥) وزيرا ومدير منظمة تابعة للأمم المتحدة ، وقادة القطاع الحكومي وقطاع الأعمال والمجتمع المدني ، ومسؤولين آخرين من ذوي الخبرة والإختصاص المهتمين بشؤون التغيرات المناخية وتداعياتها ، أبرزهم توني بلير رئيس الوزراء البريطاني السابق ، وآل جور نائب الرئيس الأمريكي الأسبق والحائز على جائزة نوبل للسلام عام ٢٠٠٧ ، وفيليبي كالديرون الرئيس السابق للمكسيك ، وكانديه يومكيلا رئيس لجنة الأمم المتحدة المعنية بالطاقة ، والمدير العام السابق لمنظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية "اليونيدو . أكد الأمين العام بهذا الإجتماع ضرورة تعاون جميع الدول وحكومات العالم لمواجهة ظاهرة التغير المناخي ، ومساعدة الدول النامية كونها الأكثر تضررا بهذه الظاهرة.كما أكد الامين العام للامم المتحدة في المؤتمر الصحفي الذي عقد على هامش الإجتماع "أن التغييرات المناخية تسببت في الكثير من الخسائر الكبيرة على كوكبنا، وعلينا الاستفادة من التجارب التي تحد من خطورة تلك الظاهرة ، والا ستتكبد الكثير من الخسائر مستقبلا" ، مشددا على ضرورة البحث عن الحلول ، وبأقل التكاليف للحد من هذه الظاهرة والتعرف على الفرص المتاحة، واصفا اجتماع تغير المناخ في أبو ظبي بحجر الزاوية سياسيا وأخلاقيا وعلميا ، وقال إننا مستعدون للعمل معا من أجل مستقبل أفضل . و قال آل غور النائب الأسبق للرئيس الأميركي إن مستقبل العالم يتوقف على توافق الدول والحكومات على التعاون بصدد هذه الظاهرة .

تعكس هذه المشاركة الواسعة للدول بهذا المستوى الرفيع إدراكا عاليا بخطورة التغيرات المناخية وتداعياتها على مجمل الحياة الإنسانية ، واهتماما دوليا متزايدا بضرورة إتخاذ إجراءات سريعة وحاسمة للحد من أضرارها بوصفها ظاهرة كونية لا تنحصر في بلد معين ، وهي آخذة بالتفاقم إذا لم يتم التصدي لها عبر إجراءات فاعلة بتعاون جميع الدول ، ومن هنا يكتسب إجتماع أبو ظبي أهميته الخاصة .

يشير تقرير حديث أصدرته اللجنة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ التابعة للأمم المتحدة ، إلى إرتفاع نسبة انبعاثات الغازات المسببة للاحتباس الحراري في جميع أنحاء العالم بشكل كبير خلال العقد الماضي ، لذا أصبح ضروري جدا خفض تلك الانبعاثات بنسبة لا تقل عن (٤٠ ٪) وقد تصل إلى (٧٠٪) من مستوياتها الحالية ، وذلك للحد من الزيادة المتوقعة في متوسط درجات الحرارة العالمية بمقدار (٢) درجة مئوية بحلول منتصف القرن الحالي . كما حذر البنك الدولي خلال ندوة حول التغيرات المناخية أقيمت العام٢٠١٣ في العاصمة القطرية الدوحة من أن منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ستشهد ارتفاعا في معدل درجات الحرارة يبلغ ست درجات مئوية بحلول عام ٢٠٥٠.

دراسة أجراها البنك الدولي للغرض ذاته إن المنطقة العربية ستشهد ارتفاعا في معدلات الحرارة ونقصا في الأمطار وانتشارا كبيرا لظاهرة الجفاف والقحط.وحذر البنك من النتائج الوخيمة لهذه التغيرات المناخية على الأمن الغذائي لسكان الدول العربية ، وخصوصا المياه التي باتت شبه منعدمة في العديد من المناطق الجافة في المنطقة . وفي المقابل تشير دراسة أعدتها

مؤسسة " ناشيونال جيو غرافيك " إلى ارتفاع منسوب المياه في البحر الأبيض المتوسط في حال تواصل ارتفاع درجات الحرارة ، مما سيؤدي إلى غرق المناطق الساحلية لمعظم الدول العربية من المغرب غربا إلى البحرين شرقا.

ولا تختلف النتائج التي توصل إليها التقرير الذي أصدره المنتدى العربي للبيئة التنمية وعن تأثير التغيرات المناخية في المنطقة العربية عام ٢٠٠٩ ، حيث أشار إلى توقعات خطيرة ضارة بالبيئة العربية ، منها الأضرار المتوقعة على المناطق الزراعية لوادي النيل حيث يتوقع في نهاية القرن الحالي أن يفقد (١٢) مليون مصري أراضيهم الزراعية ، كما أن منطقة الهلال الخصيب ستفقد خصوبتها و احتمال أن يتلاشى نهر الفرات عند نهاية القرن الحالي.

تشير تقارير الأمم المتحدة المتعلقة بالبيئة إلى أن أغلب المناطق المعرضة للتصحر تقع في العالم العربي ، حيث تشير هذه التقارير إلى أن نحو (٣٥٧.٥٠٠) كيلو متر مربع من الأراضي الزراعية أو الصالحة للزراعة في عدد من الدول العربية أصبحت واقعة تحت تأثير التصحر. وشهدت مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا ، تحول نحو (٦٥٠.٠٠٠) كيلومتر مربع من أراضيها إلى أراض متصحرة خلال (٥٠) سنة فقط . أما في دول الخليج العربي والشرق الأوسط فإن ظاهرة التصحر باتت تكتسح مساحات شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة ما يمثل تهديدا خطيرا للأمن القومي الغذائي والمائي لهذه الدول .

تشير بعض التقاريرالتونسية إلى انه يتوقع أن يؤدي إرتفاع درجة الحرارة بمقدار (١.١) درجة مئوية بحلول عام ٢٠٣٠ ، إلى إنخفاض الموارد المائية بنحو (٢٨ ٪) ، وفقد نحو (٢٠ ٪) من الأراضي الزراعية، و (٥٠ ٪) من أراضي الغابات غير المروية في جنوب تونس بحلول العام نفسه . وفي لبنان يتوقع أن يؤدي إرتفاع درجات الحرارة إلى القضاء على المجتمعات النباتية في المناطق الجبلية ، كما يتوقع إنحسار الأمطار من جهة ، وغمر لبعض المناطق الساحلية والجزر الصغيرة من جهة أخرى.وفي المغرب يتوقع الخبراء انه بحلول العام ٢٠٢٠ سيؤدي ارتفاع درجات الحرارة إلى نقص (١٥ ٪) في الموارد المائية ، وإنخفاض نحو (٥٠ ٪) في الإنتاج الزراعي في مواسم الجفاف ونحو (١٠ ٪) في مواسم الأمطار . والمملكة العربية السعودية يتوقع غرق (٢٦٦٣) هكتارا من الشواطئ الرملية بحلول العام ٢١٠٠. ومن المتوقع أن تتأثر الثروة السمكية بارتفاع درجات الحرارة ، وقد يؤدي الإحتباس الحراري وزيادة موجات الحرارة إلى إنتشار الأمراض والأوبئة وتدهور الأوضاع الصحية في الكثير من البلدان العربية .

أكدت الوقائع والأحداث القريبة صحة هذه التوقعات ،إذ لحقت ببعض البلدان العربية أضرارا جسيمة نتيجة للتغيرات المناخية في السنوات الاخيرة . فقد ازدادت وتيرة حدوث الفيضانات السريعة في عدد كبير من المدن العربية بسبب ازدياد كثافة هطول الأمطار في فترة زمنية محدودة ، حيث اسفرت الفيضانات السريعة في مدينة جدة السعوديه عام ٢٠٠٩ عن مقتل أكثر من (١١٦) شخصا ، واودت الفيضانات في مدينة فاس المغربية

بحيـاة (٣٠) شخصـا . كمـا شـهدت بعض المـدن الجزائريـة العديـد مـن الفيضانات عام ٢٠١٢ ، التي اودت بحياة أكثر من (٤٨) شخصا . أمّا فـي سـلطنة عُمـان ، فقـد شـهدت المدن السـاحلية عـام ٢٠٠٧ أعاصـير وفيضانات ساحلية اودت بحياة أكثر من (٣٠) شخصًا . وعانت مدينة العقبة الاردنيـة في تشرين الاول من العام ٢٠١٢ من فيضـانات سـريعة ادت الـى مقتل شخصـين وتدمير العديد من المنازل والممتلكات ، فضـلا عن الخسائر المادية الجسيمة التي لحقت بهذه البلدان .

وفي ضوء ما تقدم فأن ثمة إجراءات سريعة يجب أن تتخذها البلدان العربية مجتمعة أو منفردة ، للحد من الأضرار الفادحة والمخاطر الوخيمة التـي يمكـن أن تسببها التغيـرات المناخيـة فـي مجـالات كثيـرة مـن مقومـات حياتها الأساسية ، ما لم يتم التصدي الحازم لها بتضافر جهود هذه البلدان في إطار إستراتيجية قومية تعد لهذا الغرض .

الخاتمـــة :

إزداد تأثير التغيرات المناخية في السنوات الأخيرة نتيجة ما تشهده البلدان المختلفة من عمليات تصنيع واسعة ، نجم عنها تلوث هائل بات يهدد البيئة بشكل لم تعرفه البشرية من قبل ، لدرجة يتوقع فيها بعض خبراء البيئة انقراض بعض أنواع الكائنات الحية في أقل من نصف قرن إذا ما إستمر التلوث البيئي بمعدلاته الحالية . ويعزى هذا التلوث إلى زيادة إنبعاثات الغازات الدفينة ، وهو أمر يتطلب تضافر جهود جميع دول العالم ولاسيما الدول الصناعية الكبرى ، والدول الناهضة صناعيا خفض هذه الإنبعاثات للحد من اثارها المدمرة ، وبخلافه سيشهد العالم المزيد من الفيضانات والزلازل والأعاصير في بعض البلدان ، والمزيد من الجفاف والتصحر ونقص الموارد المائية من جهة أخرى . ويتوقع أن تتأثر معظم البلدان العربية بهذه التقلبات المناخية ما لم يتم التصدي لها من الآن بتعاون دول العالم المختلفة .

المصــادر :

١. مدني ، محمود – تـأثير تغيـر المنـاخ علـى البلـدان العربيـة – المنتدى العربي للبيئة والتنمية – مجلة البيئة والتنمية/ العدد ١٢٨/ تشرين الثاني/ ٢٠٠٨

٢. البيئـة العربيـة : تغير المنـاخ ، أثر تغيـر المنـاخ علـى البلدان العربيـة – التقرير السنوي للمنتدى العربي للبيئة والتنمية / ٢٠٠٩.

٣. نهضـة الجنوب : تقدم بشـري في عالم متنوع – تقرير التنميـة البشرية / برنامج الأمم المتحدة الإنمائي / ٢٠١٣ .

٤. حالة البيئة ومساهمة برنامج الأمم المتحدة للبيئة في التصدي للتحديات البيئيـة الأساسية – تقرير مجلس أدارة برنـامج الأمـم المتحـدة للبيئـة / الـدورة السـابعة والعشـرون لمجلس الإدارة / المنتـدى البيئـي الـوزاري العالمي/ نيروبي / ٢٠١٣ .

٥. قاسم ، حازم – تغير المنـاخ وآثاره علـي المنطقة العربية جريدة الأهرام الرقمي . ٢٠١٤.

٦. جريو ، داخل حسن – تأثير التغيرات المناخية في البلدان العربيـة جريدة عمان/ مسقط/ الاثنين/ ١٩ رجب ١٤٣٥هـ ./ ١٩ مايس/ ٢٠١٤م .

٧. Understanding the Links between Climate Change and Development World Development Report 2010 .

المعجم الكبير
وأثرهُ في تطور اللغة العربية

الدكتور محمد صالح ياسين الجبوري
كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة ديالى

الملخص :

يقوم هذا البحث على دراسة ((المعجم الكبير وأثرهُ في تطور اللغة العربية)) . إذ تضمنت هذه الدراسة مفهوم المعجم والتأليف المعجمي وموارد المعجم الكبير ، ثم استعرضت أهمية المعجم الكبير ووظائفه في تطور اللغة ، وذكرت بعد ذلك نماذج تحليلية من المعجم الكبير التي تضمنت التطور الدلالي في الألفاظ والصيغ الصرفية ، والتوليد وعلاقته بالصوت ، ودلالة الصوت في المعجم الكبير ، ثم انتقلت إلى بيان أثر المعجم الكبير في تنمية اللغة وعلاقته بالعلوم اللُغَوية وغير اللُغوية .

ومن خلال ما تقدم اعتمدت في هذه الدراسة على المعجمات اللُغوية وعلى كتب العلماء القدماء و دراسات المحدثين ، وفي مواطن الاستشهاد على القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية والدواوين الشعرية لمختلف العصور .

وبعد .. ختمنا دراستنا لهذا الموضوع بذكر أهم النتائج التي توصلنا إليها .

أولا : مفهوم المعجم : The concept dictionary

الدلالة اللغوية للمعجم : المعجم وعاء اللغة ((ويدور المعجم حول الكلمة إيضاحا وشرحا ليجلو منها ما نسميه المعنى المعجمي))[1]. قال ابن جني : ((أعلم أن **ع ج م** إنَّما وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء وضد البيان والإفصاح من ذلك قولهم رجل أعجم وامرأة عجماء إذا كانت لا يفصحان ولا يبينان كلامهما وكذلك العجم والعجم ومن ذلك قولهم عجم الزبيب وغيره وإنّما سمي عجما لاستتاره وخفائه بما هو عجم له ومن ذلك قوله جرح العجماء جبار يراد به البهيمة لأنها لا توضح عما في نفسها ومن ذلك تسميتهم صلاتي الظهر والعصر العجماوين لما كانتا لا يفصح فيهما بالقراءة قال أبو علي ومن ذلك قولهم عجمت العود ونحوه إذا عضضته قال وهو يحتمل أمرين كل واحد منهما راجع إلى ما قدمناه أحدهما أنه قيل فاك لتعضه فقد أخفيته في فيك والآخر أنك قد ضغطت بعض أجزائه بالعجم فأدخلت بعضها في بعض فأخفيتها وربما سمت العرب الأخرس أعجم من هذا فأما قول ذي الرمة [2]:

حتى إذا جعلته بين أظهرها ... من عجمة الرمل أنقاء لها حبب

---

[1] مناهج البحث في اللغة ، الدكتور تمام حسان : ٢٥٨.

[2] ديوان ذي الرمة :١٦. رواية الديوان :

....

مِنْ عُجمة الرَّمْلِ أثباجٌ لها حَبَبُ

فالعجمة معظم الرمل وأشده تراكماً سمي بذلك لتداخله واستبهام أمره على سالكه ومنه قولهم استعجمت الدار إذا صمت فلم تجب سائلها قال امرؤ القيس[3] :

صَمَّ صَدَاهَا وَعَفَا رَسْمُها وَاسْتَعْجَمَتْ عن مَنْطِقِ السائِلِ

فإن قال قائل فيما بعد إن جميع ما قدمته يدل على أن تصريف ع ج م في كلامهم موضوع للإبهام وخلاف الإيضاح وأنت إذا قلت أعجمت الكتاب فإنَّما معناهُ أوضحتهُ وبينتهُ فقد ترى هذا الفصل مخالفا لجميع ما قدمته ، فمن اين لك الجمع بينه وبين ما ذكرته))[4].

إذ جاء في اللسان : (((عجم) العُجْمُ والعَجَمُ خِلافُ العُرْبِ والعَرَب يَعْتَقِبُ هذانِ المثالان كثيرا يقال عجميٌّ وجمعه عَجَمٌ وخلافه عَربيّ وجمعه عرَبٌ ورجل أَعْجَم وقوم أَعْجَمُ قال سلْومُ لو أصْبحْتِ وَسْطَ الأَعْجَم في الرُّومِ أو فارِسَ أو في الدَّيْلَمِ [...] وكذلك الأَعْجَميُّ فأما العجميُّ فالذي من جنس العجَم أَفْصحَ أو لم يُفْصِحْ والجمع عَجَمٌ [...] ورجل أَعْجميٌّ وأَعْجَمُ إذا كان في لسانه عُجْمة وإنْ فَصحَ بالعجمية وكلامٌ أعْجَمُ وأَعْجَميٌّ بَيِّنُ العُجْمة [...] وذهب محمد بن يزيد إلى أن المُعْجم مصدر بمنزلة الإعجام كما تقول أَدْخَلْتُه مُدْخَلا وأَخْرَجْتُه مُخْرجا أي إدخالا وإخراجا ...))[5]. ويذكر الصحاح بأن (المعجم) أشتق من الجذر الثلاثي (عجم) قائلا : ((العجم : النقط بالسواد ، مثل التاء عليه نقطتان . يقال : أعجمت الحرف.

---

(3) ديوان امرؤ القيس : ١١٩.

(4) سر صناعة الأعراب : ١/٣٦، ٣٧ .

(5) اللسان : مادة (عجم) : ١٢/٣٨٥.

والتعجيم مثله ، ولا تقل عجمت. ومنه حروف المعجم ، وهي الحروف المقطعة التي يختص اكثرها بالنقط من بين سائر حروف الاسم،ومعناه حروف الخط المعجم))[6].

الدلالة الاصطلاحية للمعجم : مرجع يشمل على مفردات لغة ما ،مرتبة عادة ترتيبا هجائيا ، مع تعريف كل منها وذكر معلومات عنها من صيغ ونطق واشتقاق ومعانٍ واستعمالات مختلفة ، مثال ذلك (المعجم الكبير ، والوسيط ، والوجيز) التي صنعها مجمع القاهرة اللُّغوي .

وتعريف آخر : وهو عبارة عن كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتحليلها وتفسير معانيها على أن تكون المواد مرتبة ترتيبا خاصا ، إما على حروف الهجاء أو الموضوع[7].

أما المرحوم الدكتور رشيد العبيدي فيرى أن المعجم هو تصنيف ((يتميز من وسائل التصنيف اللُّغوي عند الباحثين العرب بأنه وعاء يحوي مفردات اللغة وتفسير دلالاتها المعرفة والاجتماعية والسياقية عبر عصور الاستعمال حتى نهاية القرن الرابع الهجري))[8] . فالمعجمية العربية هي فن من فنون اللغة الكبرى التي اعتنى بها العرب عناية خاصة، ووضعوا فيها نظريات كبيرة ، واستنبطوا لها تطبيقات عدة ، ولكن أصحاب المعجمات لم

---

[6] الصحاح : ٦/ ٢٥٩.

[7] ينظر : المعاجم العربية مدارسها ومناهجها . الدكتور عبدالحميد محمد أبو سكين : ٨ .

[8] سمات المعجمات اللغوية العربية وخصائصها المنهجية . الدكتور رشيد العبد ، بحث منشور مجلة المجمع العلمي العراقي . مج ٧ ٤/ج ٤/ ٢١٢.

يعننوا بالنظريات بقدر ما عنوا بالتطبيقات مما يستوجب من الذين يهمون بصنع معجمات حديثة أن يولوا الدراسات الحديثة التي خصصت لهم عناية خاصة.

إذن المعجم في الاصطلاح : يُطلق على الكتاب الذي يضم بين دفتي مفردات وكلمات للغة ما ، مرتبة ترتيبا خاصا والغالب يكون الترتيب هجائيا ، وكل مفردة مصحوبة بما يرادفها أو يفسرها ويشرح معناها ويبين أصلها. أي جذرها التاريخي أو اشتقاقاتها ، وربما يوضح أصل الكلمة ويبين طريقة نطقها ويذكر ما ينظرها ويقابل معناها في لغة أُخرى ، كما فعل المعجم الكبير الذي قابل الكلمة أو اللفظة العربية باللغات السامية (العبرية ، والآرامية ، والأكدية ، والسريانية ، والحبشية .....) . وغيرها .

فأول من استخدم مصطلح **(معجم)** لم يكن اللغويين أول من استعمل هذا اللفظ في معناه الاصطلاحي ، وإنما سبقهم إلى ذلك رجال الحديث النبوي الشريف ، وقد أطلقوا كلمة(معجم) على الكتاب المرتب ترتيبا هجائيا ، الذي يجمع أسماء الصحابة ورواة الحديث ، ويقال : أن البخاري كان أول من أطلق لفظ (معجم) وصفا لأحد كتبه المرتبة على حروف المعجم ، ووضع أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى (ت ٣٠٧ هـ) (معجم الصحابة) ووضع أبو القاسم البغوي (٢١٣ ٣١٧ هـ = ٨٢٨ . ٩٢٩ م) (معجم الصحابة) وهكذا .

ويلحظ إن اللُغويين القدماء لم يستعملوا لفظ (معجم) ، ولم يطلقوه على أعمالهم اللغوية ، وإنما كانوا يختارون لكلّ منها اسما خاصا به ، فهذا

(العين) مثلا ، وذاك (الجمهرة) و (الصحاح) ، وهكذا كانوا يعملون في تسمية معجماتهم ، أما تسمية لفظ (معجم) لكتبهم كانت متأخرة .

ثانيا : التأليف المعجمي : Authoring lexical

قال اللُغَوي الألماني فيشر : ((إذا استثنينا الصين فلا يوجد شعب آخر يحق له الفخاربوفرة علوم لغته وبشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها بحسب أصول وقواعد غير العرب))[٩]. لاشك في أن لكلِّ انجاز كبير ، أو نتاج فكري ، أن تكون لهُ دوافع مهمة سهلت ظهوره ، وأن المجمع اللُغوي في القاهرة منذ تأسيسه عام (١٩٣٤م) عمل على ((أن يحافظ على سلامة اللغة ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة لحاجات الحياة في العصر الحاضر ، وله أن ينظر في قواعد اللغة ، وأن يتخير . إذا دعت الضرورة . من آراء أئمتها ما يوسع دائرة أقيستها، ويذلل الطريق إلى الغاية التي تنشد من كلِّ لغة يراد أن تكون أداة سهلة للتعبير عن المقاصد العلمية وغير العلمية))[١٠].

وبعد إن اتجهت رغبة المجمع في التأليف المعجمي ، ولاسيما (المعجم الكبير) الذي كان طموح المجمع في هذا العصر والذي لقي عناية كبيرة أكثر من غيره من المعجمات اللُغوية التي سبقته ، إذ ألف المجمع في بداية تأسيسه إحدى عشرة لجنة ومنها لجنة المعجمات وإحياء التراث . وقد قامت

---

[٩] المعجم اللغوي التاريخي: ق ١ / المقدمة .

[١٠] مرسوم إنشاء المجمع سنة ١٩٣٤م . ينظر : محاضر جلسات المجمع : ٨. سنة (١٩٣٦م) .

هذه اللجنة بإعداد مواد المعجم الكبير ، وتختص بالفحص عن جميع ألفاظ العلوم والفنون والآداب على أن تستعين في عملها بمن تشاء من العلماء المتخصصين أفرادا وجماعات[11].

وبعد أن أصدرت لجنة المعجمات جزءً من هذا المعجم سنة (١٩٥٦م) والبالغ عدد صفحاته (٥٠٠ صفحة) ، تبين منه ما يأتي :

يمتاز المعجم في رأي مؤلفيه بجوانب ثلاثة أساسية ، وهي على النحو الآتي[12]:

١ـ جانب منهجي ، هدفه الأول دقة الترتيب ووضوح التبويب . وتم هذا بإتباع الترتيب الألفبائي المألوف في المواد،من حروفها الأصلية الأولى إلى الأخيرة ، وإتباع ترتيب صارم للصيغ داخل كل مادة .

٢ـ جانب لغوي ، عنى بأن تصور اللغة تصويرا كاملا ، فيجد فيها طلاب القديم حاجتهم ، ويقف عشاق الحديث على ضالتهم .

٣. جانب موسوعي ، إذ يقدم ألوانا من العلوم والفنون والمعارف تحت أسماء المصطلحات والأعلام .

---

(١١) ينظر: المعجم العربي نشأته وتطوره ، الدكتور حسين نصار : ٢/٥٩٠.

(١٢) ينظر : المعجم الكبير : الدكتور إبراهيم مدكور ، (بحث منشور) في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة : ١٢/٢٨ وما بعدها ، و المعجم العربي نشأته وتطوره : ٢/ ٥٩١ .

ومن مزاياه الأُخرى :

- أنه المعجم الوحيد الذي حوى القديم بأكملهِ بحوشيهِ ومستعملهِ إلى جانب المستجدات الحديث من الألفاظ الداخلة والمولدة وألفاظ ومصطلحات العلوم والفنون المستعملة والمستخدمة ، مثل : الرنين المغناطيسي وغيره .
- اشتماله واتصافه على الموسوعية لم يحتوي على الكثير من التعاريف وترجمة الأعلام وغيرها .
- أمتاز بسهولةِ الترتيب والاستعمال من قبل المستخدم، بخلاف المعجمات العربية القديمة ، كاللسان والتاج وغيرهما ، في نظام الباب والفصل .
- يعمل على تتبع الدلالي للمفردة في مواطن الاستشهاد عن عصورها المختلفة .
- يعمل على التوسع الدلالي في اشتقاق الأفعال التي لا فعل لها .
- يعمل على إقرار الألفاظ الشائعة في الكتابات الأدبية ويضع لها تعاريف ، وهي غير المدونة في المعجمات العربية القديمة ، فمثلا لفظة (سرسوب) للبن ، التي أخذت اتساع دلالي جديد لم تذكرها المعجمات القديمة أو تعرفها. أي في جانب اتساع اللغة .
- يعد أول معجم يبدأ بمقارنة الألفاظ العربية مع اللغات السامية الأُخرى كالعبرانية والسريانية والآرامية والأكادية وغيرها ، ومع بيان دلالاتها .
- ذات نظام مفتوح لا يمكن حصرهُ في عدد معين من الألفاظ أو الوحدات المعجمية .

أما سياق ترتيب المواد المكتملة لهذا المعجم ، فهو يرد في أقسام متميزة على الترتيب الآتي[13] :

أولا : النظائر السامية بحروف لاتينية متلوة بالنطق العربي التقريبي . وأرجعت الكلمات المعربة إلى أصولها .

ثانيا : المعاني الكلية ، ورتبت من الأصلي إلى الفرعي، ومن الحسي إلى المعنوي ، ومن الحقيقي إلى المجازي ، ومن المألوف إلى الغريب .

ثالثا : الأفعال ،قدمها المعجم على الأسماء.وقدم الثلاثي على الرباعي ، والمجرد على المزيد ، واللازم على المتعدي .

وقد رتبت صيغ المجرد الثلاثي في المعجم الكبير ، على النحو الآتي:

١. فَعَل يفعُل.

٢. فَعَل يفعِل .

٣. فعل يفعَل .

٤. فعِل يفعَل .

٥. فعُل يفعُل .

٦. فعِل يفعِل .

ثم يرد المزيد منه بحرف ، كما يأتي :

أفْعَل . ثم فاعَل . ثم فعّل ؛ ثم المزيد بحرفين ، كما يأتي :

افتعل . انفعل . تفاعل . تفعّل . افعلّ ؛ ثم المزيد بثلاثة حروف ، كما يأتي :

استفعل . افعوعل افعالّ . افعوّل .

---

[13] ينظر : المعجم العربي نشأته وتطوره : ٢ /٥٩١.

ثم يرد الرباعي : المجرد منهُ والمضاعف حسب ترتيب الحروف التي يتكون منها ثم المزيد : تفعلل ثم افعللّ . ثم المبني للمجهول .

رابعا : المصادر : وأتى منها بما نصت المعجمات عليه ، وقدم القياسي من الفعل الثلاثي ، أما المصادر القياسية من الأفعال غير الثلاثية فقد أهملها .

خامسا : الأسماء : ورتبها على الألفباء ، مع تقديم الألف اللينة على الهمزة.

أما موارد المعجم الكبير :

إذ نهل مادته اللغوية من المعجمات وكتب اللغة والأدب والأمثال والعلم والتاريخ ، ولم يشر إلى واحد منها إلا إن انفرد بروايته أو كان لهُ رأي خاص . والتزم قرارات المجمع في تكملة المواد ، واحتذى بالقدماء في الشواهد . وضمن الجانب الموسوعي المصطلحات وأعلام الأشخاص والبلدان وأسماء النبات والحيوان : واستعان فيه بالرسوم والصور والخرائط . وراعى في الكلمات المعربة أن يأتي بما تصرف العرب فيه بالاشتقاق في الأصل الثلاثي المزعوم لهُ ، وفيما لم تتصرف فيه حسب صورته الظاهرة [١٤].

أما الرموز السياقية في المعجم الكبير :

ألتزمَ المعجم الكبير في سياقه الرموز الآتية :

١. (*) تسبق رأس الكلمة المفسرة .

---

[١٤] ينظر : المصدر السابق : ٢ /٩١٥

٢. (ـــِـ) لبيان ضبط عين المضارع بالحركة ، أو الحركات التي توضع فوقها أو تحتها .

٣. (0) للمادة الفرعية تمييزا لها عن المادة الأصلية .

٤. (و. :) للدلالة على تكرار الكلمة لمعنًى جديد .

٥. (ج) لبيان الجمع ، (**جج**) لبيان جمع الجمع .

٦ـ [ ] يحصران بينهما تفسيرا لما تقدّمهما من لفظ غامض في كلام أو شعر .

٧. (ـ) للإشارة إلى أن المعنى بالتفسير هو ما يليها ، أما ما قبلها فقد ذُكِرَ لأنَّهُ مَظنّة الطّلب لهذا التعبير .

إذن أن هذا النوع من التأليف المعجمي يجعل الناس طويل النفس ولا يقاس بمقياس الزمن ولا يحسبُ للوقت فيه حساب .

أما بالنسبة لمعجم ألفاظ القرآن الكريم :

إذ اقترح الدكتور(محمد حسين هيكل) عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وضع معجم خاص بألفاظ القرآن ، وكان ذلك في دورة المجمع السابقة في الجلسة الثانية لمؤتمر المجمع في(٦ محرم . ١٣٦٠هـ ـ الموافق ٢ فبراير سنة ١٩٤١م) .

وبعد بضع دورات وجلسات وفي عام ١٩٤٦م ، تشكّلت لجنة من المجمع وبدؤوا بإعداد المعجم ضمن مراحل متعددة :

١ - اذا كانت الكلمة القرآنية ترد في القرآن بمعنى واحد :

أ . تشرح شرحا لغويا .

ب . يبيّن أن الكلمة وردت في القرآن في مواضع متعددة ، وانها جاءت في كل هذه المواضع بالمعنى الذي ذُكر آنفا .

٢- إذا كان لها معانٍ لغوية مختلفة :

أ - ينص على المعاني اللغوية كلها .

ب - يوخذ أولا أكثر المعاني دورانا في القرآن ، وينص على أن الكلمة وردت بهذا المعنى في كذا وكذا موضعا ، ويُذكر مثالان من الآيات مع اسم السورة ورقم الآية ، ثم يُكتفى بعد ذلك بما جاء في هذا المعنى بذكر السورة ورقم الآية .

ج - تذكر المعاني الأخرى معنى بعد آخر، ويذكر بعد ذلك عدد الآيات التي جاءت فيها الكلمة بهذا المعنى، ويُكتفى بمثال ، ثم تذكر السور وأرقام الايات الأخرى .

٣- إذا كان للكلمة أكثر من معنى يُبدأ بالمعاني التي وردت في قليل من الآيات ثم يذكر المعنى الذي ورد به في كثير من الآيات .

٤- إذا كان للكلمة معنى لغوي واحد ولكنها استعملت في القرآن الكريم بألوان مختلفة بسبب المجاز ونحوه، نص على المعنى اللُّغوي البحت .

لقد رتبت ألفاظ القرآن في هذا المعجم بحسب ترتيب حروف الهجاء ، مسترشدة بالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله ، وإن الآيات التي أحال إليها المعجم هي أرقام المصحف المتداول ، ووُضِعَ رقم يبيّن عدد مرات كل لفظ من الألفاظ في القرآن .

وبعد هذا المعجم الذي وضعه مجمع اللغة بالقاهرة ، أعِدَّت معاجم أخرى تشرح الألفاظ القرآنية وتشير إلى مكانها ، وكان لكل معجم خصائص تميزه عن غيره .

أما القسم الآخر من هذه المعجمات التي تشرح الألفاظ،فقد أخذت الكلمة كما وردت في القرآن من دون أن تجردها من أحرف الزيادة، وأشارت إلى مكانها وشرحتها لغويا وبينت معانيها في الآيات .

وهذا ما فعله المرحوم الأستاذ (حامد عبد القادر) عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة في (معجم ألفاظ القرآن الكريم) الذي طبع أول مرة عام (١٣٨٩هـ . ١٩٦٩م) . إذ رتب فيه الكلمات وفق ترتيب الأحرف الأبجدية دون تجريدها ، ثم شرح معناها اللغوي وبعدها أتى بمعانيها في الآيات مع ذكر الآية[١٥].

إذن إن من أسباب دواعي تأليف هذا المعجم هو صعوبة الرجوع إلى المعجمات العربية القديمة ، وذلك لكثرة استطراداتها وغموض بعض ألفاظها ؛ فـ ((المعجم العربي القديم ، على غزارة مادته وتنوع أساليبه ، أضحى لا يواجه تماما حاجة العصر ومقتضياته))[١٦]. فقد أصبحت الحاجة بعد ذلك ملحة لتأليف معجم حضاري حديث يسد حاجات ومتطلبات الدارسين وطلاب العلم والمجتمع ..

---

(١٥) ينظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم : ١/ المقدمة .

(١٦) المعجم الوسيط : المقدمة ، بقلم الدكتور إبراهيم بيومي مدكور : ٩.

ثالثا : أهمية المعجم الكبير في تطور اللغة :

Lexicon great importance in the evolution of language

إنّ اللغة العربية تمثلُ هوية الأمة العربية ، وهي مناط وحدتها ، ومجتلى حضارتها ،ومستودع أفكارها ، وسجل تاريخها الفكري والحضاري والثقافي ، وعلى الرّغم من إنها مرّة بمراحل الركود كان مصدرها الظروف القاهرة وأساليب الاستعمار المختلفة ؛ إلا أن وجودها موغل في القدم، فهي من أعرق اللغات العالمية ، وأغزرها مادة . وهي في رأي المستشرقين من أمثال أونسهوزن **OLSHAUSEN** وإسرائيل ولفنسون ، أقرب اللغات إلى السامية القديمة[٢٧].

ومع هذه المنزلة العظيمة والكبيرة للغة العربية وتميزها عن بقية لغات العالم ، لم يوضع لها معجم يؤرخ حياة هذه اللغة ويتابع ما يجري فيها من تطور و أثراءٍ في ألفاظها وتراكيبها عبر العصور .

أما مهمة المعجمات في دراسة المفردة أو المفردة ،تكمن في توفير نقاط ثلاث، وهي على النحو الآتي :

١. **اللفظ والهجاء** : بحيث أنه من المعروف انه ليس كل ما يكتب ينطق ، فكان على المعجمات مهمتها بتقديم معلومات عمّا يكتب ولا ينطق ، وتوضيح ، أي خطأ في نطق مفردة ما .

٢. **التحديد الصرفي** : إذ يقوم المعجم بتحديد نوع الكلمة : اسم ، وفعل ، وصفات ومشتقات وغيرها . ومن تذكير وتأنيث ، ومفرد وجمع .

---

[٢٧] ينظر : تاريخ اللغات السامية ، ولفنسون : ٧.

وتوضح تعديها ولزومها ، وبيان صورها الاشتقاقية وما إلى ذلك من أمور الصرف .

٣- **الشرح والتحليل** : وهو بيان معنى المفردة ، وهي الوظيفة الأساسية لأي معجم كان ، وبيان دلالات لكل مفردة سواء كانت حقيقية أو مجازية ، ومعنوية أو حسية .

على الرغم مما حظيت به اللغة العربية بمكانة كبيرة بين لغات العالم وتحلت بها جملة خصائص جعلتها لغة العلم والحضارة ، إذ أفرد الدكتور علي عبد الواحد وافي هذه الخواص وذكر ، منها[١٨] :

١ دقة قواعدها النحوية .

٢. غزارة مفرداتها .

٣. خصب مناهجها في الاشتقاق .

٤. قياسية أوزانها واختصاص كثير من هذه الأوزان بالدلالة على معان معينة .

على الرغم من عمل المجمع المتواصل منذ تأسيسه والى الآن هو من أجل خدمة لغتنا العربية ومتابعة ما يطرأ عليها من أنماء وتطور في مفرداتها وتراكيبها وأساليبها وصيغها الصرفية ، إذ قام المجمع بصنع معجم أسمه (المعجم الكبير) بدلا من المعجم التاريخي لفيشر (ت: ١٩٤٩م) الذي شمل اللغة العربية منذ القديم حتى نهاية القرن الثالث الهجري .

فالغاية من تأليفه تتبع تطور ألفاظ اللغة ودلالاتها وتحديد أزمانها التأريخية ، وضبط ما طرأ عليها من التغيير عبر العصور ، وتبيين الوشائج

---

[١٨] ينظر : فقه اللغة : الدكتور علي عبد الواحد ، دار نهضة مصر ، القاهرة : ٢٤٤.

والصلات التي تربط بين الألفاظ والألفاظ وبين الدلالات والدلالات ، والإفادة من هذه الثروة اللُّغوية الضخمة في فهم النصوص .

وفي إحياء ما لهُ قابلية منها لتوظيفه في التوليد المعجمي اليوم للتعبير عن المفاهيم العلمية والحضارية .

فالمعجم الذي يتتبع تطور الوحدات المعجمية ودلالاتها ، وبيان علاقة الجذر العربي بالجذور السامية الأُخرى ، هو المعجم الكبير الذي قاله عنه الدكتور إبراهيم مذكور : ((إنّ هذا المعجم لون جديد في عالم المعجمات العربية ، فيه تأصيل وتحقيق ، وجمع واستيعاب ، ورجوع إلى المصادر الأولى ، وتعويل ما أمكن على النصوص الثابتة . وقد عُني فيه عناية خاصة بالوضوح والدقة ، فرُتّب ترتيبا دقيقا ، وبُوّب تبويبا سهلا ، والتزم الترتيب الحرفي ، ولكن في حدود المادة اللُّغوية ، تمشيا مع طبيعة العربية وأنها لغة اشتقاقية . وصيغت التعريفات في عبارة مختصرة وأسلوب سهل ، ووضحت النصوص المأثورة والشواهد المُعَقّدة ، واستخدمت بقدر الرسوم والصور والخرائط ، وما كان لنا أن نتوسع فيها في معجم لغوي .))[١٩].

ومن وظائف المعجم الكبير :

١. يعتبر المزود الأكبر للمفردات والكلمات التي نقولها أو نسمعها.
٢. يعد مرجعا في تصريف الكلمة ومعرفة اشتقاقاتها.
٣. يزيد من الملكة الأدبية لدى الباحث بوجود النصوص الشرعية والشواهد الأدبية.

---

[١٩] المعجم الكبير : ١/ و . المقدمة .

٤. يعد كذلك مرجعا جغرافيا لبعض الأماكن ، ومرجعا للوقائع التاريخية.
٥. يعتبر مرجعا للمصادر السماعية التي لا قاعدة لها..
٦. يعتبر كذلك مرجعا في ضبط المفردات بالشكل والحركات .. والتفريق بين الكلمات التي لها نفس الأحرف والترتيب.
٧. يعمل على ذكر الدال والمدلول بين الاشتقاقات اللغوية ، ورصد أوجه التطور أو التغير في معاني الألفاظ وتتبع أبعادها الزمانية والمكانية في كل مجالات الاستعمال ومستوياته .

إذن إن أهمية هذا المعجم للغة يرجع لحملهِ في طياته الكثير من الألفاظ ومعانيها ، وهذا ما لا يمكن أن يحيط به ، أي شخص مهما كان واسع الاطلاع ، كما إن مفردات اللغة تختلف بين أبنائها بحسب ثقافاتهم ، وهذا يرجع إلى الكلمات المستخدمة ، فمنها العامية واليومية والأدبية والمتخصصة ، كما أن الاحتكاك بين اللغة العربية واللغات الأُخرى يولد الكثير من الألفاظ المستعملة في الحياة اليومية ، وهذا يجزم بأنه لا توجد لغة حيّة الآن إلا وقد استعارت مفردات من لغات أُخرى ، وهذا ما نجده في المعجم الكبير الذي قام بترتيب وتصنيف مفردات اللغة وبيان معانيها بأسلوبٍ سهل وميسر .

أهمية المعجم الكبير

يساعد الدارسين والباحثين في الشرح والتحليل

يساعد على تنسد اللغة وتطورها (ألفاظها وتراكيبها وصيغها)

رابعا : نماذج تحليلية من(المعجم الكبير) :

Analytical models of (large lexicon)

(١) – التطور الدلالي في الألفاظ .

أقرَّ المجمع في المعجم الكبير الكثير من الألفاظ ذات دلالاتٍ متنوعة ، التي أسهمت في بناء وإثراء اللغة ، ومنها على النحو الآتي :

– ((**التَّرسانة**)) : حشرها المعجم الكبير تحت جذر (ت ر س) ، وذكر لذلك أصلان ، هما[٢٠] :

(١)– التُّرس .　　　　(٢)– التَّوَقِّى .

قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ) : ((التاء والراء والسين كلمة واحدة وهي التُّرس))[٢١] . ومن المجاز : ((أخذت إبلي سلاحَها وتَتَرَّست بتِرسَيها)). إذا سَمِنَت وَحَسُنَت ، وكأنّها مَنعَت بذلك صاحبها من عَقرها[٢٢] ، وذكر المعجم الكبير أن لفظة ((التُّرس)) في اليونانية (Bvpeos) ثُرِيُوس : خشبة تُوضَع خلف الباب لإحكام إغلاقه . وفي الفارسية (مَتْرِس) : دعامة الباب ، وأصلُها لا تخف : خَشبَة تُوضعُ خلف الباب لإحكام إغلاقه . والجمع فيها : (مَتارِس) على زنة (مفعال) ، ولها دلالة أُخرى : التُّرس من

---

[٢٠] ينظر : المصدر السابق : ٣/ ٦١.

[٢١] مقاييس اللغة : مادة (ترس) : ١/ ٣٤٣.

[٢٢] ينظر : المعجم الكبير : ٣/ ٦١.

السّلاحِ : ما يُتوقّى به في الحرب.والجمع : أَتْراسٌ ، و تِراسٌ ، وتِرَسَةٌ ، و تُرُوسٌ .

أما (**التَّرسانة**) فهي مشتقةٌ من مادة (ترس) : ((مستودع الذَّخائر والأسلحة وأدوات الحرب)).وهي مأخوذة من اللغات الأوربية الحديثة، في الفرنسية الحديثة : **arsenal** ، وفي الفرنسية القديمة : **tarsenal** ، وفي الايطالية : **arzenale** ، وفي الاسبانية : **darsena**. بل أن اللغات الأوربية هي التي أخذتها عن العربية ، بصيغة (دار الصناعة) أو (دار الصَّناعة) ، كما صرح بذلك المعجم الكبير قائلا :

((ويُظنُّ أن الكلمة مأخوذةٌ عن الكلمة العربية دار **الصناعة** : مَصنَعُ الأدوات الحربية والبحرية ، وما تزال ((دار الصَّنعة)) مُستعملةً في المغرب للمصنع الكبير))[23]. وهي التي كانت تُطلقُ على ورشةٍ لتعلُّم

---

[23] المعجم الكبير : ٦١/٣. وهذه الكلمة ظهرت في محيط المحيط (١٨٨٦ م) بلفظ : التَّرسانة والترسخانة، وبمعنى : ((المكان في جوار الميناء تعمل فيه المراكب ، ومُستودَعٌ فيه ما يلزمُ لذلك من المواد والأدوات والذخائر)) . وقال إنها كلمة إيطالية وأوردها بعده المنجد لليسوعي (١٩٠٨ م) بالصيغتين أيضا ، وذكر أن معناها : ((مستودَعُ الذخائر وأدوات الحرب ، ومعمل المراكب)) وقال : إنها (دخيلة) دون تحديد اللغة التي دخلت منها . وحُذفت الكلمةُ من مدوّنة المعجم الوسيط (١٩٦٠ م) ، لكنها عادت للظهور في المعجم العربي الأساسي(١٩٨٩ م) بصيغتي : ترسانة وترسانة (بكسر التاء وفتحها) ، بمعنى : مستودع الأسلحة ومكان بناء السُّفن وترميمها ، و وهو أول قاموس . فيما نحسب . نصّ على أن أصلها عربي لكن دون تحديد هذا الأصل . ينظر : محيط المحيط : باب (التاء) :٦٩ ، والمنجد في اللغة : مادة (ترس) : ٦٠ ، والمعجم العربي الأساسي : ٦٠٩.

إحدى الصَّنائع ثم قُيِّد استعمالُ الكلمة بالدلالة على مكان صناعة السُّفن الحربية خاصةً .

إذن أن دلالة هذه اللفظة هي ((دار الصناعة)) أو ((دار الصَّنْعة)) ثم انتقلت بعد ذلك للدلالة : على الذخيرة العسكرية أو الكمية الهائلة من الأسلحة . وهذا التداخل اللُّغوي يسهمُ في تطور اللغة العربية وإثرائها .

- ((مَخزَن)) : أشتق من الفعل الثلاثي (خَزَنَ) ، وقد ذكر المعجم الكبير لذلك أصلان ، هما[٢٤]:

(١) الحفْظ والصّيانةُ .　　　(٢) تَغيُّرُ الشيء وفسادهُ .

وقال ابن فارس في تأصيل (حزن) : ((الخاءُ والزاءُ والنونُ أصلٌ يدلُّ على صيانةِ الشيء))[٢٥]. ويقال : خزَن العَطاءَ عن فلانٍ . فهو خازنٌ . والجمع : خزنةٌ ، وخُزّانٌ . وهي خازنةٌ . والجمع : خوازنُ . والمفعولُ : مخْزونٌ ، وخزينٌ (فعيلٌ بمعنى مفْعُول)[٢٦].

وقد حشر المعجم الكبير لفظة ((مَخْزَن)) بمعنى : المكان الذي نَخزنُ فيه الأشياء ، وبعبارةٍ أُخرى : المخزنُ هو ما يخزن فيه الشيء[٢٧].وجاء في الأساس : ((خزن المال في الخزانة : أحرزه . واختزنه لنفسه ، واستخزنه المال ، وله مخزَن حريز ، وهو صاحب مخزن الأمير .))[٢٨]. ثم انتقلت

---

[٢٤] ينظر : المعجم الكبير : ٦/٣٢٣.

[٢٥] مقاييس اللغة : مادة (خزن) . ٢/ ١٧٨.

[٢٦] ينظر : المعجم الكبير : ٦/٣٢٤.

[٢٧] ينظر : المصدر السابق : ٦/٣٢٧.

[٢٨] أساس البلاغة : مادة (خزن) : ٢٢١.

هذه اللفظة من معناها الأصلي إلى معنى اخر لتدل على الدولة أو الحكومة أو السلطة أو الإدارة . هذا ما ستعمله بلاط الملك أو الأمير . في الاصطلاح المغربي . ومن ذلك : الخِزانَةُ : اسم الموضع الذي يخزن فيه الشيء. وقيل : كلُّ ما جَعَلْتَ فيه الشيء المخزون .

والمخزنيُّون : هم الذين يعملون في خدمة السلطان.وما زال هذا المصطلح مُسْتَخْدما حتى اليوم في المغرب[29].

ثم انتقلت دلالة (المخزن) إلى اللغات الأوربية تحديدا اللغة الفرنسية منذ سنة (١٤٠٠م) بصيغتي : **magasin** ، وبمعنى : مستودع ، ثم انتقلت لتدلّ على المحل التجاري ، ثم أخذت منها : **magazine** ، بمعنى : مجلة مصورة ، ثم اشتقت من ذلك كلمات كثيرة لتدلّ على معانٍ مختلفة[30].

إذن من خلال ما تقدم نلحظ تأثير اللغات بعضها في بعض ، وأخذ إحداها عن الأخريات ظاهرة عامة تشمل كل اللغات في العالم وهذه سمةٌ معروفة قديما وحديثا فضلا عن التطور الدلالي الذي أصاب هذه اللفظة وغيرها . وذلك نتيجة كثرة الاستعمالات في المجالات المختلفة ، وهذا ممّا يساعد على إثراء اللغة وتنميتها .

- ((**الحَرْشَفُ**)) : حشرها المعجم الكبير تحت الجذر الثلاثي (ح ر ش) ، وذكر فيه أصلان ، هما[31] :

---

(29) ينظر : المعجم الكبير : ٦/٣٢٦-٣٢٨

(30) ينظر : التأريخ لمعجم اللغة العربية أسئلة وإشكالات ، الدكتور عبد العلي الودغيري : ٤٤.

(31) ينظر : المعجم الكبير : ٥/٣٣٨

(١). الأَثرُ والتحزيزُ .   (٢). الإغراءُ .

أما ابن فارس فقد أصل للفظة (حرش) : ((الحاءُ والرّاءُ والسّينُ أصلٌ واحدٌ يَرْجِعُ إليه فروعُ الباب ، وهو الأثرُ والتحزيزُ)) [٣٢].

و ((الحرْشَفُ)) : الرِّجالُ الكثيرون . قال الشاعر:

*** وَحَرْشَف مِنَ الرِّجالِ جُرْبِ ***

وتأتي بمعنى ((الرَّجالةُ)) . وفي خبر غزوة حنين : ((أرى كتيبة حرْشف)) . شُبّهُوا بالحَرشف من الجَراد وهو أشدُّه أكْلا . يقال ما ثَمَّ غير حَرْشَف رجال : أي ضعفاء وشيوخ . وصغار كلّ شيء حرْشَفه[٣٣].

وقدم ظهور لهذه اللفظة جاءت في قول امرؤ القيس[٣٤] :

كأنّهُمْ حَرْشفٌ مبثُوثٌ

بالجَوِّ إذ تبرقُ النِّعالُ

والنِّعال : جمع (نَعْلٍ) : وهو الأرض الغليظةُ في استواءٍ[٣٥] .

ومن دلالات (الحرشف) : نبت شائك عريض الورق ، أخضر ، مثل : الحرشاء غير أنهُ أخشنُ منها وأعرضُ ، ولهُ زهرةٌ حمراءُ ، يقال لهُ بالفارسيةِ (كَنكَرْ) .

Artichaut (F) cynara Scolymus (S).

---

(٣٢) مقاييس اللغة : مادة (حرش) : ٢/ ٣٩.

(٣٣) ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر :١/٩٣٥، وغريب الحديث للخطابي ١٩٩/٢، والفائق في غريب الحديث: ٢٦٤/١.

(٣٤) ديوان امرؤ القيس :١٩٣، واللسان : ٤٥/٩.

(٣٥) ينظر : المعجم الكبير : ٢٤٢/٥.

ومايُزَيَّنُ بـه السَّلاحُ (وهـي فُلوسٌ من فِضَّـةٍ) . ومن الدِّرع : حُبُكها ،شُبِّهَ بِحَرْشَفِ السَّمَك وهي فلوسها التـي علـى ظهرها . وكذلك تدلُّ علـى الكدْس وهي لغة أهل اليمن

أما (الحُرْشُفُ) : بضم الحاء تدلُّ على الأرض الغليظة .

وقد طرأ تغير صوتـي علـى لفظة (حَرْشَف) حين أصبحت منذ منتصف القرن الرابع الهجري تُنطقُ في بيئة الأندلس بالخاء والشين المضمومتين[٣٦]. وليس بالحاء والشين المفتوحتين (حرشف) . فمعنـى خَرْشَفَ القَوْمُ : تحركوا واختلط كَلامُهُم .

- ودلالة الخرشافُ : الأرضُ الغليظة لايُستطاعُ أن يُمشَى فيها .

إذن أن التغيـر فـي الدلالـة الصـوتية لا يغيـر المعنـى بـين (الحرشـف والخرشـف) والتطور الذي حدث فـي زيادة فـي كمية المد فـي صوت الشين فأصبحت تُنطـقُ وتُكتبُ علـى صـورة ((الخُرْشـوفُ)) **artichoke** ،علـى زنة(فُعْلولْ): وهو نبات عُشبي معمر من الفصيلة المركبة اسمهُ العلمي : سينارا سكونيموس **Cynara Scolymus** وقد تعلو سُوقُه إلى نحو (١٨٠) سـنتيمترا، رؤوسـهُ الزهريـة كرويـة ، يتفـاوت قُطْرُهـا بـين خمسـة سنتيمترات وعشرة ، وتتكون من قُنابات أو حِراشف خضراء ، قواعدها لحميَّةٌ تُحيط بالزُّهيراتِ الزرقاء البنفسجية.

---

[٣٦] ينظر : لحن العوام ، الزبيدي : ٣٧ ٣٨.

فقد أقرّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة لفظة (حرشف) و (خرشف) وبدلالتهما المتنوعة ، وشتقت منهما لفظة (الخرشوف) وهي اللفظة العامية التي انتقلت إلى المستوى الفصيح ثم انتقلت إلى اللغات الأوربية ثم عادت إلى العربية (الأرض الغليظة)[٣٧].

فمن خلال دراسة هذه الألفاظ نجد أنَّ المعجم الكبير قد تتبع التطور الدلالي الذي حدث بين معاني هذه الألفاظ وغيرها ، فذكر المعجم الكبير إن اللفظ الدخيل ((الأرضي شوكي)) من غير تصرح بذلك ، وأصله في العربية (الخرشوف) مستعملان كلاهما اليوم في العربية ، فأولهما : في بلاد الشام ، والآخر في مصر .

ونكتفي بتحليل الألفاظ وبيان التطور الدلالي فيها التي أقرَّها مجمع القاهرة اللُغوي.

٢ - **التطور الدلالي في الصيغ الصرفية** : إن النظام الصرفي هو الذي يسمح بتوليد الألفاظ الجديدة باستعمال الأبنية والصيغ الصرفية الموجودة في اللغة العربية عن طريق دلالتها الوضعية الأولى أو بالتوسع في تلك الدلالات عن طريق المجاز أو الاستعارة وغيرهما من وسائل التحويل الدلالي(Trans fert sémantique) ، وينتج عن هذا التوليد تغير في معنى المادة الأصلية وبنيتها ، وهذا ما يسمى بنظام اللغوي الاشتقاقي .

أما نظام التوليد الدلالي : فهو يعمل على تحوير معنى اللفظة المأخوذة من متن اللغة واكتسابها دلالةً جديدةً غير دلالتها الأصليه (الأولى) من

---

[٣٧] ينظر : المعجم الكبير : ٢١٦/٦، و ينظر : التأريخ لمعجم اللغة العربية أسئلة وإشكالات :٤٥.

دون المساس ببنيتها الصرفية ويكون ذلك التغيير عن طريق المجاز بأنواعه .

أما الأوزان والصيغ الصرفية فلها القدرة على التوسع الدلالي ، وهذا ما نجدهُ في المعجم الكبير الذي حشر الكثير منها ، وسنقتصر هنا على دراسة طائفة من هذه الصيغ التي تعتبر أكثر فعالية للتوليد المعجمي ، وأدل على تطور الأبنية الصرفية في اللغة العربية . ومنها :

- **التوسع الدلالي لصيغة ((فَعيل))** : أحدى صيغ الصفة المشبهة التي تأتي **للدلالة على الثبوت مما هو خلقة أو مكتسب** ، نحو : طويل ، وقصر ، وخطيب ، وغيرها . إن هذا الوصف يبنى من (فعُل) المضموم العين ، وهذا الفعل يدلُّ على الطبائع وعلى التحول في الصفات فمن الأول ، نحو : قبُح ، ووسُم ، وجمُل ، ومن الثاني : بلغ ، و خطب ، وقصر . فمثلا : الفعل (قبح) يدلُّ على أن صاحبه قبيح وأن هذا القبح خلقي غير مكتسب ، وهكذا بقية الأفعال[38].

فأن دلالة ((**فعيل**)) **هي الثبوت** ، كما جاء في قول ابن فارس (ت٣٩٥هـ) :

((وتكون الصفات اللازمة للنعوس على(فعِيل) نحو شريف وخفيف وعلى أضدادها نحو وضيع وكبير وصغير .))[39].

إذ نجد إن التوسع الدلالي الذي أصاب صيغة ((فعِيل)) هو العدول عن معناها الحقيقي ((الصفة المشبهة)) ، نحو : بخِيل ، وكَريم ، لتدل على

---

[38] ينظر . معاني الأبنية الصرفية ، دكتور فاضل السامرائي : ٩٤، ٩٥

[39] الصاحبي في فقه اللغة : ٢٢٨، باب الأبنية .

معنى ((مَفْعُول)) وهي دالٌّ على هلاك ، أو توجع ، أو تشتت ، أو بليَّة ، نحو : قتيل ، وجَريح ، وأسير . فهذهِ الأوصاف ، هي بمعنى ((مفعُول)) ، نحو : مقتُول ، ومَجْرُوح ، ومأسُور[40].

أما المعجم الكبير فقد وضح ذلك من خلال عرضه لمادة ((حقق)) :

((الحقيقُ : يقال : فلانٌ حقيقٌ أن يفعل كذا وعلى أن يفعل كذا : حريصٌ . وفي القرآن الكريم : ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [**الأعراف : ١٠٥**] .

و [الحقيقُ] : الجَدِيرُ والخَلِيقُ . قيل : هو فعِيلٌ بمعنى مفْعُول من حقَّ الأمْـرُ : إذا وجب يُقـالُ : أنـتَ حَقِيـقٌ أن تَفْعـلَ كـذا وأنـتِ حَقِيقـةٌ أن تفعلي .))[41]. وفي ذلك يقول سيبويه : ((وأما فعيل إذا كان في معنى مفعول فهو في المؤنث والمذكر سواء ، وهو بمنزلة فعول .))[42].

---

[40] ينظر : حاشية الصبان : ٤/ ٨٦.

[41] المعجم الكبير : مادة (حقق) : ٥/٣٧.

[42] كتاب سيبويه : ٣/ ٦٤٧، وشرح المفصل للزمخشري : ٣/٢٩٣. وجاء في تفسير البحر المحيط : معنى ((حقيق)) : جدير ، وخليق ، وارتفاعهُ على أنهُ صفة لـ ((رسول)) أو خبر بعد خبر و (أن لا أقول) لأحسن فيه أن يكون فاعلا بـ ((حقيق)) كأنهُ قيل : ((يحقُّ عليَّ كذا ويجب)) ويجوز أن يكون (أن لا أقول) مبتدأ ، و (حقيق) خبرهُ . فقال قوم : ضمنَ (حقيق) معنى : ((حريصٌ)) . وقال ابن مقسم : ((حقيق)) من نعت الرسول ، أي : رسول حقيق من رب العالمين . ينظر : تفسير البحر المحيط : ٤/ ٣٥

ومن دلالات صيغة ((فَعِيل)) التي ذكرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، هي للدلالة على المشاركة ، نحو : جَلِيس وأَنِيس وسَمِير ، وعلى ذلك يجوز صوغ ((فَعِيل)) للدلالة على الاشتراك من الأفعال التي تقبل ذلك . وقد سمع من أمثلته في فصيح العربية ما يجيز القياس عليه[٤٣] .

إذن انتقلت صيغة ((فَعِيل)) من الصفة المشبهة وهي دلالاتها الأصلية (الوصف والثبوت) إلى معنى ((مَفعُول)) وإلى دلالة المشاركة ، عن طريق المجاز أو الاستعارة . وهذان العاملان من عوامل تنمية اللغة العربية وإثرائها .

- **صيغة ((فِعَال)) ودلالاتها : تعد من الأوزان المشهورة في المصدر ،** تدلُّ على الامتناع ، نحو : الجِمَاح[٤٤] ، وكأَبَي إباءً (الامتناع والكراهة)[٤٥]. وتَدلُّ على قرب شيء من شيء ، نحو : الصِّراف والضِّراب والنِّكاح ، وذكر سيبويه :((وقالوا في أشياء قرب بعضها من بعض فجاؤا به على **فِعَال** ، وذلك نحو الصِّراف في الشاة لأنه هياج فتشبه به [...] ومثله الهِبَاب والقِراع لأنه يُهيّج فيُذكر))[٤٦]. وتدل صيغة ((فِعَال)) أيضاً على الحينونة ، نحو : الحصاد ، والجِّزاز (أي : زمنُ الحَصَادِ وقَطْعُ ثَمَرِ

---

[٤٣] ينظر : البحوث والمحاضرات ، الدورة الرابعة والثلاثين : ٣٣١ـ ٣٣٢، والمجامع العربية وقضايا اللغة ، الدكتورة وفاء كامل فايد : ١١١.

[٤٤] مشتق من الجذر الثلاثي (ج م ح) بمعنى : انطلاقُ الشيءِ بعَزْمَةٍ وقُوَّة وهو أصلٌ واحدٌ مُطَّردٌ . ويقال : جمح الفرس بصاحبه جماحا : ذهب يَجْري به جريا غالبا . ينظر : المعجم الكبير : مادة (جمح) : ٤/٥٠٢.

[٤٥] ينظر : المعجم الكبير : ١/ ٦٥، ٤/٥٠٢.

[٤٦] كتاب سيبويه : ٢/٢١٧.

النَّخْلِ) ، والجِداد (أي : القطعُ والحَائِلُ التي لم تَحْمِلْ سنةً أو سنَوات) ، والصِّرام ، والقِطاع[٤٧]. أما موقف سيبويه من هذه الدلالة فقد قال :

((وجاؤا بالمصادر حين أرادوا انتهاء الزمان على مثال **فِعَال** وذلك الصِّرام والجِّزاز والجِداد والقِطاع والجِصَاد وربما دخلت اللغة في بعض هذا فكان فيه **فِعَال وفَعال** فإذا أرادوا الفعل على فعلت قالوا : حصدتهُ حصدا وقطعتهُ قطعا إنَّما تريد العمل لا انتهاء الغاية وكذلك الجزّ ونحوه))[٤٨]. وتسهم هذه الصيغة في بناء مادة ((الوسم)) والأسماء الموسوم بها ، كما نصَّ سيبويه على ذلك بقوله :

((وأما الوسم فإنه يجيء على **فِعَال** نحو الخِياط و العِلاط ...))[٤٩].

وقد وضح ذلك المعجم الكبير قائلا : ((الخِياطُ : سِمَةٌ تكونُ في الفخِذ طَويلةٌ عرْضا ، وهي لبني سعد . وقيل : هي التي تكونُ على الوَجْه . حكاهُ سيبويه ،وقال ابنُ الإعرابي : هي فوْق الخَدّ . وأنشد الصاغاني للمنتخل الهذلي[٥٠] :

---

[٤٧] ينظر : المعجم الكبير : ٥/ ٣٩٣ ، ٤/ ١٢٢.

[٤٨] كتاب سيبويه : ٢/٢١٧ ، وينظر : معاني الأبنية في العربية : ٢٩.

[٤٩] كتاب سيبويه : ٢/٢١٧.

[٥٠] العباب الزاخر واللباب الفاخر : حرف الطاء :٤٧. وورد البيت في التاج :٢٣٣/١٩، وقال : لم أجد هذا البيت في طائية المتنخل ، وهناك بيت في شرح أشعار الهذليين : ١٢٧٥/٣. نصهُ :

حواطِ في الجفير مخوبات

كسين ظهار اصحر كالخياطِ

مَعايلُ غَيْرُ أرْصافٍ ولكنْ

كُسينَ ظُهارَ أسْودَ كالخِباطِ[٥١]

ويَدلُّ هذه الصيغة على الـ ((**مفْعول**)) ، كما مثّل لذالك المعجم الكبير :

((**الخِضَابُ** : ما يُخْضَبُ به ، كالحنّاء ، والكَتمِ (نَبْتٌ) ونحوهما . قال العَرْجِيُّ (عبدالله بن عمر) [٥٢]:

وما الدُّنيا لصاحِبِها بحظٍّ

سوى حظِّ انبنانٍ من الخضَابِ

وقال المُتنبي ، يَمدحُ سَيفَ الدَولةِ ، ويعرّضُ ببني كِلابٍ [٥٣] :

ومنْ في كفّهِ منْهُم قناةٌ

كمَنْ في كفِّهِ منْهُم خضابُ

وقد يَكَنّى بالخِضابِ عن الدّمِ . قال عُقْبَة بن سابق ، يَذْكُر فَرَسا[٥٤]:

ولَها بَرْكَةٌ كجُؤجُؤِ هيْقٍ

ولبانٌ مُضرّجٌ بالخِضَابِ)) [٥٥].

---

[٥١] معنى البيت : معايِلُ : جمع مِعْبلةٍ ، وهي النَّصْلُ الطويلُ العريضُ ؛ غير أرْصافٍ : ليست بمشْدُودةٍ بعَقبٍ ، أي بأوتار ؛ الضُهارُ الرّيش الظاهِرُ من الجناحِ .

[٥٢] ديوان العرجي : ١٧٩. رواية الديوان :

لَيسَ ناهِيَّ عنْ طِلابِ الغواني

وخطُ شيبٍ بدَاو زٍسُ خِضَابُ

[٥٣] ديوان المتنبي : ٩٧/١.

[٥٤] غريب الحديث ، الخطابي : ١/ ٣١٦.

[٥٥] المعجم الكبير : مادة (خضب) : ٤٤٤/٦.

وذكر المعجم الكبير لفظة ((**الخِضَابُ**)) في المصطلحات العلمية : ((خِضَابُ الصَّفراءِ **Bile pigment** : مادةٌ خِضَابيةٌ تتكونُ من هيموجلوبين الدَّمِ وَتُفرِزُها خلايا الكَبِدِ في الصَّفراء . والخضَابُ المَعْدنيُّ : **Mineral pigment** : مادةٌ ملونةٌ غيرُ عضويّة .))[٥٦]. ثم توسعت دلالة صيغة ((فعَال)) لتدلّ على اسم الآلة ، نحو : (حِلابٌ) وقد وضح المعجم الكبير ذلك بقوله : ((الحِلابُ : الإناءُ الذي يُحْلَبُ فيهِ اللّبنُ . قال إسماعيلُ بنُ يسار النَّسائيُّ[٥٧] :

---

[٥٦] المصدر السابق : مادة (خضب) : ٦/٤٤٤.

[٥٧] شعر إسماعيل بن يسار : ٢٩. وفي شرح الشافية و تهذيب اللغة واللسان : الحلاب) . وفي الجمهرة ((ويروى في العلابِ)) . ورواية (العلاب) :

صاح هل ((رَيْت)) أو سمعت براعِ

رَدَّ في الضرعِ ما قرى في العِلابِ

شاهدا على أن أصل ((ريت)) رأيت ، فحذفت الهمزة . قرى : جمع ، العِلاب (بكسر العين) : جمع عُلبة ، وهي إناء تتخذ من جلود الإبل يحلب فيه . والحِلاب : الإناء الذي يحلب فيه أيضا . وفي رواية الأغاني :

صَاحِ هلْ رَيْتَ أوْ سَمِعْتَ بِراعٍ رَدَّ في الضَّرْعِ ما قَرَا في الحِلابِ ؟

ينظر : شرح الشافية : ٣١٦/٤ ، إذ قال ((أحسبُ هذا البيت للربيع بن ضبع الفزاري)) ، و تهذيب اللغة : ١٥/ ٢٢٩، واللسان :مادة (حلب) : ٣٢٧/١ ، والأغاني : ٤٠٣/٤.

أما رواية ابن دريد إذ قال : ((ونظر اعرابي إلى رجل قد أثّر السجود في جبهته فقال: علامَ تَعْلُبُ صورتَك . والعُلْبة : وعاء من جلدِ جَنبِ بعيرٍ يتَّخذ كالعُسّ يُحتلب فيه ، والجمع عِلاب وعُلَب . قال الشاعر وأحسبه للربيع بن ضَبُع الفزاري : ←

صاح هل ريْتَ أو سمعتَ براعٍ

ردَ في الضَّرْع ما قَرَى في الحِلابِ))[٥٨].

وكذلك لفظة ((رِباط)) : ((ورِباطُ الخيل : أصْلُها . يُقال : لفلان رِباطٌ من الخيلِ ، كما تقول : تلادٌ ، وهو أصلُ خَيْلِه .)) . وهو الوثاقُ الذي يُشدُّ به[٥٩].

إذن أن صيغة ((فعال)) تعد أكثر الصيغ الصرفية التي حظيت اهتمام الدارسين القدامى والمحدثين لكثرة اتساعها الدلالي ، الذي أسهم في تطور اللغة العربية وإثرائها .

- **الانتقال الدلالي لصيغة ((فعول))** : إن الدلالة الأصلية لصيغة ((فعول)) هي المصدرية . نحو : رَسُول بمعنى مُرسل . ويجيء الفعُول

← صاح أبصرت أو سمعت براعٍ

ردَ في الضَّرع ما قرى في العِلابِ)) . وذكر ابن دريد رواية أخرى للبيت :

صاحِ أبصرت أو سمعت بسارٍ

ردَّ في الضّرع ما قَرَى في الحلابِ

جمهرة اللغة : ١/٢٨٤، ٢٦٦، وهناك اختلاف في رواية النسب أيضاً فمنهم من ينسب البيت إلى الحارث بن مضاض الجرهمي والآخر ينسبه للربيع بن ضبع الفزاري ومنهم من ينسبهُ إلى إسماعيل بن يسار .

[٥٨] المعجم الكبير : مادة (حلب) : ٥/٥٨١.

[٥٩] ينظر : المصدر السابق : مادة (ربط) : ٩/١٤٣، ١٤٤.

لِمَا يُفعل به الشيء كالوَجور لِمَا يوجر به ، وهو الدواء الذي يدخل في الفم ، والنَّقُوع وهو لِمَا ينقع ليلا ليشرب ، والفَيُوء دواء يشرب للفيء[٦٠].

ثم انتقلت هذه الصيغة بعد ذلك لتدلَ على مبالغة اسم المفعول ، كما في لفظة ((**ذَلُولٌ**)) ، وقد وضح ذلك المعجم الكبير قائلا : ((ذَلَّلَ : الدَّابّةُ بعد جُموحٍ ذُلا ، وذِلا : سهُلَتْ وانقادتْ . فهي **ذَلولٌ** . يُقالُ : دابّةٌ **ذَلولٌ** بيِّنةُ الذُّلِّ والذِّلِّ (الذكرُ والأُنْثى في ذلك سواء) . وفي القرآن الكريم :**﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ ﴾ [البقرة : ٧١]** . وفي خبر أنس بن مالكٍ عن أبي ذرٍّ . رضي الله عنهما . عن النَّبيِّ . صلى الله عليهِ وسَلَّم . أنّهُ قال : ((الإسلامُ **ذَلُولٌ** لا يركَبُ إلا **ذَلُولا**))[٦١].[ويقال] أرضٌ ذلُولٌ :مُمَهّدةٌ يسْهُل السَّيْرُ في أنحائِها.وفي القرآن الكريم : **﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ [الملك: ١٥]** . [ومنه] سَبيلٌ **ذَلُولٌ** : سهْلٌ . ويُقالُ : رَكِبُوا كُلَّ صَعبٍ **وذَلُولٍ** في أمرهم : اتَّخذُوا كُلَّ سَبيل . ويُقالُ : فلانٌ **ذَلُولٌ** لأَصْحابه . قال الأخطَلَ . يمْدَحُ[٦٢]:

أخوها إذا شالَتْ عضوضا سَمَا لها
على كُلِّ حَالٍ من ذَلُولٍ ومن صَعْبِ))[٦٣].

---

[٦٠] ينظر : شرح الرضي للشافية : ١/ ١٦١، والمعجم الكبير : مادة (رسل) : ٩/٥٩٦ ، ومعاني الأبنية الصرفية : ٦٩ .

[٦١] مسند الإمام أحمد بن حنبل ، رقم الحديث [٢١٢٩٢] : ٣٥/٢١٦.

[٦٢] ديوان الأخطل :٢٥.

[٦٣] المعجم الكبير : مادة (ذلل) : ٨/١٩٢ـ١٩٠.

ثم اتسعت دلالة صيغة ((فعُول)) بعد ذلك لتدل على الآلية عن طريق المجاز ، نحو : ((الذَّنُوبُ)) وهو ((الدَّلْوُ العَظِيمَةُ ،أو التي لها ذَنب ، وقيل:هي التي فيها ماء))[٦٤]. وجاءت لفظة ((الذَّنُوبُ)) في قول أبي ذُؤيب الهُذليّ . واستعارهُ للقَبْر حين جعلهُ بئرا[٦٥]:

فكُنْتَ ذَنُوبَ البئرِ لَمَا تَبسَّلَتْ

وسُرْبِلْتَ أكْفاني ووُسِّدتُ ساعِدي

ثم انتقلت لفظة ((الذَّنُوبُ)) من الآلية لتدلّ على معنى آخر وهو ((الحظُّ والنصيبُ)) ، مجازا ، كما جاء القرآن الكريم :﴿ *فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ* ﴾ [الذاريات: ٥٩] .

إذن فقد أقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة صيغة ((فعُول)) في قراراته ومعجماته اللُغوية ، ولاسيما المعجم الكبير منها ، وبدلالاتها المتنوعة عن طريق المجاز الذي يعدُّ من أبرز عوامل التنمية للغة العربية .

٣- **التوليد وعلاقتهُ بالصوت** : إذ يقوم التوليد على استقلال جرس الصوت ومحاكاته ، فمثلا : ((الهرة)) بالتاء بـ((البسة)) أو ((تف)) التي تقال عند الشيء يستقذر أو الوسخ أو يتأذى منهُ . وهي توليد لفظة ((تف)) بمعنى ((بصق)) ، والتَّفافَةُ : البصاق[٦٦]. وكذلك لفظة ((تَكْتَك الفرسُ)) مأخوذة من حكاية صوت : مَشَى كأنهُ يَطَأُ على شوك أو نار ، ولفظة :

---

[٦٤] المصدر السابق : مادة (ذ ن ب) : ٨/ ٢١٨.

[٦٥] ديوان الهذليين : ق١/ ١٢٣.

[٦٦] ينظر : المعجم الكبير : ٣/ ٨٩ ـ ٩٠ ،والمعجم الوسيط : ١/ ٨٥.

((الحسيسُ)) : الصَّوْتُ الخفيُ ، وفي القرآن الكريم :﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٢] ، وقال الشاعر في صِفة بازيّ :

تَرى الطَّيرَ العِتاقَ يَظلَّن منهُ

جُنُوحا إنْ سَمِعْنَ لَهُ حَسِيسًا

إذن إن الحسَ هو حِكايةُ صوْت عند تَوجُّع وشِبْهِه[٦٧].

٤- **دلالـة الصوت فـي المعجـم الكبيـر** : حضر مجمـع اللغة العربيـة بالقاهرة الكثير من الألفاظ الدالـة على حكايـة الأصوات موزعـه علـى أجزاء المعجـم الكبير ، إذ رصد الباحث منها على النحو الآتي :

- ((آءِ)) : اسم صوت ، ونقل المعجم الكبير عن اللسان[٦٨].

((آءٌ)) **ممدودٌ من زجر الإبل و((آء)) حكاية أصوات** ، قال الشاعر :

إنْ تَلْقَ عَمْرا فَقَدْ لاقَيْتَ مُدرعا ... وليْسَ منْ همّه إبْلٌ ولا شاءُ

في جَحْفلٍ لَجِبٍ جَمٍّ صواهلُهُ ... باللّيلِ تَسمَعُ في حافاتِهِ آءُ

- ((آحِ . أَحُّ)) : **حكايـةُ صوت السَّاعل أو المتوجِّـع** . و ((آحِ)) فـي اللغـات السـامية تعنـي : اسـم صـوت للأسـف والتوجُّـع[٦٩]. وهـي مـن مـادة (أح أح) : وهـي صـوت السـعال والتوجُّـع . قـال ابـن فـارس : (((أحّ) وللهمـزة والحـاء أصـلٌ واحـد ، وهـو **حكايـة السُّـعال** ومـا أشـبهه مـن عطـشٍ وغيظٍ ، وكلُّه قريبٌ بعضه من بعض . قال الكسائيّ : في قلبي عليه أُحاح

---

[٦٧] ينظر : المعجم الكبير . ٣/ ٩٦ . ٥/ ٣٢٩، ٣٣٤.

[٦٨] ينظر : اللسان : مادة (أ ء أ) . ١/ ٢٤، والمعجم الكبير : ١/ ٤ .

[٦٩] ينظر : المعجم الكبير : ١/ ٨.

أي إحنةٌ وعَداوة . قال الفرّاء : الأُحاح العطش. قال ابن دريد: سمعتُ لفلان أُحاحا وأحيحا، إذا توجّعَ من غيظٍ أو حُزنٍ. وأنشد :

*** يطوي الحيازيم على أُحاحِ ***

وأحيحة اسم رجلٍ [شاعرٌ من الأوس ، وهو أحيحةُ بن الجُلاح ، كان جاهليا شريفا في قومه ، مات قُبيل مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، مشتقٌّ من ذلك. ويقال في **حكاية السُعال** أَحّ أَحّا. قال :

كادُ مِنْ تنحنُحٍ وأَحِّ   يحكي سُعالَ الشَّرِق الأبَحِّ

وذكر بعضهم أنّه ممدودٌ: **آح**. وأنشد :

كأنّ صوتَ شَخْبِها المُمتاحِ   سُعالُ شيخٍ من بني الجُلاحِ

[...] يقولُ من بَعْدِ السُّعال آحِ..))[٧٠]. وذكر المعجم الكبير : ((أَحَّ فلانٌ : أحّا ، وأحاحا : سَعَل . و . : ردّد التَنَحْنُحَ في حلْقه ، قال رُؤبة يصف رجلا بخيلا[٧١] :

يكادُ من تَنَحْنُحٍ وأحِّ

يحكي سُعالَ النّزِق الأَبَحِّ))[٧٢].

ومن ذلك ((**الأحاحُ**)) : صوت المتوجِّع من غيظ أو حزن ، يقال : سمعتُ له أُحاحا ، قال عبدُ الشارق بن عبدالعُزّى الجُهني[٧٣]:

---

[٧٠] مقاييس اللغة : مادة (أحّ) : ١/ ٩ ، وينظر : المعجم الكبير : ١/ ١١٨.

[٧١] ديوان رؤبة بن العجاج : ٣٦. أما رواية الديوان :

قدْ كادَ من نحنَةٍ وأَحِّ   يحكي سُعالَ الشَرِق الأبَحِّ

[٧٢] المعجم الكبير : ١/ ١١٨.

[٧٣] الحماسة البصرية : ١/ ١٨١، والأشباه والنظائر، للخالديين : ١/ ١٥٢، ١٥٣.

فباتُوا بالصَّعِيدِ لهم أحاحٌ

ولو خفَّتْ لنا الكَلْمَى سَرَيْنَا

ومن ذلك أيضا ((**الأحَة**)) : صوت المتوجِّع من غيظ أو حزن[٧٤].

- ((آهِ)) : **نقل الأزهري عن** ((ابن المظفَّر : آهِ هو حكايةُ المتأوِّه في صوْته ، وقد يفعله الإنسان شفقةً وجزَعا .))[٧٥].

وهو اسمُ صَوْتٍ يقال عند الشَّكاية أو التَّوجُّع أو الحُزْن ، يقال : **آهِ** من عَذابِ الله ،وتنوّن فيُقال آهٍ **وآها** من عذابِ الله،وربّما قالوا: آهْ بالسكون، وفي اللسان[٧٦]:

آهِ من تَيَّاكِ آهَا

تَرَكَتْ قلبي مُتَاها

وقال الشاعر[٧٧]:

فآهٍ ولِلْمَحْزُونِ فيها استراحَةٌ

ولا بُدَّ للْمَحْزُونِ أن يتنفَّسا

ومن ذلك : ((أَوْهِ)) : كلمةٌ تقال عند الشَّكايةَ أو التَّوَجُّع ، قال الجوهري : وربّما قلبوا الواو ألفا ، **فقالوا منها** : آهِ[٧٨].

---

(٧٤) ينظر : المعجم الكبير : ١/ ١١٨، ١١٩.

(٧٥) تهذيب اللغة : ٦/٢٥٢.

(٧٦) ينظر : اللسان : مادة (أوه) : ١٣/ ٤٧٢، والمعجم الكبير : مادة (أوه) : ١/ ٦٣٣

(٧٧) المعجم الكبير : مادة (أوه) : ١/ ٦٣٣.

(٧٨) ينظر : الصحاح : ٧٥/٧ ، والمعجم الكبير . مادة (أوه) : ١/ ٦٣٣.

- ((أخ)) : **صوتٌ يدل على التوجُّعِ** . وذكر المعجم الكبير : و((إخْ))
صوت إناخة الجمل ليبركَ ، ولا فعل له فلا يقال : أخَخْتُ الجملَ ، ولكن أنخْتُهُ[٧٩]. ونقل صاحب التاج عن : أبي منصور : ((وسَمعت غيرَ واحدٍ من العرب يقولُ : نَخْنِخْ بالإبل ، أي ازْجُرْهَا بقولك : **إخْ إخْ** ، (ليَبْرُكَ) . وقال اللَّيث : النّخنَخة من قولك : أنخْتُ الإبلَ فاستناخت ، أي برَكَتْ ، ونخْنَخْتُها فتَنَخْنَخَت ، من الزَّجْر . وأمّا الإناخَة فهو الإبراكُ .))[٨٠].

- **((أ د د)) : أحدى الدلالة الصوتية الخاصة بـ((البعير والناقة))** . وقد ذكر المعجم الكبير : ((أدّ ـــ أدّا ، وأديدا : صاح وصَوّت ، يقال : أدَّ البعيرُ : هَدَر . ويقال : أدّت الناقةُ : رجّعت صوتها ومَدّدته حنينا .)) [٨١].
ومن ذلك ((الأدُّ)) : الصوت . يقال : أدُّ الناقة : حنينها ، وأدُّ القَدمِ : صوت وطْئها . وفي اللسان[٨٢]:

يتْبَعْ أرضا جِنُّها يُهوّلْ   أدٌّ وسَجْعٌ ونهيمٌ هَتَمَلْ

وذكر صاحب اللسان : ((وأدّت الناقة والإبل تؤدّ أدّا رجّعت الحنين في أجوافها وأدُّ الناقة حنينها ومدها لصوتها عن كراع وأدّ البعيرُ يؤدّ أدّا هدَرَ وأدّ الشيءَ والحبل يؤدّه أدّا مدّه وأدّ في الأرض يؤدّ أدّا ذهب وأدَدُ الطريق دَررُه والأدُّ صوتَ الوطء))[٨٣].

---

[٧٩] ينظر : المعجم الكبير : مادة (أخ) : ١/ ١٢٢.
[٨٠] التاج : مادة (نخخ) : ٧/٣٠٣
[٨١] المعجم الكبير : مادة (أدد) : ١/ ١٤٤.
[٨٢] اللسان : مادة (أدد) : ٣/٧١، وينظر : المعجم الكبير . مادة (أدد) : ١/ ١٤٤.
[٨٣] اللسان : مادة (أدد) : ٣/٧١.

- ((أوو)) : **الصوت الدال على الحزن والوجع** . أَوَّى بالخيل : دَعاها لِتَرِيع (لترجع) إلى صَوْتِه .

ومن ذلك ((آوُو)) : دُعاءُ الخيْلِ لِتَرِيعَ (لترجع) إلى الصَّوت،وجاء في اللسان[84] :

فِي حاضِرٍ لَجِبٍ قاسٍ صَواهِلُهُ يقال للخيل في أسلافه آوُو

ومن ذلك ((أَوَّ)) : **اسم صَوت المُتحزِّن أو المُتَوَجِّع** ، يقال : أَوَّ من كذا وأَوَّ لِكَذا ، وفي اللسان[85] :

فأَوِّ لِذكراها إذا ما ذَكَرْتُها ومن بُعْدِ أَرضٍ دُونَنا وسماءِ

ومن ذلك أيضا ((الأَوَّةُ)) : صوتُ الحُزْنِ ، يقال : سمعنا أَوَّتَك[86] .

- ((**الدَّأْدَأَةُ**)) : **صَوْتٌ يدلُّ على وَقْعِ الحجرِ على المسِيلِ . وكذلك يدلُّ على صَوتِ تَحريكِ الصَّبيِّ في المهد**[87] .

- ((**دَزدر**)) : **صَوْتٌ دالٌّ على الماء أثناء اندفاعِه في بطون الأودية** .

ومن ذلك ((الدَّزدَرَةُ)) :حِكايةُ صوتِ الماءِ في بُطُونِ الأوديةِ وغيرها إذا تَدافعَ . وقيل : خَرِيرُ الماءِ[88].

---

[84] المصدر السابق : مادة (أوا) : ١٠/٤٠٥١،ويُنظر : المعجم الكبير : مادة (أوو) : ١/ ٦٣٤.

[85] المصدر السابق : مادة (أوا) : ١٠/٤٠٥١، ويُنظر : المصدر السابق: مادة (أوو) : ١/ ٦٣٤.

[86] ينظر : المعجم الكبير : مادة (أوو) : ١/ ٦٣٤.

[87] ينظر : العباب الزاخر : ١/٥٢ ، و المعجم الكبير : ٧/ ٢٣.

[88] ينظر : المعجم الكبير : ٧/ ٢٢٠ . ٢٢١

إذن إن الصوت وقوانينهُ لهُ الدور المهم في تشكيل الكلمة العربية في بنيتها الصرفية ، وفيما يطرأ عليها من التغيرات وظاهرة القلب المكاني هي واحدة من ظواهر كثيرة تتعرض لها الكلمة العربية ،وهي في كثير من أسبابها مدينة إلى ما تؤديه الأصوات من وظيفة .

إذ نجد للصوت أبعادا مختلفة ومتباينة في النحو العربي وموزعةً على جميع فروع الدراسة اللّغوية بدءً من تأليف الكلمة إلى تأليف الجملة ثم البيت الشعري أو القصيدة أو القطعة النثريةَ ؛ أينما تبحث عن أثر الصوت تجدهُ أمامك يلزمك اتخاذ سمت معين في الكلام (نحوه ، وصرفه ، ومعجمه). فبذلك يؤدي الصوت أثر في تطور اللغة ،وتنميتها .

جدول يبين فيه الصوت ودلالته في المعجم الكبير

ت	الصوت	دلالتـــــــه	المعجم الكبير : ج / ص
١	الأجَّةُ	صوت النار .	١/١٠٧ .
٢	إجد	صوت لزجر الخيل .	١/ ١٠٨ .
٣	إخْبط	صوت زجر الغنم .	١/١١١ .
٤	أخ	صوت توجع أو الزجر .	١/ ١٢٢ .
٥	أدّ	صوت وصياح البعير ، أو الناقة .	١/ ١٤٤ .
٦	أريرا	صوت .	١/١٩٣ .
٧	أزَّ	صوت حركة الغليان.	١/٢٤٥. ٢٤٦.
٨	إسْ إسْ	صوت الغنم .	١/٢٥٩ .
٩	أط	صوت الشيء إذا حنَّ وأنْقَض .	١/ ٣٤٨ .
١٠	أنت	الزئير .	١/ ٥٢٩ .
١١	أنح	صوت تنحنح وزجير .	١/ ٥٣٦ .
١٢	أنّ	صوت المتوجع .	١/ ٥٧٠
١٣	أنه	صوت الزَّحير .	١ / ٥٧١ .
١٤	الإنيهُ	صوت رزمة السَّحَاب .	١ / ٥٧١ .
١٥	أها	حكاية صوت الضحك .	١ / ٥٩٠ .
١٦	أوو / أوى	اسـم صـوت المُتحَزِّن أو المُتوجِّـع . خاص بالخيل .	١ / ٦٣٤ .

١٧	الإبساس	صوت تُسَكَّن به الناقة لِلْحَلْب .	٧ / ٢٣٤ .
١٨	بَبَّة	حِكايةُ صوت الصّبِي	٢ / ٤١ .
١٩	بخّ	صوتٌ دال على الخشونة والغلظة .	٢ / ٨٩ .
٢٠	بز	صوتٌ لدعاء الغنم إلى العَلَف .	٢ / ١٧٣ .
٢١	برْ	حكايةُ صوتٍ .	٢ / ٢١٤ .
٢٢	بُسْ	صوتٌ الزَّجرِ للسوق .	٢ / ٣٠٣ .
٢٣	بسْ	صوتٌ يُزْجر به الهِرّ .	٢ / ٣٠٣ .
٢٤	بسْ بسْ	للناقة أو الشاة للحلب .	٢ / ٣٠٣ .
٢٥	بسْ	صوتٌ تُدْعى به الهرّة لتُقْبِلِ .	٢ / ٣٠٣ .
٢٦	البَقْبَق	حكايةُ صوتُ الماءِ المُتَتَابع إذا خرج من إنائهِ	٢ / ٤٠٣ .
٢٧	البُغام	صوتُ الظَّبْيةُ أو الناقة لا تُفصِحُ به.	٢ / ٤٤٤ .
٢٨	بقبق	صوتُ الماء عند الغليان.	٢ / ٤٤٩
٢٩	تَخْ تَخْ	زَجر للدجاج .	٣ / ٤٣ .
٣٠	الثَّجيج	صوتُ انصباب الماءِ .	٣ /٢٢٢ .
٣١	ثعثع	صـوتُ القَـيء . والثعثعـةُ : حكايـةُ صوتِ المُتقيء.	٣ /٢٥٨-٢٥٩.
٣٢	الثُّغاءُ	صوتُ الشّاء والمَعْز وما شاكلهما .	٣ / ٢٧٤.
٣٣	ثهت	الصوت . ثهت على غريمه : صاح أعلى صياحه .	٣ / ٣٥٥.
٣٤	جأجأ	حِكايةُ الصّوْتِ .	٤ /١٣.

م	اللفظ	المعنى	الموضع
٣٥	جَوْجُوْ	صوتٌ تُدْعى به الإبلُ لِوُرودِ الماء إنْ كانت بعيدةً عنهُ .	٤ / ١٣ . ١٤.
	جِئْ جِئْ	صوتٌ ترعى به الإبلُ لوُرود الماء وهي على الحوض .	
٣٦	جَخْ جَخْ	حكايةُ صوت البطن .	٤ / ١٠٢ .
٣٧	الجَدَثة	صوتُ الحافر والخُفّ . وكذلك صوتُ مَضْغِ اللَّحْم	٤ / ١١١ .
٣٨	جَرْجَرْ	صوت يردده البعير في حنْجرته عند الضَّجر . ومنهُ الجرجار : صوت الرَّعْد .	٤ / ١٨٧ .
٣٩	الجَرْس	الصوتُ من كُلِّ ذي صوت .	٤ / ٢٣١ .
٤٠	جَشَرٌ	الصوت المبحوح .	٤ / ٣٤٢، ٣٤٤.
٤١	الأَجَشّ	أحدُ الأصوات التي تُصاغ عليها الألحان ويخرج من الخياشيم فيه غلظٌ وبَحَّه .	٤ / ٣٤٦ .
٤٢	الجَعْجَعُ	صوتُ الرَّحى ونحوها .	٤ / ٣٦٢ .
٤٣	الجَعْجَعةُ	أصوات الإبل إذا اجتمعت	٤ / ٣٦٢ .
٤٤	الجَلْجَلَةُ	صوتُ الرَّعد وما أشبههُ ، وكذلك صوتُ الحديد بعضهُ على بعض .	٤ / ٤٢٩ .
٤٥	الجَلِيخ	صوتُ الماءِ الكثيرِ المُتدافِع .	٤ / ٤٣٦.
٤٦	الجَمْشُ	الصَّوتُ الخفي .	٤ / ٥٢١.

٤٧	جَهْ	حِكايةُ صوتِ الأبطالِ عند القتالِ . وجَهْ : صوتٌ يُسَكَّن به الأسدُ والذّئبُ وغيرهما .	٤ / ٦١٨.
٤٨	جوت	حِكايةُ صوتٍ لدعاءِ الإبلِ إلى الماءِ.	٤ / ٦٥١.
٤٩	الجَوْجَاةُ	الصَّوْتُ بالإبلِ .	٤ / ٦٥٣.
٥٠	حِئْ حِئْ	اسمُ صَوْتٍ يُدعى به الحمارُ إلى الماءِ .	٥ / ٧ .
٥١	الحَتْرَشَةُ	صوتُ أكلِ الجرادِ .	٥ / ٦٧ .
٥٢	حِجْ حَجْ	زجرٌ للغنمِ .	٥ / ٩٧ .
٥٣	حَسِّ	حِكايةُ صَوْتٍ عند توجُّعٍ وشبهِهِ .	٥ / ٣٢٩ .
٥٤	حضب	صوتُ القوسِ .	٥ / ٤٢٢ .
٥٥	حمْحم	حِكايةُ صَوتٍ للفرسِ أو البرذونِ ، إذا طلب العلفَ .	٥ / ٦٥٥ .
٥٦	حَنَّ	صوتٌ يدلُّ على الوجعِ.	٥ / ٧٨٧ .
٥٧	حوْب	صوتُ زجْرٍ للإبلِ .	٥ / ٨٠٨ .
٥٨	حَوْبُ	صوتُ زَجْرِ البعيرِ ليَمْضِيَ. (لِذُكُورِ الإبلِ).	٥ / ٨٠٩
٥٩	الحَواءُ	الصَّوْتُ .	٥ / ٩٠٥ .
٦٠	حاحَى	زجر وصياح الإبلِ .	٥ / ٩١٣ .
٦١	حَيْلِ حَيْلِ	زَجْرٌ للمِعْزَى .	٥ /٩٤٠ .
٦٢	حَيْهِ وحِيهِ	من زجر المِعْزَى أو الضّأنِ وغيرهما.	٥ / ٩٤٧.

٦٣	خرخر	صوتٌ دالٌ على الماء الجاري . ويقال : خرْخَر الماءُ والريحُ ونحوهما .	٦ / ١٨٩ .
٦٤	الخَرُوز	صَوْتُ الهِرَة في نومها .	٦ / ١٩٩ .
٦٥	الخرير	صَوْتُ الماء والريح .	٦ / ٢٠٠ .
٦٦	الخضيعَةُ	الصَوتُ يُسْمعُ من بطنِ الدَّابَّةِ أو الفرَس إذا جرَى	٦ / ٤٧٨ .
٦٧	خفخفَ	صَوَّتَ عند الأكل .	٦ / ٥٧٣ .
٦٨	الخِقاقُ	صوتٌ يكون في حياء الأُنثى من الخيل من رخاوة حلْقتها وارتفاع مُلتقاها	٦ / ٦٢٢ .
٦٩	خَيَقَمُ	حِكايةُ صوت .	٦ / ٦٢٣ .
٧٠	خَنَّ	حِكايةُ شيءٍ من الأصوات بضعفٍ .	٦ / ٨٧٨ .
٧١	الخوات	صَوْتُ الشَّيءِ أو صَوْتٌ خفيفٌ . والخوات : صوتُ الرَّعْد والسَّيْل .	٦ / ٨٨٧ .
٧٢	خواه	صَوْتُ الريح .	٦ / ٩٤٢ .
٧٣	الدَّأْدَاةُ	صَوْتُ وقْع الحجر على المسيل ، وكذلك صوتُ تحريك الصَّبيّ في المَهْدِ.	٧ / ٢٣ .
٧٤	دَجْ دَجْ ، ودِجْ دِجْ	صوت الدُّعاءِ بالدجاجة .	٧ / ١٠١ .

٧٥	دردب	صوتُ الطبل .	٧ / ٢١٧، ٢١٨ .
٧٦	دَرْدَرَ أو الدَّرْدَرةُ	حِكايةُ صوت الماء في بُطون الأودية وغيرها ، إذا تدافعَ . وقيل : خرير الماء .	٧ / ٢٢٠، ٢٢١ .
٧٧	داعِ دَاعِ	صوت زجر للغنم لِصغارها .	٧ / ٣٢٠ .
٧٨	دغْبَغْ	حكايةُ لفظ الرضيع إذا طلب شيئًا .	٧ / ٣٢٤ .
٧٩	دقِ دقِ	أصوات حوافر الدّواب . (الخيل) ، و الفطقطةُ في تَرَدُّدِها .	٧ / ٤٢٣ .
٨٠	الدَّقْدقةُ	صوت وقع الحجر .	٧ / ٤٢٣.
٨١	دن دن	صوتُ الخفِيُّ ، الذي يُسمع ولا يُفْهَم.	٧ / ٥٧٧.
٨٢	التَّدْنيمُ	صوتُ القوس والطست .	٧ / ٥٩٠ .
٨٣	الدَّنينُ	صوتُ الذُّبب والنَّحل والزَّنابير ونحوها ، من هيمنةِ الكلام الذي لا يُفْهمُ .	٧ / ٥٩٢.
٨٤	دهْ دهْ	صوتُ الدَّحْرجة ونحوها. دهدهة الصوتُ الذي يكون منهُ هُناك .	٧ / ٦٠٧ .
٨٥	الرِّزُّ	الصَّوْتُ ، وقيل هو الصَّوْتُ الخَفِيُّ ، وقيل هو الصَّوتُ تسمعهُ من بعيدٍ ولا تدري ما هو . أو ولا ترى مصدرهُ . يكون خاص بالحيوانات كالأسد والإبل وغيرهما .	٩ / ٥٣٥ .

٨٦	رَزَفَ	صوت الجمل .	٩ / ٥٤١ .
٨٧	رزم	صوت للناقة أو الشاة . صوتت حنينٍ على ولدها ، وهو صوتٌ تُخَرجُه من حلْقها لا تفتحُ به فاها .	٩ / ٥٥٣، ٥٥٧.
٨٨	الرُعاق	الصَّوتُ الذي يُسْمَعُ مِنْ بطنِ الدَّابَّة إذا جرتْ .	٩ / ٧٨٣.

خامسا : أثر المعجم الكبير في تنمية اللغة وعلاقته بالعلوم اللُّغوية وغير اللُّغوية :

Lexicon great impact in the development of language and its relationship to science linguistic and non-linguistic:

يقول سبولسكي : انهُ على الرغم من أن المجامع اللُّغوية تعتبر المؤسسات الأساسية المسوولة عن التهذيب اللُّغوي والمحافظة على طهارة اللغة .

أما في المعجم العربي يقول الألماني كارل بروكلمان :إنَّ معجم العربية اللُّغوي لا يُجاريه معجم في ثرائه :انَّهُ نهر تقوم على إرْفَادِهِ منابع اللهجات التي تنطقُ بها القبائل العربية .

ويؤكد لويس ماسينيون : في حين أن اللغة السريانية نقلت أجروميتها عن اللغة اليونانية نقلا ، استطاعت لغة الضاد أن تشيد بناء فخما من الإعراب بضع أمام الأبصار مشهدا فلسفيا ذا أصالة وابتكار ... وقد بلغت

من حيث دقّة التعبير عن علاقات الإعراب والنحو ذروة التطور في اللغات السامية ، ومعجم العربية اللُّغوي لا يجاريه معجم في ثرائه[٨٩].

أما المعجم الكبير فيرى أن اللغة كُلٌّ متصل الأجزاء يرتبط حاضرهُ بماضيهِ ، وهما معاً يُعدّان لمستقبله ،للعربية قديمُها الخالد وحاضرها الحيّ ، ومستقبلها الزاهر ، وأنها لا تقف عند زمن معين ، بل هي كائن حي (اجتماعية) .

ولها حدود معينة للمادة اللُّغوية ، حددها بعض علماء اللغة العربية بأنها تتألف من ما يقارب (٤٠٠) ألف مادة وليس كلمة والمستعمل ،منها عشرة آلاف والباقي مجهورة ، تتماشى مع طبيعتها لأنها لغة اشتقاقية واصطلاحية وكلماتها ذات استخدام مطلق ومقيد ، لها جذورها التاريخية ، وكثرة تعريفاتها ، وصحت النصوص المأثورة والشواهد المُعقدة[٩٠].

إذن إنّ المعجم الكبير كان حافلا بذكر الكثير الالفاظ والمواد والتراكيب والأساليب والصيغ الصرفية وبيان تأصيلها وتطورها الدلاني الذي كان بفعل السماع والقياس والاشتقاق و المجاز والاستعارة والنقل،وهي عوامل تنمية اللغة وإثرائها .

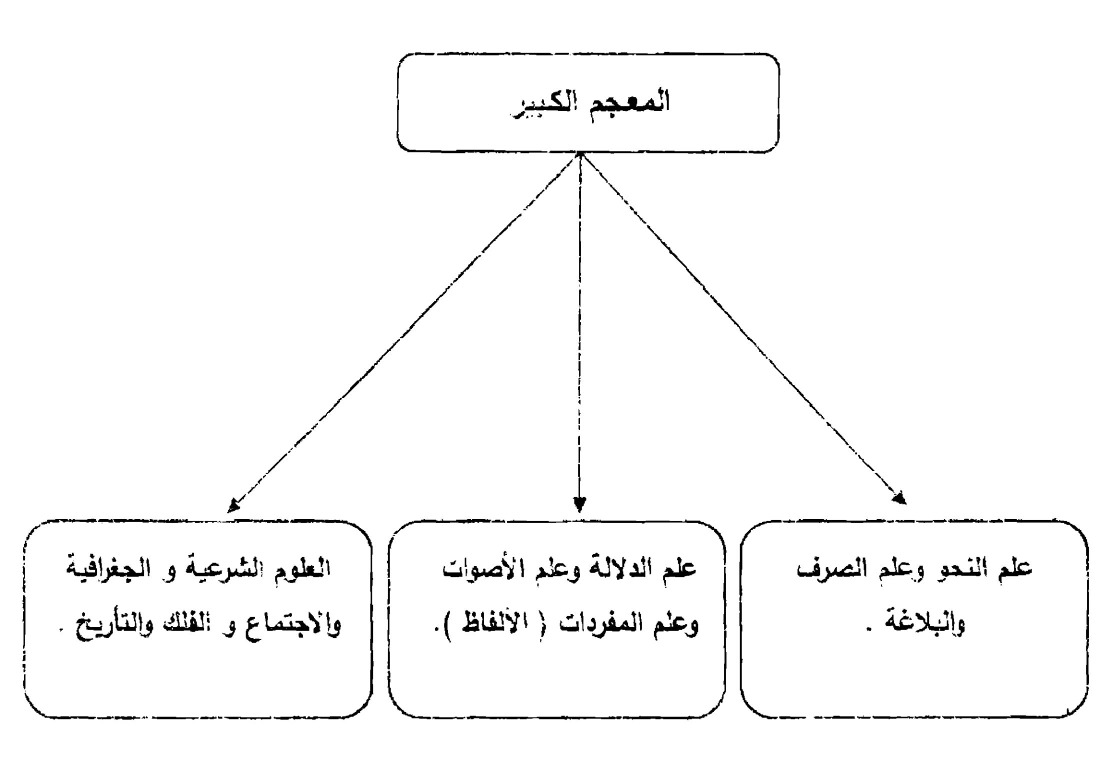
---

[٨٩] من بحث للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله عضو أكاديمية المملكة المغربية والأمين العام السابق للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي منشور في مجلة " اللسان العربي " بعنوان : ((اللغة العربية وتحديات العصر)) بالعدد الصادر في السنة ١٩٧٦.

[٩٠] ينظر : المعجم الكبير : ١/المقدمة .

مخطط توضيحي

لـ ((علاقة المعجم الكبير بالعلوم اللُغَوية وغير اللُغَوية))



الخاتمة :

من خلال هذه الدراسة توصلنا إلى أهم النتائج ، وهي على النحو الآتي :

1. على الرُّغمِ من كثرة الدراسات المعجمية في العصر الحديث ، ولاسيما المعجمات اللُّغوية التي صنعها مجمع القاهرة اللُّغوي ، فأنَّ المعجم العربي تعسرُ معالجته التاريخية عسرا شديدا نظرا إلى امتداد استعمال العربية في الزمان وفي المكان .
2. يعتبر المعجم الكبير مشروعا علميا وثقافيا وقوميا وحضاريا فضلاً عن كونه مشروعا كبيرا لمتابعة ما يطرأ على اللغة العربية من تنمية وإثراء .
3. يعد هذا المعجم من أهم عوامل التنقيب في النصوص والشواهد والوثائق الصحيحة التي لا يتطرق إليها الشك لمعرفة الحقب التي نشأت فيها الكلمة أو المفردة أو تلك المعاني أو الصيغ أو سواها .
4. يعد المعجم الكبير وهو الذي ليس له مثيل اليوم ، والذي يعمل على التأصيل والاقتراض والسياق والعبارات المتلازمة،وبيان العلاقات الدلالية بين ظواهر اللغة ، وبيان المصطلحات العلوم والفنون وخاصة المصطلحات التراثية .
5. يعد المعجم الكبير وسيلة مهمة وضرورية للغة العربية فهو يخلص المعجمات اللُّغوية العربية من نقائص منهجية ومعرفية ولاسيما في ركن التعريف الذي يعدُّ في التأليف المعجمي أهم ما يؤسس عليه المعجم ، وهو لم يخرج في مختلف المعجمات اللُّغوية عن الشرح والتحليل اللُّغوي ، بل يزيد على ذلك بكثر الاستشهادات .

٦. يعمل المعجم الكبير على سد الخلل والنقص الذي غلب على المعجمات العربية منذ القديم ، إذ لم يُعن بإظهار وحدة اللغة بالتأريخ لمفرداتها ولمعانيها عبر العصور لمعرفة ما طرأ في حياة اللغة من التطور دون أن تخرج عن نظامها العام .

٧. يعمل هذا المعجم على جمع القديم والحديث من الألفاظ والتراكيب وبيان ما يطرأ عليها من تطور وإنماء .

٨. يعد هذا المعجم مصدرا من المصادر الأساسية للغة وأداة من أدوات التعليم ، لأنه يحتوي على عدد كبير من المفردات ، ويقدم كمية ضخمة من المعلومات عن تلك المفردات ، بل إن المعجم يوفر معلومات لغوية لا يمكن الحصول عليها من مصدر آخر .

٩. إنَّ المعجمات اللُّغوية التي صنعها مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٣٣ ، ١٩٦٢ ، ١٩٨٠م) ، [الوسيط . والكبير ، والوجيز] . اعتنت بالترتيب ؛ فقدمت الأفعال على الأسماء والمجرد واللازم على المتعدي والمعنى الحسي على المعنى العقلي والحقيقي على المجازي ، واكتفى الكبير من الشواهد بما تدعو إليه الضرورة قاس فيما قصر أمره على السماع . أدخل في متنه كثيرا من الألفاظ المولدة والمعرَّبة والدخيلة .

١٠. أهتم المعجم الكبير في تأصيل الألفاظ وتتبعها في اللغات السامية ومقارنتها باللغة العربية .

١١. على الرغم من اتساع مادة المعجم الكبير إلا أنها ناقصة ، وإنّ الباحث اللُّغوي يحسن ذلك النقص ... .

١٢. يعتبر المعجم الكبير عملاً موسوعيا كبيرا يشتمل على النواحي اللُغوية والعلمية ، إذ يعتبر أضخم عمل معجمي في العصر الحديث .وهو أجلُ ما ألف في المجال التأليف المعجمي وهو الجامع لكل المعارف الإنسانية والعلمية .

١٣. أعتمد المجمع في تأليف المعجم الكبير على القرار الخاص بالتكملة المادة اللُغوية في محضر الجلسة التاسعة ، الدورة الثانية ، سنة (١٩٣٦م) .

١٤. إنّ المعجمات العربية على الرغم من رصد الكثير من شذرات اللغة إلا أنها لم تحيط بالعربية إلا أنّ أهل اللغة يجمعونها .

١٥. إن المعجم الكبير معجم لغوي حضاري يتضمن تطور مدلول الألفاظ تاريخيا ، ويدون الاشتقاقات المفردة على معانٍ جديدة،ويسجل الاستعمالات المعاصرة التي أوجبها التطور الحضاري ، ويدخل فيه المصطلحات التي أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،مع محاولة تحديد زمن المفهوم الجديد،وتكون مصادر هذا المعجم من المعجمات الموجودة بين أيدينا (قديمها وحديثها) ومن كتب التراث اللُغوي والعلمي وغيرها من المعارف ، ولا يكاد هذا المعجم يختلف عن معجم فيشر التاريخي بل سار على هديه في المنهج .

١٦. نلحظ إنّ المعجم الكبير يكثر من الاستشهاد بكلام العرب (النثر والشعر) لأنّ مدلول اللفظة لا يكون واضحا إلاّ بالشاهد أو بالشواهد ، ولا نستطيع معرفة التطور الدلالي إلا من خلال الشواهد الشعرية أو النثرية من عصورٍ مختلفة لأدباء وشعراء مشهورين ومغمورين .

١٧. يتتبع المعجم الكبير أصول الألفاظ وتأريخها وبيان ما يطرأ عليها من توليد واشتقاق أو من تبدل في مدلولاتها عبر العصور ولدى الكتاب والشعراء .

وهذا التتبع يفيدنا في تحديد الأصيل من الدخيل في اللغة ويفيدنا في رصد الانعطافات الثقافية والحضارية أيضا.

١٨. يعتبر المعجم الكبير من خزائن اللغة وكنوزها الذي يستمد منهُ طالب العلمِ وغيرهُ ما يثري حصيلتهُ اللُّغوية وتنميتها ويجعلها مرنة في مجال الأخذ والعطاء والاستيعاب والفهم والتوسع الفكري والإبداعي والثقافي .

١٩. إنَّ المعجم الكبير يعتمد أيضا على الاقتراض اللُّغوي الذي يعدُّ وسيلة من وسائل الخلق المعجمي والتوليد اللُّغَوي .

٢٠. إنَّ المقترضات من الفارسية كانت في نظر المعحميين العرب أقل غربةٌ لغوية من المقترضات ذات الأصول اليونانية أو اللاتينية أو البربرية أو العبرية والسريانية والآرامية والحبشية والأكادية ... .

٢١. إنَّ المعجم الكبير هو الهدف المرجو تحقيقه من قبل مجمع القاهرة اللُّغوي .

المصـــادر :

- أساس البلاغة ، الإمام جارالله فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، قدم لـهُ وشـرح غريبـهُ : الـدكتور محمـد أحمـد قاسـم ، المكتبـة العصـرية للطباعـة والنشـر ، بيـروت – لبنـان ، ١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م .

- الأشـباه والنظـائر مـن أشـعار المتقـدمين والجاهليـة والمخضـرمين ، للخالـدين ، أبــي بكـر محمـد (ت ٣٨٠هـ) وأبــي عثمـان سـعيد (٣٩٠. ٣٩١هـ) ابني هاشم ، حققهُ علَّقَ عليه : الدكتور السيد محمد يوسف ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة . مصر ، (د . ت).

- الأغـاني ، أبـو الفـرج الأصـفهاني (ت٣٥٦ هـ = ٩٦٦م) ، تحقيـق : سمير جابر ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، (د . ت) .

- البحوث والمحاضرات ، الدورة الرابعة والثلاثين ، فبراير ، ١٩٦٨م .

- تاج العروس من جواهر القاموس ، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحُسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، (د . ت) .

- تاريخ اللغات السامية ، الدكتور اسرائيل ولفنسون (أبو ذؤيب) ، ط١، مطبعة الاعتماد ، مصر ، ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م .

- التأريخ لمعجم اللغة العربية أسئلة وإشكالات ، الدكتور عبد العلي الود غيري ، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية ، فاس . المملكة المغربية ، أبريل ٢٠١٠م .

- تفسير البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف أبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبدالموجود وآخرون ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م .

- تهذيب اللغة ، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق :محمد عوض مرعب، ط١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠١م .

- جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) ، تحقيق : الدكتور رمزي منير بعلبكي، ط١ ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٧م .

- حاشية الصبان ، أحمد محمد بن علي المعروف بـ(الصبان الشافعي) (ت ١٢٠٦هـ) على شرح الأشموني (ت نحو ٩٠٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م .

- الحماسة البصرية ، صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري (٦٥٦هـ) ، ط١، مصر ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

- ديوان أبي الطيب المتنبي(ت ٣٥٤ هـ)، بشرح أبي البقاء العكبري (ت ٦١٠هـ) ، المسمى (التبيان في شرح الديوان) . ضبط نصه

وصححة الدكتور كمال طالب ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م .

- ديوان الأخطل(ت٩٢ هـ)، شرحة وصنف قوافيه : مهدي محمد ناصر الدين ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .
- ديوان أمرئ القيس(ت٧٢ق.هـ = ٥٤٠م) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٥ ، دار المعارف ، مصر ، (د . ت) .
- ديوان رؤبة بن العجاج (ت١٤٥ هـ) ، أعتنى بتصحيحه وترتيبه : وليم بن لورد البروسي ، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، الكويت، (د . ت) .
- ديوان ذي الرُّمَّة؛غيلان بن عقبة بن مسعود بن حارثة بن عمرو بن ربيعة(ت١١٧ هـ) ، قدم له وشرحة أحمد حسن بسج ، ط١، بيروت – لبنان ، ١٤١٥هـ = ١٩٩٥م .
- ديوان العرجي ، جمعه وحققه وشرحه : الدكتور سجيع جميل الجبيلي ، ط ١، دار صادر ، بيروت .لبنان ، ١٩٩٨م .
- ديوان الهذليين ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٥م .

- سر صناعة الإعراب ، أبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق : الدكتور حسن هنداوي ، ط ١، دار القلم ، دمشق ـ سوريا ، ١٩٨٥م .
- سمات المعجمات اللغوية العربية وخصائصها المنهجية ، الدكتور رشيد العبيدي ، بحث منشور مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٤٧/ج٤.
- شرح أشعار الهذليين ، صنعه أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري ، تحقيق : عبدالستار أحمد فراج ، راجعه : محمود أحمد شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة . مصر ، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٥م .
- شرح شافية ابن الحاجب الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (٦٨٦هـ) ، للعالم الجليل عبدالقادرالبغدادي صاحب خزانة الأدب (ت ١٠٩٣هـ) ، تحقيق : محمد نور الحسن وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م .
- شرح المفصل ، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ) ، تحقيق : الدكتور أميل بديع يعقوب ، ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ١٤٢٢هـ = ٢٠٠١م .
- شعر إسماعيل بن يسار . الدكتور يوسف حسين بكار ، ط ١، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، أبو الحسن أحمد بن فارس زكريا الرازي اللغوي (ت ٣٩٥هـ) ، حققه وضبط نصوصه

وقدم لـه : الـدكتور عمـر فـاروق الطبـاع ، طـ١، مكتبـة المعـارف ، بيروت – لبنان ، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م .

- الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ) ، تحقيق : محمد زكريا يوسف ، دار العلم للملايين ، بيروت . لبنان ، ط٤ ، يناير ١٩٩٠م .
- العباب الزاخر واللباب الفاخر ، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (٥٧٧ هـ . ٦٥٠ هـ) ، (حرف الطاء) ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، دار الرشيد ، بغداد . العراق ، ١٩٧٩م .
- غريب الحديث ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي(ت٣٨٨ هـ) ، تحقيق : عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٢هـ .
- الفائق في غريب الحديث ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، (د . ت) .
- فقه اللغة ، الدكتور علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ،(د. ت).
- الكتاب ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت١٨٠هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت . لبنان ، (د . ت) .

- لحن العوام ، أبو بكر محمد بن حسن بن مذحج الزبيدي (٣١٦ـ ٣٧٩هـ) ، تحقيق : الدكتور رمضان عبد التواب ، ط١ ، المطبعة الكمالية ، القاهرة ، ١٩٦٤م .
- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ) ، ط١ ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ١٩٥٦م .
- اللغة العربية وتحديات العصر ،الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله ، بحث منشور في مجلة اللسان العربي ، الرباط . المملكة المغربية ، العدد الصادر في السنة ١٩٧٦
- المجامع العربية وقضايا اللغة من النشأة إلى أواخر القرن العشرين ، الدكتورة وفاء كامل فايد ، عالم الكتب ، ٢٠٠٤م .
- محاضر جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الدورة الأولى ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، ١٩٣٦م .
- محيط المحيط قاموس مطوّل للغة العربية ، المعلم بطرس البستاني ، طبعة جديدة ، مطابع تيبو برس ، بيروت . لبنان ، ١٩٨٧م .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .

- المعاجم العربية مدارسها ومناهجها ، الدكتور عبد الحميد محمد أبو سكين ، ط٢، الفاروق الحرفية للطباعة والنشر ،١٤٠٢هـ = ١٩٨١م .
- معاني الأبنية في العربية ، الدكتور فاضل صالح السامرائي ، جامعة الكويت ، كلية الآداب ، ط١ ، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م .
- معجم ألفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث . مطابع الأوفسيت بشركة الإعلانات الشرقية ، القاهرة . مصر ، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م .
- المعجم العربي الأساسي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، طبعة لاروس ، ١٩٨٩م .
- المعجم العربي نشأته وتطوره ، الدكتور حسين نصار ، ط٤ ، دار مصر للطباعة ، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م .
- المعجم الكبير ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث ، ط١ ، سنة الطباعة متباينة ، (من حرف الهمزة حتى حرف الراء) سنة ٢٠١٣م .
- المعجم الكبير ، الدكتور إبراهيم مدكور ،(بحث منشور) في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج٢٨ ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، رمضان ١٣٩١هـ = نوفمبر ١٩٧١م .

- المعجم اللغوي التاريخي . الألماني أوجست فيشر ، ط١، المطابع الأميرية ، القاهرة . مصر ، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م . (القسم الأول منه فقط) .
- معجم مقاييس اللغة . أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق وضبط : عبدالسلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .
- المعجم الوسيط ، قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وآخرون ، وأشرف على طبعه عبد السلام محمد هارون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، (د . ت) .
- مناهج البحث في اللغة ، الدكتور تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ١٤٠٠هـ = ١٩٧٩م .
- المنجد في اللغة ، الأب لويس معلوف اليسوعي . ط ١٩، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت. لبنان . (د . ت) .
- النهاية في غريب الحديث والأثر ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية . بيروت – لبنان ، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م .

واحة أوجلة ودورها الاقتصادي في تجارة الصحراء خلال العصر الإسلامي

الدكتورة سعاد جواد حسن
قسم التأريخ – كلية التربية – جامعة ميسان

الملخص :

تشكل الواحات الصحراوية مكانا بارززا كبيرة في الاقتصاد التجاري العالمي على مر العصور لما لها من دور كبير في تجارة الصحراء ، وتعد " واحة اوجلة " التي يسميها ابن حوقل النصيبي " جزيرة اوجلة " واحدة من الواحات التي كان لها دورها في تجارة الصحراء لما تتمتع به من موقع استراتيجي مهم يتوسط طرق الجارة الرئيسة بين البلدان المتاخمة لها منجميع الجهات مما جعلها مركزا ومحطة للاستراحة على طرق تجارة القوافل الصحراوية التي تاتيها من الشرق والغرب او بالعكس ومنذ القدم ، أي ما بين مصر وما جاورها شرقا و بلاد المغرب وما جاورها غربا ، وبين بلاد السودان جنوبا وبلدان شمال البحر المتوسط شمالا .

تضمن البحث بيان اهمية موقع واحة اوجلة بناء على ما اوردته المصادر العربية الاسلامية والاجنبية وما قدمه المؤرخون من قدامى ومحدثين عن سكانها ولغهم وعلاقاتهم التجارية مع الواحات الأخرى والبلدان المجاورة لها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا مركزين على دورها المهم في العصر الاسلامي .

المقدمـــة :

تعد واحة أوجلة ، وهي واحة اوجيل التأريخية ، [1] من الواحات الصحراوية المهمة التي كان لها دورها الفعال والمتميز على مر العصور التأريخية ، فقد تميزت واحة أوجلة بأهميتها التجارية وذلك بحكم موقعها الاستراتيجي المهم الذي يتوسط طرق التجارة الرئيسة التي تربط بين المناطق والبلدان المتاخمة لها من جميع الجهات ، مما جعلها مركزا ومحطة للاستراحة على طرق تجارة القوافل الصحراوية التي تسير من الشرق إلى الغرب أو بالعكس منذ العصور القديمة ، أي ما بين مصر وما جاورها شرقا وبلاد المغرب وما جاورها غربا ، وبين بلاد السودان جنوبا وبلدان شمال البحر المتوسط شمالا .

أولا/ واقع واحة أوجلة الجغرافي والتأريخي من حيث الأرض وإنتاجها والسكان وسبل معايشهم :-

لقد تعددت وتباينت أراء المؤرخين الجغرافيين القدامي والمتأخرين من عرب مسلمين وغيرهم عن واقع واحة أوجلة وتبيعتها ، فيذكر اليعقوبي الذي عاش في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي أن أوجلة عمل من أعمال برقة في مفازة مغرب لمن أراد الخروج إليها ينحرف إلى القبلة ، ومن ثم يسير

---

(1) باشو ، جان ريمون ، رواية رحلة إلى قرفرة وقورينة وواحتي أوجلة ومرادة ، تعريب مفتاح عبدالله المسوري ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، 1991م ، ص 317 .

إلى مدينتين يقال لأحدهما جالو وللأخرى ودان [٢] ، وبذلك يعتبر اليعقوبي أن برقة وجالو وودان ضمن حدود اقليم برقة .

أما أبن حوقل النصيبي الذي عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي فيطلق عليها جزيرة أوجلة ، ويذكر بأنها ضمت ألى أقليم برقة وتقع منها على أيام بين غربها وجنوبها ، ويلي واحة أوجلة على وقته رجل من ناحية صاحب برقة مما أدى إلى غزارة مالها [٣] .

وعلى عهد أبي عبيد البكري الذي عاش في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي كانت أوجلة مدينة عامرة تشمل قرى كثيرة وتبعد عن اجدابيا مسيرة سبعة أيام ، ويرى البكري أن أوجلة أسم الناحية أما أسم المدينة فهي ارزاقية وفيها ، أي أوجلة نخيل واشجار كثيرة وفواكه [٤] .

ويذكر الأدريسي وهو من علماء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، أن أوجلة مدينة صغيرة متحضرة ، وأن أرضها وأرض برقة

---

[٢] احمد بن أبي يعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) كتاب البلدان مطبوع مع كتاب الاعلاق النفيسة لأبن رستة ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د . ط ، د . ت ، ص٣٤٥ .

[٣] محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي (ت القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص٧٠ .

[٤] عبدالله بن عبدالعزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) كتاب المسالك والممالك ، تحقيق أدريان فان ليوقن وأندري فيري ، الدار العربية للكتاب ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، تونس ، ١٩٩٢م ، ص٦٦٠ .

واحدة ، ومن مدينة أوجلة إلى برقة عشر مراحل في البرية لسير القوافل ، وهي في رصيف طريق مما أدى إلى كثرة تجارتها فالوارد عليها والصادر كثير ، وأن مياهها قليلة ويعتمد سكانها في مشربهم على المواجل [٥] ، وتتميز بكثرة النخيل الذي يطيف بها والغلات ومنها يدخل إلى أرض السودان متجها إلى بلاد كوار وبلاد كوكو [٦].

ويذكر ياقوت الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) إن أوجلة مدينة تقع في جنوبي برقة نحو المغرب ضاربة إلى البر [٧] ثم يشير إلى ما ذكره البكري سابقا .

أما ابن سعيد المغربي الذي عاش في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، فيذكر أن أوجلة جزيرة في الرمال ، وعمارة في تلك

---

[٥] المواجل أو المآجل مفردها ماجل هو في الأصل البركة العظيمة التي تستنقع فيها المياه ، ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د . ط ، د . ت ، ٣٢/٥ ، الزبيدي ، السيد محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ/١٧٩١م) ، تاج العروس ، دار صادر ، بيروت ، د . ط ، د . ت ، ١١٣/١١٢/٨ .

[٦] ابو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن أدريس المعروف بالشريف الادريسي (ت القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩م ، ج٣١٢/١ الحميري ، محمد بن عبدالمنعم (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م) الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤م ، ص٦٤ .

[٧] معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د . ط ، د . ت . ٢٧٦/١ .

الصحاري فيها ماء ونخيل وهي على عهده تحت خفارة هيت وتقع على جنوبي الطريق إلى الإسكندرية [٨] .

ويعتبر شيخ الربوة أن أوجلة أقليم ، فيه مدينة أزراقية ، ويشير إلى كثرة نخيلها [٩] .

أما الحسن الوزان المعروف بأسم ليون الافريقي (ت٩٤٤هـ/١٥٣٧م) وكان قد زار ليبيا نحو سنة ٩٢٤هـ/١٥١٨م [١٠] ، فيذكر أن أوجلة ناحية في صحراء ليبيا مسكونة وتبعد مسافة اربعمائة وخمسين ميلا من النيل ، فيها ثلاثة قصور وبضع مدائن صغيرة وتقع على الطريق الكبرى الذاهبة من موريتانيا إلى مصر مرورا بصحراء ليبيا ، وهذه القصور هي أوجلة وجالو وجكرة ، التي تشكل مثلثا تبعد كل واحدة منها عن الأخرى ثلاثين أو أربعين كيلو مترا [١١] .

---

(٨) أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) ، كتاب الجغرافية ، تحقيق أسماعيل العربي ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د . ط ، ١٩٧٠م ، ص١٢٨ .

(٩) شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي ، (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م) ، نخبة الدهر في عجائب البر والحر ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ليبزك ، ١٩٢٣م ، ص٢٣٩ .

(١٠) زيادة ، نيقولا ، ليبيا من حسن الوزان إلى التمغروتي ، بحث في كتاب ليبيا في التأريخ ، المؤتمر التأريخي المنعقد من ١٦-٢٣ مارس ، ١٩٦٨م ، الجامعة الليبية ، كلية الآداب ، ص٢٥٦ .

(١١) الحسن الوزان بن محمد الوزان الفاسي ، (ت٩٤٤هـ/١٠٣٧م) ، وصف أفريقيا ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ◄

أما الرحالة مارمول الفلمنكي الذي زار ليبيا في الثلث الأخير من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، فيذكر في كتابه تأريخ شمال أفريقيا أن أوجلة هي منطقة سابقة للصحارى – الصحراء الكبرى – وتوجد فيها ثلاثة مدن وبضع قرى ، وكلها تقع على الطريق الرئيس الذي يصل بين موريتانيا – شنقيط – إلى مصر [١٢] .

ويرى باشو أن واحة أوجلة ، أوجيل التأريخية ، تتبعها واحتان صغيرتان هما واحة جالوا واجخرّة اللتان تفصل بينها مسافة تتراوح بين خمسة وستة فراسخ [١٣] ، ويحتمل انهما يتبعانها منذ التأريخ القديم ، بل يفترض أن تتبع هذه المجموعة من الواحات واحة مرادة التي تقع على بعد مسيرة ثلاثة أيام تقريبا في اتجاه الغرب ، حيث تقع في وسط اشجار النخيل شأنها في ذلك شأن الواحات الثلاث الأخرى [١٤] .

ويذكر عبدالعزيز طريح شرف أن واحات أوجلة وجالو وجخرة تقع في منخفض واحد مابين خطي طول ١٠ ْ ٢١ و ٤٠ ْ ٢١ شرقا ، وهي جزء من

ط٢ ، ١٩٨٣م ، ج٢/١٠٩ المتن والهامش ، زيادة ليبيا من حسن الوزان إلى التمغروتي ، ص٢٦٢ .

(١٢) زيادة ليبيا من حسن الوزان إلى التمغروتي ، ص٢٥٧،٢٦٩ .

(١٣) الفرسخ : فارسي معرب ، معناه الراحة ، ومنه أخذ فرسخ الطريق ، ومقداره ثلاثة أميال هاشمية أو ستة (أو أثنا عشر ألف ذراع أو عشرة آلاف ذراع) سمى بذلك لأن صاحبه إذا مشى قعد واستراح من ذلك كأنه سكن . الزبيدي ، تاج العروس ، ٢/٣٧٢-٣٧٣ .

(١٤) رواية رحلة إلة فرقرة وقورينا وواحتى أوجلة ومرادة ، ص٣١٧-٣١٨ .

سلسلة المنخفضات التي تمتد بين الشرق والغرب نحو خط عرض ٢٩ ْ ومع أن كل واحدة من هذه الواحات الثلاث تشغل منخفضا صغيرا داخل هذا الحوض الكبير [١٥] .

وتقع واحة أوجلة في القسم الشمالي من المنخفض الكبير نحو خط طول ٢١ ْ شرقا ، أما واحة جالو فتقع على بعد ٣٠ كم شرق الجنوب الشرقي من أوجلة ، أما واحة جخرة فتبعد ٣٠ كم عن واحة جالو في خط مستقيم ، وتبعد عنها مسافة ٤٥ كم عن الطريق الذي يخترق حطية مليدا في شمال جالو ، أما البعد ين واحتي جخرة وجالو وبين واحة أوجلة فيبلغ ٤٠كم في خط مستقيم بينما تبلغ المسافة بينهما ٤٥ كم عن طول الطريق المعتاد بينها [١٦] .

ويطلق اليوم إسم أوجلة كما كان الأمر على عهد أبي عبيد البكري ، على مجموعة من الواحات وهي واحة أوجلة وطولها ١٥ ميلا وعرضها ميلان ، ثم واحة جالو طولها ١٥ ميلا وعرضها ثمانية أميال ، ووادي باتوفل أو باتيفل وليشكرش التي تبعد مسيرة يوم واحد إلى الشرق ، وتكثر في هذه الواحات اشجار النخيل [١٧] .

---

(١٥) جغرافية ليبيا ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٦١م ، ص١٤٤ وانظر الخارط شكل رقم (١) في الملحق رقم ١ ، ص١٨ .

(١٦) طريح شرف ، جغرافية ليبيا ، ص١٤٦ ، ١٤٨ .

(١٧) خورشيد ، إبراهيم زكي ، وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، دار الشعب ، القاهرة ، د . ط ، د . ت ، م٥ /١٧٣ .

أما عن سكان واحة أوجلة ومايتبعها من واحات أخرى ، فقد أختلفت الأراء عن أصل السكان فيها ، فيرى بعضهم أن سكانها الحاليين من أصول مراكشية هاجرت من الغرب وأستقرت فيها وأن قبيلتي الحطي والسبخة وهما من أكبر القبائل من نسل أولئك المهاجرين وما زالت موجودة في هذه الواحة حتى الأن [١٨] ، وتعد هاتان القبيلتان الحطى ، والسبخة ، اللتان تتكونان من عوائل متعددة من أقدم سكان واحة أوجلة[١٩] .

على أن المتفق عليه أن أقدم سكان واحة أوجلة كانوا من النساموني الذين كانوا ينتشرون في أغلب الصحاري ليبيا إلا أنهم أختفوا منها تماما منذ أمد بعيد ولما جاء الفتح الإسلامي أستقر فيها البربر [٢٠] الذين اعتنقوا الدين الإسلامي مباشرة ، وهؤلاء هم الذين يتكون منهم الأوجليون الحاليون ، والذين كان بعضهم ينتشرون أيضا في واحتي جالو وجخرة ولكنهم أضطروا للتجمع في أوجلة بعد وصول الفتح العربي للمنطقة [٢١] .

ولمؤرخينا المسلمين أراوهم في سكان واحة أوجلة فيذكر اليعقوبي أن قوما يقال لهم لمطة[٢٢] اشبه شيء بالبربر وهم اصحاب

---

[١٨] الطريح شرف ، جغرافية ليبيا ، ص٥٠٦ .

[١٩] التليسي خليفة محمد ، معجم سكان ليبيا ، دار الريان ، ١٩٩١م ، ص٤٤ .

[٢٠] البربر هم سكان أفريقيا البيض ، وبربر في اللغة العربية تعني الصحراء ، الحسن الوزان ، وصف أفريقيا ، ج١ /٣٤ .

[٢١] طريح شرف ، جغرافية ليبيا ، ص٥٠٦ – ٥٠٨ .

[٢٢] لمطة : أرض لقبيلة من البربر بأقصى المغرب ويقال لأرض للقبيلة معا لمطة ، ياقوت معجم البلدان ، ٥/٢٣ .

الدرق[23] الملطية البيض ، ويوجد هؤلاء ممايلي مدينة زويلة إلى طريق أوجلة واجدابية [24] .

ويرى شيخ الربوة أن لمطة قبيلة من البربر من ولد كنعان ، بل من ولد بربر بن قفط الذين تفرقوا بعد وفاة أبيهم ، حيث خرج بربر مغاضبا لبني أبيه متوجها إلى ناحية المغرب ، وان القول المعتمد عليه أن ديارهم كانت فلسطين وملكهم جالوت الذي قتله طالوت ، فهربوا إلى ناحية إفريقية وكانت تسمى مراقية فوقعت الحروب بينهم وبين الروم ثم توادعوا على أن يسكن البربر الجبل والرمال ، ويسكن الروم المدن والجزائر إلى أن ملك المسلمون وفتحوا مشارق الأرض ومغاربها ، ويرى بعضهم انهم من ولد بربر بن قيس بن عيلان ، ولقد أقام منهم من حمير صنهاجة وكتامة وتفرقت صنهاجة في قبيلتين هما قارا بن صنهاج ومارا بن صنهاج قال شاعرهم :-

قومٌ لهم شرف العلى من حميرٍ   فإذا انتموا صنهاجة فهمو هُموا

لمّا حووا لكمال كل فضيلةٍ   غلبَ الحياءُ عليهمْ فتلثموا[25]

---

[23] الدرق الصلب في كل شيء ، والدرقة ، محركه الجحفة تتخذ من جلود ليس فيها خشب ولاعقب ، وقيل تتخذ من جلود دواب تكون في بلاد الحبش انظر الزبيدي ، تاج العروس ، ٦/٣٤٣ .

[24] البلدان المطبوع مع الاعلاق النفيسة ، ص٣٤٥ .

[25] نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص٢٦٧ .

ويرى الحسن الوزان [٢٦] أن سكان صحراء ليبيا التي تمتد من أوجلة إلى النيل هم الأعراب، فضلا عن شعب لواته[٢٧] الأفريقي .

ويرى الأدريسي أن سكان أوجلة هم من العرب فيذكر في معرض حديثه عن مدينة أوجلة بأنها مدينة صغيرة ومتحضرة وفيها قوم ساكنون ، وهي كثيرة التجارة وذلك على مدار احتياجهم واحتياج العرب [٢٨] .

ويقسم بعض المؤرخين سكان مجموعة واحات أوجلة إلى ثلاثة أقسام هم :-

١- الأوجلين Augelitcs وهو الاسم الذي اطلقه اتيان البيزنطي على سكان أوجلة [٢٩] ويمتهن هؤلاء الزراعة واستخراج الملح وقيادة القوافل التجارية ، وهم من أصل بربري ولغتهم البربرية [٣٠].

والاوجلي أو الأوجلة نسبة إلى واحة أوجلة ويقسمون إلى أسر متعددة منها الحاطي والسبخة والسراحنة والزقاقنة [٣١] .

---

[٢٦] وصف افريقيا ، ج٢/١٥٤ .

[٢٧] لواته ، قبيلة من قبائل مسلاته ، انظر التليسي ، معجم سكان ليبيا ، ص٣٢٥ .

[٢٨] نزهة المشتاق ، م١/٣١٢ .

[٢٩] باشو ، رواية رحلة ارقرقرة وقورينه وواحتي أوجلة ومرادة ، ص٣٢٤ .

[٣٠] خورشيد ، وآخرون ، دائرة المعارف الاسلامية ، ٥/١٧٣ .

[٣١] التليسي ، معجم سكان ليبيا ص٤٤ ، أنظر تفاصيل أسماء هذه العلائلات على الصفحات ص٤٤ ، ٤٥ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٤٦ ، ١٩٢ ، ١٩٥ ، ٢٣٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٨ من السبخة ، صناعة الاوجلة .

٢- قبائل المجبرة : وهم البربر الذين يتكلمون اللغة العربية ويقطنون حول العرق في واحة جالوا ويشتغلون بالتجارة ويتميزون بالأمانة فيها [٣٢] .

وقبائل المجبرة أو المجابرة أو المحبرين وهم بطن من عبد مناف بن قصي كانوا أكثر العرب وفادة على الملوك [٣٣] .

ويرى التليسي أن قبيلة المجابرة تنحدر من القبيلة القديمة على أقوى الاحتمالات من أولاد احمد وهم فرع هيب من بني سليم التي اورد المؤرخون العرب أقامتهم في المناطق الغربية من برقة ، وأغلب هذه القبيلة تقيم في واحة أوجلة واهم عائلاتها الحريبات والقزوزة والبعارات والصنبوية والعويلات والنصيرات والحمران والخلائف والعلالقة والطوالب والسعدات والمخاطرة [٣٤].

٣- قبيلة الزوية وهي قبيلة عربية تنسب في الأصل إلى قبائل الحساونة وهم جميعا ينحدرون من قبائل بني سليم [٣٥] استوطنت لشكرش [٣٦] كما استوطنت في مناطق الواحات الداخلية خاصة جخرة والكفرة وكذلك في

---

[٣٢] خورشيد وآخرون ، د . ت ، المعارف الاسلامية ١٧٣/٥ .

[٣٣] كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، منشورات دار مكتبة الاندلس ، بنغازي ، د .ت /ج١٠٤٠/٣ عن جمهرة الأمثال للعسكري على هامش الامثال ج٢٥٢/٣ .

[٣٤] معجم سكان ليبيا ، ص٣٢٩ ، وانظر اسماء العائلات ، ص٣٣٤ .

[٣٥] شريح شرف ، جغرافية ليبيا ، ص٥٢٠ ، التليسي معجم سكان ليبيا ، ص١٣٨ .

[٣٦] خورشيد وأخرون ، دائرة المعارف ١٧٣/٥ .

فـزان وسـيوة والـوادي واجـدابيا وأهـم فروعهـا سـديدي والجلـولات والشواقر [٣٧] .

أما فيما يخص لغة سكان واحة أوجلة فأن لهم لغتهم الخاصة التي يتداولونها فيما بينهم منذ القديم ولايزالون محافظين عليها يتكلمون بها إلى جانب معرفتهم باللغة العربية ويعتقد بعضهم أن لغتهم الخاصة هذه ربما تكون هي اللغة الليبية الأصلية غير أنهم تأثروا بالعربية في الكثير من مفرداتها ، وأن عدم إستخدامها قد قضى على الكثير من مفرداتها [٣٨] ، ومما يدلل على معرفتهم باللغة العربية هي تعاملهم مع القادمين عليهم من العرب سواء في الجزيرة العربية إلى المغرب أو بالعكس كما سنرى فيما بعد .

ومما تجدر الاشارة إليه أن فتح برقة التي تقع فيها واحة أوجلة كان على يد القائد عمرو بن العاص في زمن الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (ﷺ) (١٣هـ-٢٣هـ/٦٣٤م-٦٤٤م) حيث كانت "... لوبيا ومراقية وهما كورتان من كور مصر الغربية ... فسار عمرو بن العاص في الخيل حتى قدم برقة فصالح أهلها على ثلاثة عشر ألف دينار يؤدونها جزية ...

---

[٣٧] التليسي ، معجم سكان ليبيا ص١٨٨ وانظر أيضا /ص١٢٥ ، ١٩٣ ، ص٢١٦ ص٢٩٠ .

[٣٨] بازمة ، محمد مصطفى ، قورينة وبرقة نشأت المدينتين في التأريخ مكتب قورينا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، د . ط ، ١٩٧٣م ، ص١٦٨ .

ووجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة [٣٩] ، وصار مابين برقة وزويلة للمسلمين " [٤٠] .

وفي عهد الخليفة الراشداي الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (٢٣هـ - ٣٥هـ /٦٤٤م-٦٥٦م) غزا القائد عبدالله بن سعد بن ابي سرح على رأس جيش افريقية [٤١] فمر بواحة أوجلة ، وله فيها مقام ، ويقال أنه مات ودفن فيها نحو سنة ٢٧هـ/٦٤٧م[٤٢] ، ويبدو أن هذا القول يحتاج إلى إعادة نظر ذلك لسكوت مصادرنا العربية الاصلية عن ذكر وفاته في هذه السنة أي سنة ٢٧هـ فضلا أن هذه المصادر ترى أنه أي عبدالله كان قد غزا أفريقية الثانية حين نقض أهلها العهد سنة ٣٣هـ [٤٣].

---

[٣٩] زويلة من بلاد السودان وسكانها من لمطة ، شيخ الربوة نخبة الدهر ، ص٢٤٠ .

[٤٠] أبن عبدالحكم ، عبدالرحمن بن عبدالله ، (ت ٢٥٧هـ/٨٧٠ م) ، فتوح مصر والمغرب ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ص ص ١٩٧ – ١٩٨ .

[٤١] أبن عبدالحكم ، فتوح مصر ، ص٢١٠

[٤٢] طريح شرف ، جغرافية ليبيا ، ص٥٠٣ وأنظر شكل رقم١ في الملحق رقم (٢) ، جامعة الأمام محمد بن اسعود الإسلامية الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي ، وزارة التعليم العالي ، ١٤١٩هـ، ص٢١٧ .

[٤٣] الطبري ، محمد بن جرير ، (ت٣١٠هـ/٩٢٢ م) تأريخ الرسل الملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، د .ت ، ٢١٧/٤ ، أبن الجوزي عبدالرحمن بن علي ،(ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) المنتظم ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفي عبدالقادر عطا ، مراجعة ، نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م ، ج٥/٤٠ حوادث سنة ٣٣هـ .

كما أنه شارك في غزوة ذات الصواري في البحر سنة ٣٤هـ/ ٦٥٤م [٤٤] وأنه رحمه الله توفى بعسقلان في سنة ٣٦هـ/٦٥٦م[٤٥] ولعل مقامه ومسجده هناك أعتبره الناس بمثابة ضريحه .

ثانيا : العلاقات التجارية الداخلية لواحة أوجلة مع الواحات الأخرى وأهم طرقها ونظامها وسلعها وضرائبها ومعوقات التجارة فيها .

لم تتوفر لدينا معلومات واضحة وغزيرة عن العلاقات التجارية لواحة أوجلة مع الواحات الداخلية الأخرى ، ومع ذلك يمكننا أن نستشف من بعض الروايات التأريخية التي أوردها البلدانيون والمؤرخون من عرب مسلمين ومستشرقين وغيرهم أن هناك علاقات تجارية كانت قائمة ومنذ القدم بين واحة أوجلة التي كانت هي الواحة الرئيسة في المنطقة حتى بداية الفتح

---

[٤٤] أبن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص٢٠١ ، ٢١٧ ، أبن عساكر ، عل بن الحسن بن هبة الله الشافعي(ت٥٧١هـ/ ١١٧٥ م) ، تهذيب تأريخ دمشق الكبير : هذبه ورتبه عبدالقادر بدران ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٧م ، ج٧ /ص٤٣٥. ، أبن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت٨٧٤ هـ/١٤٧٩م) ، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، تحقيق محمد عبدالقادر حاتم ، نسخة مصورة عن طبقة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ج١/٨٠ .

[٤٥] أبن عبدالحكم ، فتوح مصر ، ص٢٩١ ، أبن عساكر ، تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، ٤٣٥/٧ ، أبن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٨٢/١ وقيل سنة ٥٧، النجوم الزاهرة ، ٨٣/١ .

الإسلامي [٤٦] مع الواحات المجاورة لها شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا تلك العلاقات التي فرضتها الظروف الجغرافية والطبيعية لواحة أوجلة بسبب موقعها الاستراتيجي المهم والواقع على مفترق الطرق بين هذه الواحات .

وإذا ماعرفنا أن منخفض واحات أوجلة والذي يسميه بعضهم" واحات جالو" [٤٧] بشكل مثلث يضم مجموعة من الواحات تتصدرها واحة أوجلة وواحة جالو وواحة جخرة جميعها تقع ضمن منخفض الواحات الشمالية التي تمتد في شمال الصحراء الليبية على طول خط عرض ٢٩° شمالا [٤٨] أدركنا مدى أهمية موقع هذه الواحات الاستراتيجي على مفترق طرق القوافل التجارية مابين واحات الشرق والغرب وبين المناطق الشمالية والساحلية منها وواحات الجنوب منذ عصر ماقبل الاسلام ، حيث كانت طرق القوافل التجارية تجوب الصحراء [٤٩] ، وكانت واحة أوجلة هي الواحة الرئيسة في المنطقة آنذاك [٥٠] مما جعلها همزة الوصل وواسطة العقد بين الواحات الواقعة على جانبيها شرقا وغربا من جهة وبين مناطق الساحل الشمالي والمناطق الجنوبية من جهة أخرى ، تمر عن طريقها مباشرة قوافل التجارة

---

[٤٦] جامعة الإمام محمد بن اسعود الاسلامية ، الموسوعة الجغرافية للعالم الاسلامي ، ص٢١٧ .

[٤٧] المرجع نفسه ، ص٢١٧ .

[٤٨] طريح شرف ، جغرافية ليبيا ، ص١٣٤ .

[٤٩] أيوب ، محمد سليمان ، جرمة في عصر إزدهارها ، تأريخ ليبيا القديم ، ص١٩٢.

[٥٠] جامعة الامام محمد بن أسعود الاسلامية ، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي ، ص٢١٧ .

مابين واحة الخارجة والداخلة وسنتريه – سيوة [٥١] شرقا إلى أوجلة ثم إلى فزان ثم إلى سبها وجرمة التي هي مدينة فزان العظمى [٥٢] حيث تسير القوافل منها أي من جرمة إلى زويلة [٥٣] ومنها إلى الكفرة في الجنوب .

ومن مركز فزان تسير قوافل التجارة شمالا إلى المدن الساحلية على البحر المتوسط ومنها لبدة [٥٤] وأويا [٥٥] .

ويتفرع من مدينة جرمة طريق آخر بأتجاه الشمال إلى سيداموس ثم إلى صبراته التي تقع على الساحل ضمن أربع مدن يجمعها قطر واحد وهي القيروان وهذه المدن هي رقادة وصبرة والمنصورية والقصر [٥٦] .

ويرى بعضهم أن الطريق المتجه من طيبة بمصر العليا يسير نحو واحة الخارجة فالداخلة ثم الفرافرة والبحرية وسيوه فالجغبوب ، ومن الجغبوب يتفرغ الطريق إلى واحة أوجلة ثم إلى سرت أو إلى فزان ، وهو الطريق الذي

---

[٥١] روسّى ، إتوري ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١م ، ترجمة خليفة محمد التليسي ، الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، ١٩٧٣م ، ص١٠٨ .

[٥٢] ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص٢٢٢ .

[٥٣] زويلة ، تقع في أطراف سودان العرب قاعدة فزان ، أبي الفداء إسماعيل بن محمد ، (ت٧٣٢هـ/١٣٣٢م) تقويم البلدان ، مكتبة المثنى ، بغداد ، دار طباعة السلطان ، باريس ، ١٨٤٠م ، ص١٤٦-١٤٧ .

[٥٤] لبدة : مدينة بين بقة وافريقية ، ياقوت معجم البلدان ، ٨/١٠ .

[٥٥] أويا: هي طرابلس أنظر الوافي ، محمد عبدالكريم ، منهج البحث في التأريخ والتدوين التأريخي عند العرب ، منشورات جامعة قاريونس بنغازي ، ط١ ، ١٩٩٠م ، ص٧١ .

[٥٦] شيخ الربوة ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص٢٣٧-٢٣٨ .

ذكره هيرودوتس ، وهناك طريق آخر يتجه جنوبا من واحة أوجلة إلى واحة الكفرة ثم إلى دار فور [٥٧] .

وهناك طريق بين أوجلة وودان التي تقع جنوب مدينة سرت [٥٨] ومن الطرق الداخلية الأخرى الطريق الذي يسير من اجدابية منجها نحو الجنوب مارا بواحة جالوا ثم إلى واحات الكفرة التي تقع أقصى جنوب شرق ليبيا [٥٩] .

وكانت القوافل التجارية التي تسير عبر هذه الطرق الصحراوية ذاهبة آيبة تحمل معها ماتنتجه هذه الواحات من واحة إلى أخرى فضلا عما يصل إلى هذه الواحات من منتجات مستجلبة من خارج حدودها لسد حاجة سكان هذه الواحات لاسيما الحبوب والفواكه والأنسجة وغيرها ، وعلى سبيل المثال الكتان الذي يأتي من صعيد مصر من مدينة بوش التي وصفت بأنها أكثر بلاد مصر كتانا ومنها يجلب إلى سائر أفريقيا ومدينة دلاص التي كانت أيضا كثيرة الكتان يحمل منها إلى أفريقية [٦٠]

---

[٥٧] الأثرم ، رجب عبدالحميد ، تأريخ برقة السياسي والاقتصادي ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، د . ط ، ١٩٨٨م . ص٨١ ؛ أنظر خارطة رقم (٣) ملحق رقم ٤ (عن كتاب جغرافية ليبيا طريح ص١٣٥) .

[٥٨] أبن حوقل ، صورة الأرض ص٧٠ .

[٥٩] طريح شرف ، جغرافية ليبيا . ص٥١٧ ، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية ، الموسوعة الجغرافية ، ص٢١٩ .

[٦٠] أبن بطوطة ، محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي ، (ت ٧٧٠هـ/١٣٧٧م) تحفه النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق علي المنتصر الكتاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٥هـ ، ٦٣/١ .

وكانت واحة أوجلة وثيقة الصلة بولاية برقة إذا أن أرضهما واحدة وبينهما من المسافة عشرة مراحل لسير القوافل[61] وكان يليها على أيام أبن حوقل رجل من قبل صاحب برقة التي تميزت بكثرة التجار الغرباء في كل وقت عابرين عليها مغربين ومشرقين لما فيها من التجارة لاسيما القطران الذي تنفرد بتجارته ، فضلا عن التمور الواصل إليها من جزيرة أوجلة [62] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن أشتهار واحة أوجلة وتميزها بكثرة النخيل فيها ومنذ أقدم العصور ، حيث لم يكن المسلمون ممن غرسه ، [63] فضلا عن كثرة تمورها وجودتها ، وكثرة اصنافها فلا غرابة أن نجدها تزود المناطق والواحات المجاورة لها حتى وأن كانت ممن تنتج التمور، ومنها إجدابيا التي وصفت بأنها كثيرة التمر الذي يأتيها من مدينة أوجلة ، مما جعلها راخية الأسعار وأسواقها حافلة مقصودة [64] .

كما توضحت علاقة واحات أوجلة بولاية فزان الواسعة التي تقع بين الفيوم وطرابلس الغرب ، ومدينتها زويلة السودان [65][66] ، حيث كانت واحة

---

(61) الأدريسي ، نزهة المشتاق ، ١/٣١١-٣١٢

(62) صورة الأرض ، ص٦٩ ، الحميري ، الروض المعطار ، ص٩١ .

(63) يانسو ، رواية رحلة إلى فرقرة وقوريته ، ص ٣٢٣ .

(64) البكري ، كتاب المسالك والممالك ، ٢/٦٥١ . ياقوت الحموي . معجم البلدان . ١/١٠٠ .

(65) ياقوت ، معجم البلدان ، ٤/٢٦٠ .

(66) زويلة السودان تبعد عن أتقلا ثمانية عشر ميلا ويسكنها قوم من ناحية ؛ تميزت ببساتينها الكثيرة ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص٢٤٠ .

أوجلة هي المكان المأهول بالسكان في صحراء ليبيا مابين فزان ومصر[٦٧] وكان من نشاط عرب أوجلة من التجارة أنهم كانوا يقدمون إلى فزان وينافسون تجار طرابلس في شراء التبر وأسنان الفيل والعبيد ويذهبون لبيعها في مصر[٦٨] .

وفضلا عن ذلك فقد اشتهرت واحة أوجلة بكتل الأملاح النطرون[٦٩] وهو حجر يكون على نوعين منه الأحمر ومنه الأبيض ، وله فوائد طبية وغذائية صحية ذلك أنه إذا ألقي في العجين بيضه وينشفه ويطيبه[٧٠] ولايستبعد أن يقوم عرب أوجلة بالمتاجرة بهذه السلعة في فزان التي كان يستوردها تجار طرابلس للاستفادة منها في إعداد الجلود المدبوغة ، وتركيز الصباغ وسبك الفضه وفي إعداد التبغ لأعطائه نكهة لاذعة[٧١] .

ومن المرجح أن يقوم عرب أوجلة وسطاء للتجارة مابين سكان برقة وفزان في تجارة جلود الأبقار والماعز[٧٢] حيث اشتهرت برقة بالقطن الذي

---

(٦٧) الحسن الوزان ، وصف أفريقيا ، ٢/١٤٦ .

(٦٨) الحضيري ، محمد المدني ، الطريق من طرابلس إلى فزان ، مجلة البحوث التاريخية ، مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي ، ع١ ، ١٩٧٩م ، ص١٠٧ .

(٦٩) باشو ، رواية رحلة إلى فرقرة ، ص٣٢٤ .

(٧٠) الأبشيهي ، محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٧م) ، المستطرف في كل فن مستظرف ، القاهرة ، ١٣٠٤ هـ ، ص١١٩ .

(٧١) الحضيري ، الطريق من طرابلس إلى فزان ، ص١٠٦

(٧٢) باشو ، رواية رحلة إلى فرقرة ص٣٠٥ .

لايضاهيه من اصناف القطن الأخرى فضلا عما يوجد فيها من ديار لدباغة الجلود البقرية [٧٣] .

وتشير الروايات التأريخية إلى علاقة واحات أوجلة مع منطقة الساحل حيث كان بعض أسر الرعاة يأتون إليها كل عام لجني التمور وتخزينها لترعى منها قطعانهم [٧٤] .

أما علاقة واحة أوجلة بواحات الكفرة التي تضم بدورها مجموعة من الواحات التي تقع في قلب صحراء ليبيا وعلى بعد ٥٠٠ ميلا عن نهر النيل [٧٥]، التي اكتشفها دليل القافلة " وأسمه عمار " تلك القافلة التي كانت قادمة من مصر واضلت طريقها ، ومع أنه كان قد ظل الطريق لمرض أصابه في عينيه إلا أنه استمر في سيره حتى وصل إلى قصورها المأهولة بالسكان ، وكان وصولهم إليها على عهد الحسن الوزان وتم اكتشافها من قبلهم لأول مرة منذ ذلك الحين وكان ركبها يظن أن القافلة راجعة إلى أوجلة [٧٦] ، مما يشير إلى وجودها قبل هذا التأريخ ، ولايستبعد من وجود علاقة بينها وبين واحة أوجلة القريبة منها ، حيث كان هناك طريق للقوافل يمتد من برقة إلى الكفرة ومن ثم إلى وداي [٧٧].

---

[٧٣] الأدريسي ، نزهة المشتاق ، ١/ ٣١١ .

[٧٤] باشور ، رواية رحلة إلى قرقرة . ص٣٢٣ .

[٧٥] ضريح شرف ، جغرافية لبيا ، ص ١٥٤ .

[٧٦] الحسن الوزان وصف أفريقا ، ٢/١٥٥ .

[٧٧] المزيني ، صالح مصطفى ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى إنتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، ليبيا ، ط٣ ، ٢٠٠٢ م ، ص٢١٩ .

ثالثا : العلاقات التجارية الخارجية لواحة أوجلة مع البلدان المجاورة لها مباشرة منها مصر والسودان فضلا عن علاقاتها مع أقطار المشرق العربي والمغرب العربي وبلدان شمال البحر المتوسط ودورها في التوسط في تجارتها .

لقد كان للموقع الجغرافي الاستراتيجي الذي احتلته واحة أوجلة وما تبعها من واحات أثره البالغ والفعال على طرق التجارة الخارجية ، سواء تلك التي تجري مع البلدان المجاورة لها شرقا وغربا ، ونقصد بها مصر والجزيرة العربية والعراق وبلاد الشام من جهة ، وبلاد المغرب الأقصى من جهة أخرى ، أو توسطها في التجارة مع البلدان شمال البحر المتوسط من جهة وأقطار وسط أفريقيا من جهة أخرى ، حيث كان لهذه الواحات دور كبير ومباشر في عمليات التبادل التجاري الخارجي ، ومن ثم تغطية الأسواق الخارجية بما تحتاج إليه من المنتجات الزراعية والصناعية ، ويبدو هذا النشاط التجاري واضحا بشكل واسع بعد القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، نتيجة الزحف الإسلامي الذي كان منطلقا لهذا النشاط التجاري اعتمادا على ما كتبه الرحالة والجغرافيون المسلمون ، فضلا عما ورد من معلومات متناثرة في مصادرنا التأريخية [٢٨] .

ولقد كانت الصلات التجارية للواحات الصحراوية بشكل عام ، وواحات أوجلة بشكل خاص مستمرة مابين بلدان المشرق الإسلامي والمغرب

---

[٢٨] حركات إبراهيم ، دور الصحراء الإفريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط . مجلة البحوث التأريخية ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التأريخية ، ع١ ، ١٩٨١م ، ص٢٧ .

الأقصى ، وبين مناطق الجنوب وبلدان شمال البحر المتوسط ، ينهض دليلا على قولنا هذا ما أورده الحسن الوزان الذي زار ليبيا نحو سنة ٩٢٤هـ/١٥١٨م [٧٩] مشيرا إلى أهمية موقع واحة أوجلة ، حيث تمثل همزة الوصل على طريق التجارة الممتد من الغرب إلى الشرق أو بالعكس ووصف موقعها " على الطريق الكبري الذاهبة من موريطانيا – شنقيط – إلى مصر مرورا بصحراء ليبيا " [٨٠] .

واشار الحسن الوزان إلى تجارة أوجلة مع مصر بشكل خاص وحاجتها إلى القمح الذي لاينبت فيها " وانما يستورده الأعراب من مصر " [٨١] ، ولذا فمن المرجح جدا أن يساهم سكان هذه الواحات في نقل ماتشتهر به مصر ، ليس فقط من القمح وأنما من الأنسجة لاسيما الكتان ، ويشير أبن بطوطة إلى كتان مصر والذي اشتهرت به مدينة بوش في صعيد مصر ووصفت بأنها " أكثر بلاد مصر كتانا ومنها يجلب إلى سائر أفريقيا " [٨٢] وكذلك مدينة دلاص [٨٣] المشهورة بالكتان الذي يصدر إلى افريقيا ايضا [٨٤] فضلا

---

[٧٩] زيادة ، ليبيا من حسن الوزان إلى التمغروتي ، كتاب ليبيا في التاريخ ، ص٢٥٦ .

[٨٠] وصف أفريقيا ، ٢/١٠٩ ، زيادة ، ليبيا من حسن الوزان ، كتاب التاريخ ، ص٢٦٢ .

[٨١] وصف افريقيا ، ٢/١٠٩ .

[٨٢] تحفة النظار ، ١/٦٣

[٨٣] دلاص : إحدى كور مصر ، ابن الفقيه الهمذاني ، أبوبكر أحمد بن ابراهيم ، (ت ٥٢١هـ/١١٢٧م) مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٨٥م ، ص٧٣ .

[٨٤] أبن بطوطة ، تحفة النظار ، ١/٦٣ .

عما اشتهرت به مصر من الثياب الكتانية والصوفية منها الثياب التنيسية والإسكندرانية والدبيقية والشطوية والقصب المرزون والمسيّر [٨٥]، وكذلك ماشتهرت به مصر من الثياب الرقاق والقراطيس ودهن البلسان والاحجار الكريمة من الزبرجد [٨٦] .

هذا وقد عمل عرب أوجلة وسطاء للتجارة مابين فزان ومصر حيث كان عرب أوجلة يُقدمون إلى فزان وينافسون تجار طرابلس في شراء التبر واسنان الفيل والعبيد ثم يذهبون لبيعها في مصر [٨٧] .

وكان المصريون يستوردون من ليبيا زيت الزيتون الذي كان مهما في موائد القربان ، فضلاً عن استيرادهم الأخشاب والأبقار [٨٨] ، وكانت الذرة البيضاء التي تعد من الحبوب الرئيسة التي تنتجها أفريقية الغربية تصدر إلى بلاد النوبة ومصر العليا والواحات الليبية وبرقة والجزائر ثم إلى المغرب الأقصى [٨٩] .

---

(٨٥) ابن الفقيه الهمذاني ، مختصر كتاب البلدان ، ص٢٥٢ .

(٨٦) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) ، التبصر بالتجارة ، صححه وعلق عليه حسن حسني عبدالوهاب التونسي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٤ م ، ص٢٧ .

(٨٧) الحضيري ، الطريق من طرابلس إلى فزان ، ع١ ، ١٠٧ .

(٨٨) الأثرم ، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي ص٧٩-٨٠ ، روس ، كتاب ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة ١٩١١م ، ص٢٧٧ .

(٨٩) لومبار ، لويس ، الإسلام في مجده الأول ، ترجمة إسماعيل العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، المغرب ، ط٣ ، ١٩٩٠م ، ص٢٤٢.

والجدير بالذكر فقد كانت تجارة الحبوب ، وهي في مقدمة المنتجات التي تصدرها مصر عن طريق القوافل الصحراوية بأتجاه الواحات الليبية برا ، فضلا عن تصديرها عن طريق البحر إلى برقة [٩٠] ، ويحمل في طريه التي هي من بلاد الجريد الزجاج الصافي والتفاصيل الصوفية إلى الإسكندرية [٩١] .

ويشير الحسن الوزان إلى كثرة الزيتون في جبل غريان الذي يبعد عن طرابلس خمسين ميلا ويحمل منه (أي من جبل غريان) كميات من الزيت إلى الإسكندرية [٩١] .

وكما كانت صفاقس تصدر إلى مصر زيت الزيتون الذي يموّن عددا من الصناعات منها صناعة الصابون وزيت التواليت الذي تقوم عليه صناعة الروائح العطرية [٩٢]

ولم يقتصر دور سكان الواحات بوصفهم وسطاء للتجارة بين مصر واقطار المغرب الاقصى بل شمل نشاطهم ووساطتهم هذه الجزيرة العربية ، فكان تجار الجزيرة العربية من جملة من يرتاد الشمال الأفريقي [٩٤] ، ومنها

---

(٩٠) لومبار ، الإسلام في مجده الأول ، ص٢٤١ .

(٩١) ابن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، ص١٢٧ .

(٩٢) بروشة ، ليبيا من الحسن الوزان إلى التمغروتي ، كتاب ليبيا في التاريخ ، ص٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٩٣) لومبار ، الإسلام في مجده الأول ص٢٠٣-٢٤٤

(٩٤) القحطاني ، سعيد عبدالله ، تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة / التاسع العاشر الميلادي ، دار الملك عبدالعزيز ، سلسلة الرسائل الجامعية ، ١٤٢٤هـ ، ص٢٦٦ .

أقليم برقة التي تعد من المراكز التجارية المهمة التي وصفها ابن حوقل بأنها " أول منبر ينزله القادم من مصر الى القيروان " ، وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل وقت مالا ينقطع طلاب في التجارة بالقطران ... والجلود المجلوبة للدباغ بمصر والتمور الواصلة إليها من جزيرة أوجلة ولها أسواق حادة حارة من بيوع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من المشرق والواردة من المغرب ... [95] .

وساهم تجار العراق ومنهم من أهل بغداد والبصرة والكوفة في التجارة عبر هذه الواحات ، واستقر بعضهم في سجلماسة و يشير ابن حوقل إلى ذلك بقوله " كانت القوافل تجتاز الى سجلماسة وسكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديين . [96]

وكانت مدينة زويلة التي تبعد مسافة عشرين مرحلة عن أوجلة [97] التي اشتهرت بصناعة الجلود المعروفة بـ" الجلود الزويلية " مقصدا لتجار العراق من البصرة والكوفة وكذلك تجار خراسان [98] ، ولايستبعد أن يكون هؤلاء التجار على صلة وثيقة بالمراكز التجارية في المشرق الإسلامي بحكم إنتمائهم إلى أوطانهم الأصلية هناك ومعرفتهم بمسالكها ونشاطها

---

(95) صورة الأرض ، ص٦٩ .

(96) صورة الأرض ، ص٦١ . القحطاني ، تجارة الجزيرة العربية ، ص ٢٦٨ .

(97) اليعقوبي ، البلدان المطبوع مع الاعلاق النفسية ، ص١٢٨ . الأدريسي ، نزهة المشتاق ، ٣١٢/١ .

(98) اليعقوبي ، البلدان ، ص٣٤٥ . ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٨٠ ، القحطاني ، تجارة التجارية العربية ، ص٢٦٨

التجاري ، كما لايستبعد أن يكون لهم علاقات تجارية مع أقاليم المشرق الإسلامي [٩٩] .

وكان الطريق الصحراوي القادم من مصر يمر بالواحات الخارجة من صحراء مصر الغربية ومنها إلى الواحات الداخلة ثم إلى الفرفور ومنها إلى إبشر الواح ثم بهنس الواحات ثم إلى سنترية ومنها إلى أوجلة ، ومن المحتمل أن يستمر هذا الطريق حتى يصل إلى غدامس وغات ثم يذهب منها إلى سجلماسة وغرب أفريقيا حيث مواقع الذهب [١٠٠] .

أما فيما يخص العلاقات مع بلاد السودان الواسعة ، التي تمتد في البحر المحيط جنوبا إلى مفاوز مصر والواحات شمالا ، وليس لها اتصال بأي من الممالك والعمارات إلا من جهة المغرب لصعوبة المسالك في الجهات الأخرى [١٠١] ولذا كانت طرق القوافل تمتد عبر الصحراء بين بلاد أفريقيا الشمالية (المغرب) والسودان وتمثل احد الطرق التجارية المهمة [١٠٢] في العصر الإسلامي .

ومن الجدير بالذكر إن علاقة واحات أوجلة مع بلاد السودان كانت نشطة ومزدهرة حيث كانت هذه الواحة من المراكز التجارية الرئيسة

---

[٩٩] القحطاني ، تجارة الجزيرة العربية ، ص٢٦٨ .

[١٠٠] المزيني ، ليبيا منذ الفتح العربي ، ص٢٢٧-٢٢٨ .

[١٠١] الاصطخري ، أبو إسحق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخي (النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني ، مراجعة محمد شفيق غربال ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦١م ، ص٣٥ .

[١٠٢] لومبار ، الاسلام في مجده الأول ، ص٣٢٥ .

والمهمة ، ينهض دليلا على قولنا هذا ماأورده الأدريسي عنها بعد أن وصفها بكثرة التجارة فقال " ومنها يدخل إلى كثير من أرض السودان نحو بلاد كوار [١٠٣] وبلاد كوكو [١٠٤] وهي في رصيف طريق والوارد إليها والصادر كثير " [١٠٥] .

وتوضح لنا رواية شيخ الربوة الذي (ت٧٢٧هـ) باستمرار تجارة الحبوب بين الواحات الصحراوية من المعرب وبلاد السودان فيذكر أن تجار المغرب كانوا يحملون الذرة ويردون بها بلاد السودان الذين تتصل مساكنهم بغدامس [١٠٦] .

ووصف الحسن الوزان مدينة غدامس في القرن العاشر الهجري/ الخامس عشر الميلادي بكثرة تمورها ومتاجرها وثراء سكانها بسبب اتجارتهم مع بلاد السودان [١٠٧] .

---

(١٠٣) كوار ، أقليم من بلاد السودان جنوب فزان أفتتحه عقبة بن نافع الفهري ويقال عقبة بن عامر ، أبن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص٢٢٢-٢٢٣ ، ياقوت الحموي معجم البلدان ، ٤/٤٨٦

(١٠٤) كوكو ، أسم أمة وبلاد من السودان فيها أسواق ومتاجر السفر إليها من كل بلد وأكثر أموالها من المواشي والملح ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ٤/٤٩٥ .

(١٠٥) نزهة المشتاق ، ٣١٢/١ ، أبي الفداء ، تقويم البلدان ، ص١٢٨ ، الحميري ، الروض والعطار ، ص٦٤ .

(١٠٦) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص٢٣٩ .

(١٠٧) وصف آفريقيا ،١٠٥/٢ ، زيادة ، ليبيا من الحسن الوزان إلى التمغروتي ، كتاب ليبيا في التاريخ ، ص٢٦٢ .

وتشير الرواية التاريخية إلى غزو عبيدالله حبيب بن أبي عبيدة الفهري السوس وأرض السودان وأصاب منها ماشاء من الذهب [108] بعد أن حاصر تجار الذهب عبر الصحراء في سنة ١١٦هـ/٧٣٤م[109] .

ويشير الجغرافيون إلى تجارة أهل المغرب مع بلاد السودان ، حيث يرد إلى برقة وإلى المغرب تبر تكرور وعانا ونقارة [110] وادغست [111] مما يشير إلى نشاط هذه التجارة بين واحات الصحراء وبلاد السودان خلال العصور الوسطى .

وفي القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي كانت مدينة زويلة عامرة الأسواق وحلقة وصل للتجارة مع بلاد السودان ، فقد وصفها العالم الجغرافي المسلم الأدريسي بأنها مدخل إلى بلاد السودان ، ووصف تجارة مدينة زويلة ابن الخطاب وعلاقتها بأرض السودان فقال " ومدينة زويلة ابن الخطاب في صحراء صغيره ، وبها أسواق ، ومنها يدخل إلى ... بلاد السودان ... والمسافرون يأتون بامتعة من جهازها وجمل من أمور يحتاج

---

[108] ابن عبدالحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص٢٤٥-٢٤٦ .

[109] موني ، ريموند ، طرق التجارة عبر الصحراء ، مجلة البحوث التاريخية ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التأريخية ، ١٩٨١م ، ع١ ، ص١٢٥ هامش .

[110] الادريسي ، نزهة المشتاق ، ٨/١ ، سويس ، نجاة باشا ، التجارة في المغرب الاسلامي ، منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٧٦م ، ص١١٤

[111] البكري ، المسالك والممالك ، ٨٤٩/٢ ، سويس ، التجارة في المغرب الإسلامي ، ص١١٤ .

إليها ، والعرب تجول في أرضها " [112] ، وكانت تجارة العبيد رائجة في بلاد السودان يذكر الاصطخري إن " الخدم السود الذين يباعون في بلاد الإسلام منهم " [113] .

وكان هذا الرقيق يصدر إلى نولمطة [114] وإلى سجلماسة ، ومن هناك إلى المغرب الاقصى والاندلس . وإلى أوجلة والجريد ومن ثم إلى أفريقية وفزان وطرابلس وبرقة ومصر وما ورائها من البلدان الاسلامية [115] .

وكانت ودان هي الأخرى تتاجر مع بلاد السودان بالتمور والنعام والطيور [116] ، هذا ولم تقتصر تجارة بلاد السودان مع أقطار الشمال الافريقي (المغرب) بل تجاوزتها إلى بلدان وأقطار شمال البحر المتوسط ، ومن المرجح أن يكون عرب الواحات الصحراوية ممن يشارك أو يعمل كوسيط في نقل هذه التجارة من الشمال إلى الجنوب أو بالعكس .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن المراكز التجارية التي أسست على طول ساحل خليج سرت منذ القدم كانت تنتهي عندها القوافل الصحراوية التي تحمل منتجات أفريقيا -- والتي تأتي في الأرجح عن طريق ليبيا -- لتذهب

---

(112) نزهة المشتاق ، ١/٣١٢-٣١٣ .

(113) المسالك والممالك ، ص٣٤، ٣٥

(114) نولمطة ، مدينة على المحيط ، ولها نهر يصب في البحر المحيط ، شيخ الربوة ، نخبة الدهر ، ص١١٢ ، ٢٣٨ .

(115) لومبار ، الاسلام في مجده الاول ، ص٢٩٩ .

(116) زيادة ، ليبيا من الحسن الوزان إلى التمغروتي . كتاب ليبيا في التاريخ ، ص٢٦٨-٢٦٩ .

إلى أسواق أوربا كما ترسو عندها السفن التي تنقل منتجات أوربا حيث يتم التبادل التجاري هناك [117] وخلال العصر الإسلامي كانت واحة أوجلة النقطة الرئيسة التي تتوقف عندها القوافل الذاهبة والآيبة بين ودان وساحل البحر [118] .

ويذكر الفلمنكي الذي زار ليبيا في الثلث الأخير من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي أن جميع سكان ولاية برقة أثرياء وتجارتهم مع المسيحيين رائجة ، إذ كانوا يتاجرون ببضائع أوربا التي ينقلونها إلى بلاد السودان ويحصلون مقابلها على الرقيق والمسك وقط المسك وكان ربحها وفير [119] ويشير الفلمنكي أيضا إلى علاقة صحراء برقة عزيزة صقلية ويذكر أن صقلية تزود سكان بلاد برقة بحاجتهم من المواد [120] ، ونجلب منها الخيول البرقية المعروفة والجمال الجيدة والأغنام والعسل والشمع والقطران [121] .

---

(117) الأثرم ، تاريخ برقة ، ص٨٠ .

(118) فيرو ، شارل ، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي نقلها عن الفرنسية محمد عبدالكريم الوافي ، منشورات جامعة قاريونس بنغازي ، ط٣ ، ١٩٨٤م ، ص١٤٩ .

(119) زيادة ، ليبيا من الحسن الوزان إلى التمعروتي ، ليبيا في التاريخ ، ص٢٦٧

(120) المرجع السابق ، ص٢٦٨

(121) المنصوري ، بيبرس ، (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م) تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ ، تحقيق عبدالحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ص٤٩ .

وكانت المنتجات التي تحمل عن طريق القوافل وتنقل إلى المراكز التجارية كثيرة حيث كان التجار الروس وهم جنس من الصقالبة يحملون جلود الخز وجلود الثعالب السود والسيوف من أقصى صقلبة وكان مسلكهم البري من الاندلس أو من الفرنجة ثم يعبرون إلى طنجة ثم إلى أفريقية ومنها إلى مصر ثم يستكملون طريقهم إلى المشرق الإسلامي حتى دمشق وبغداد والبصرة وفارس وإلى بلاد الصين [١٢٢] .

ومن بين من كان يتبادل به على هذه السواحل الخدم السود من بلاد السودان والخدم البيض من الاندلس والجواري المتمنات حيث كان ثمن الجارية والخادم من غير صناعة على جمالهما بألف دينار وأكثر وتقع منها اللبود المغربية والبغال للسرج والمرجان والعنبر والذهب والعسل والزيت والسفن والحرير والسمور [١٢٣] .

ويعزز ابن الفقيه ذلك بقوله الذي يجيء من هذه الناحية الخدم الصقالبة والغلمان الرومية والإفرنجية والجواري الأندلسيات وجلود الخز والسمور ومن الطيب الميعة والمصطكى ويقع من بحرهم البسذ الذي تسميه العامة المرجان ولهم الخيل والابل العربية والقسي العربية [١٢٤] ، وبكورة البيرة

---

(١٢٢) ابن خرداذبة ،عبيد الله بن عبدالله (ت حدود ٣٠٠هـ/٩١٢م) ، المسالك والممالك المطبوع مع نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر ؛ مكتبة المثنى بغداد ، ١٨٨٩م ، ص١٥٤-١٥٥

(١٢٣) الأصطخري ؛ المسالك ، ص٣٧ .

(١٢٤) مختصر كتاب البلدان ، ص٨٤ .

فـي الأنـدلس حريـر كثيـر يفضـل علـى غيـره ومـن ناحيـة تطيلـة سـمور كثير [١٢٥] .

ومن المواد المستجلبة من بلدان شمال البحر المتوسط المعادن الخام منها فضلا عن الذهب معدن الحديد والقصدير الذي يستورد من الجزر البريطانيـة والأسـلحة كالسيوف التـي تجلـب مـن بـلاد الفرنجـة عـن طريـق التهريب والتي كانت تخرق فيها أوامر أباطرة بيزنطة التي تقضي بتحريم بيع الاسلحة والاخشاب للمسلمين ، ومن السواحل كانت هذه البضائع تحمل على ظهور الجمال وقوافل الصحراء إلى بلدان المغرب[١٢٦] .

وتشير بعض الإحصائيات إلى تعامل تجار ارغويين وميورقيين مع أقطار شمال افريقيـة ومـن مـدن مختلفـة منهـا طرطوشـة وبرشـلونة ومبورقـة وبلنسـبة وغيرهـا ومـنهم فـي تعامـل مـع طبرقـة بالـذات وكـانوا مـن التجـار واصحاب رؤوس الأموال [١٢٧] .

وقد بلغت التجارة بين بلاد المغرب وإيطاليا أوج إزدهارها خلال القرن الثالث عشر الميلادي ، وشملت الصادرات التجارية مع طرابلس في القديم بشكل خاص الزيت وقليل من القمح والخمور وأصبحت فيما بعد حوالي الف عام تضم الصوف أيضا ، وصارت البندقية تحتكر تجارة الملح ، وكانت

---

(١٢٥) الاصطخري ، المسالك ، ص ٣٦ .

(١٢٦) لومبار ، الإسلام في مجده الأول ، ص ص٢٦٠ - ٢٦٧ .

(١٢٧) سويسي ، التجارة في المغرب الاسلامي ، ص٨٩ .

القوافل التجارية تحمل الثروات الخام من الذهب والعاج عبر الصحراء ثم تصدره إلى أوروبا عن طريق المغرب [١٢٨] .

وكانت للبيوت التجارية في محطات القوافل في الجنوب شبكة من المراسلين والوسطاء الذين يعملون لشراء الذهب لحسابها بالمقايضة الصامتة من قبائل السود التي تشتغل في هذه التجارة ، وكانت هذه التجارة هائلة يعزز ذلك ماأورده ابن حوقل من أنه شاهد بنفسه وثيقة تجارية تبلغ قيمتها ٤٢.٠٠٠ دينار مما يشير إلى إثراء التجار الذين يعملون في هذه التجارة [١٢٩] .

أما وسائل النقل التي كانت تستخدم على الطرق البرية فهي متعددة منها الخيل والبغال والحمير والجمال ، وكان الجمل أفضلها للنقل لما يمتع به من مزايا في نقل البضائع عبر المسالك الصحراوية لأنه يتحمل العطش والجوع والظروف الصعبة وهذا مالاتتمتع به الوسائل الأخرة [١٣٠] .

أما المخاطر والصعوبات التي كانت تتعرض لها القوافل التجارية خلال سيرها في الصحراء فكانت كثيرة ومتنوعة منها محاولات الاعتداء عليها من قبل طوائف العرب وهي في سيرها يحكم العالم الجغرافي ابن بطوطة الذي خرج من مسقط رأسه طنجة في سنة ٧٢٥هـ متوجها إلى بيت

---

(١٢٨) رايت . جون ، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور ، تعريب عبدالحفيظ الميار وأحمد اليازوري ، دار الفرجاني ، طرابلس ، ط١ . ١٩٧٢م . ص٨٧ .

(١٢٩) صورة الارض . ط . ليدن . ١٩٦٧م . قسم ١ / ٩٩ . لومبار ، الإسلام في مجده الأول ، ص٣٣٦ .

(١٣٠) القحطاني ، تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة ، ص٣٢٧ .

الله الحرام وعند وصوله إلى تونس أرتحل مع رفقة من تجار تونس واستمر سير الركب مع التجار حتى اجتازوا مدينة طرابلس وقصور سيرت وهناك ارادت الجمامزة من طوائف العرب الإيقاع بهم وإيذائهم فصرفتم القدرة وحالت بينهم وبين إيذائهم [١٣١] .

ويذكر الحسن الوزان خبر القافلة القادمة من مصر إلى أوجلة ومتجهة نحو بردأوة [١٣٢] في قلب صحراء ليبيا فظل دليلها بسبب مرض أصاب عينة ومع ذلك وصلت القافلة إلى غايتها واشرفت على قصور أهل البلاد الذين ذهلوا من مجيء الغرباء وامتنعوا عن تقديم ماء الشرب للقافلة فأصابها بسبب ذلك جهد كثير وبعد معركة خفيفة أستولى أصحاب القافلة على القصور وتزودوا بما يحتاجونه من الماء ثم خرجوا يتابعون سفرهم [١٣٣] .

ويشير مسكوية إلى المخاطر الكبيرة التي يمكن أن تتعرض لها بعض القوافل التجارية أحيانا وهي في طريقها من المغرب إلى الحجاز ومنها قطع الطريق من قبل الأعراب فيذكر رواية مفادها أنه في سنة ٣٥٥هـ/٩٦٥م قطع بني سليم الطريق على القافلة الكبيرة المتوجه من المغرب ومصر والشام إلى مكة وضمت القافلة هذه التجار والحجاج وكان فيها من الأمتعة نحو عشرين الف حمل ومن العبيد والورق مايكثر مقداره جدا [١٣٤] فأخذ الحاج

---

(١٣١) تحفة النظار في غرائب الأمصار ، ١/١٧٣-١٧٤ .

(١٣٢) مجموعه واحات الكفرة . الحسن الوزان ، وصف أفريقيا ، ٢/ت ١٦٥ . هامش .

(١٣٣) وصف أفريقيا ٢/١٥٥ ١٥٦

(١٣٤) احمد بن محمد ، (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) ، تجارب الامم ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د . ط ، د . ت ، قسم ٢ ، ج٢ ، ص٢١٥ .

وهلك أكثرهم وتمزق الناس كل ممزق [١٣٥] وإذا ماصحت هذه الرواية فأنها تشير إلى مايمكن أن تتعرض له قوافل التجارة ومن مخاطر من قبل قطاع الطرق على الرغم من حجم وكبر القافلة .

هذا وقد أورد البلدانيون المسلمون المسافات مقدرة بالإميال والمراحل ، أو بأيام السير من نقطة إلى أخرى [١٣٦] منهم أبن خرداذبة (ت حدود ٣٠٠هـ) حيث أعطى مسافات الطرق الرئيسية مقدرة بالأميال منها طريق الفسطاط إلى المغرب ثم طريق برقة إلى المغرب فضلاً عن الطرق الفرعية [١٣٧] .

وقدم قدامة بن جعفر تفصيلات أكثر عن المراحل التي تقطعها القوافل التجارية التي تسير مابين مصر والقيروان [١٣٨] ، فضلا عن ذكره بعض الطرق الفرعية ومنها الطريق من برقة إلى مليتية ثم قصر العسل ثم إلى أوبران ثم سلوق حيث يفترق الطريق إلى طريقين أحدهما يتخذ طريق ساحل البحر ليوصل من سلوق إلى أجدابيا مارا برسمت وبليد ، ويسير الطريق الثاني وهو طريق السكة ومنها ثم الزيتونة ثم أجدابيا حيث يلتقي بالطريق الأول [١٣٩] .

---

(١٣٥) أبن تغري بردي ،النجوم الزاهرة ، تحقيق إبراهيم علي طرخان ، ١١/٤ .

(١٣٦) حركات ، دور الصحراء الأفريقية في التبادل والتسويق ، ص٢٨ .

(١٣٧) المسالك والممالك مطبوع مع نبذة من كتاب الخراج ص٨٤-٨٧ .

(١٣٨) نبذة من كتاب الخراج وصفة الكتاب المطبوع مع الممالك والمسالك ، مكتب المثنى بغداد ، ١٨٨٩م ، ص٢٢٠-٢٢٥ .

(١٣٩) نبذة من كتاب الخراج المطبوع مع كتاب المسالك والممالك ص٢٢٢-٢٢٣ ، حركات ، دور الصحراء الأفريقية ،ص٢٨ .

كما أورد الأصطخري بعض الطرق الداخلية الفرعية ومنها الطريق الذي يمتد من فزان إلى بلما وكانم تشاد ، وهو الطريق الذي نشطت فيه تجارة الرقيق مما ساعد على توغل الإسلام جنوبا كما ساعد على ترويج منتجات ولاية برقة ومصر التي تجد رواجا وقبولا في تشاد [١٤٠] .

رابعا : أثر طرق قوافل الحجاج القادمين من المغرب إلى الحجاز على زيادة نشاط واحة أوجلة الاقتصادي ومساهمة هذه الواحة في التجارة الصحراوية بين الشرق والغرب .

كان للحج منذ القدم دور فاعل وكبير في النشاط الإقتصادي ، فهو إلى جانب كونه منسكا من المناسك الدينية فهو فرصة للاجتماع والتعارف ووسيلة للتكسب والتجارة ، ولم يحرم الإسلام ذلك على الإطراف بل العكس قال تعالى في محكم كتابه في سورة الحج .. ليشهدوا منافع لهم ... " [١٤١]

وفي الحج تقام الاسواق التجارية الكبرى [١٤٢] التي تأمها قوافل الحجاج في مختلف بقاع العالم حاملة معها سلعها للتبادل والبيع والشراء ، وقافلة الحج المغربية كان لها إلى جانب أهداف الدينية أهدافا تجارية لها مردوداتها الإيجابية على الاقتصاد لما يقدم به الحجاج المغاربة من دور فعال ومتميز في التبادل التجاري في أسواق الحجاز .

---

[١٤٠] حركات ، دور الصحراء الأفريقية ، ص٢٩ ، عن البكري ، المسالك والممالك ، ط بن باريس ، ١٩١٠م ، ص١٨٢ .

[١٤١] آية ٢٨ .

[١٤٢] منها سوق عكاظ ، وسوق المجنة ، وسوق ذي المجاز وغيرها.

وكان الطريق الذي يسير عليه ركب الحاج والمحمل إلى مكة المكرمة هو الطريق أو الدرب الصحراوي والذي يعرف بطريق غات حيث يبدأ من غات [١٤٣] ويمر بواحات الصحراء وينتهي عند الإهرام [١٤٤] ولعله الطريق القديم الذي يربط نهر النيل بسواحل المحيط الأطلسي حيث يوجد عليه سلسلة من الآبار كل منها على مسافة عشرة أيام من الأخرى والذي ظل مستخدما حتى أوائل القرن الماضي ومن أطلق عليه في العصر الإسلامي طريق الحج لها من قوافل الحجاج كانت تسلكه في طريقها الطويل في بلاد المغرب حتى مكة المكرمة بالحجاز [١٤٥] .

ويشير الأصطخري إلى المسافات بين مصر والمغرب بالمراحل حتى السوس الأقصى ويذكر أن جميع المسافة من مصر إلى أقصى المغرب نحو

---

(١٤٣) غات وهي تحريف لكلمة رابسا Rhapsa ، وهي مركز قوافل التجارة في فزان وتقع على الطريق الذي يربط السودان بالبحر المتوسط ، الدناصوري ، جمال الدين ، جغرافية فزان ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي ، ١٩٦٧م ، ص٤٠٥ .

(١٤٤) أبن خلدون ، عبدالرحمن ،(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبر ومن عاصرهم من ذو السلطان الاكبر ، دار الكتاب دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، د ط ، د ت ، ٩٣٢/٥ ، عمار ، حامد ، علاقات مصر بالدول الأفريقية من العصور الوسطى ، الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦ ، ص٨٩ .

(١٤٥) أيوب ، محمد سليمان ، جرمة في عصر إزدهارها ، كتاب ليبيا في التاريخ ، ص٨٢ .

ستة أشهر وأن حجاج أقصى المغرب يخرجون قرب المحرم فيذهبون في سفرهم واستراحتهم سنة كاملة حتى يبلغوا الحج [146] .

وتكاد المعلومات التي تذكرها مصادرنا العربية عن تجارة قوافل حجاج المغرب قليلة ونزرة ومع ذلك يمكن أن يستشف من بعض هذه الروايات التأريخية ما يفيد في التعرف على هذه التجارة

وحجمها ومعوقاتها فيشير مسكويه إلى قافلة المغرب ومصر والشام الحاجة إلى مكة في سنة ٣٥٤هـ /٩٦٤م فيقول " وكانت القافلة عظيمة وكان فيها من الحاج والتجار .. ومن الامتعة التي لهم نحو عشرين ألف حمل منها دق مصر الف وخمسمائة حمل ومن امتعة العرب اثنى عشر الف حمل ، وكان في الأعدال الأمتعة من العين[147] والورق[148] مايكثر مقداره جدا [149] ومع مافي هذه الرواية من المبالغة من عدد الأحمال والعدول إلا أنها توضح مدى حجم القافلة هذه .

وفي القرن الثاني الهجري / الرابع عشر الميلادي قام منسا موسى بن أبي بكر ملك مالي بسفرة إلى الحج على طريق الصحراء [150]

---

(146) المسالك والممالك ، ص٣٧ .

(147) العين ، الذهب أو الدنانير . الزبيدي ، تاج العروس ، ٢٨٨/٩ .

(148) الورق ، الفضة أو الدراهم . الزبيدي ، تاج العروس ، ٨٤/٧ .

(149) مسكوية ، تجارب الأمم / قسم ٢ ، ج٢ /٢١٥

(150) ابن خلدون ، العبر/ ٩٣٢/٥

سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٥م في عهد الناصر (محمد بن قلاوون)[١٥١] ، وقد ذكر أبن خلدون أن القافلة كانت تحمل معها فيما يقال مائة حمل من التبر في كل حمل ثلاثة قناطير فضلا عما كان يحمله أعيان التجار معه [١٥٢] ، وأن عدة ماجاء في ذلك الركب أكثر من عشرة الآف تكروري [١٥٣] وعلى الرغم من المبالغة فيما كان من عدد رجال القافلة وحمولتها إلا أنها تشير إلى ضخامة الركب والمحمل فيها والذي هيء له من الحراس ماعدته ستة ألاف حارس كما طلب من المدن التجارية المساهمة في هذه الرحلة [١٥٤] ، ولانستبعد وجود هذا العدد من الحراس خاصة وأن القافلة معرضة لمخاطر الأعراب التي كانت تتخطفهم من أطرافهم[١٥٥] ثم حرص سلاطين مالي وحذرهم من سفر الصحراء بعد قفل الملك سكبورة في طريق عودته من الحج [١٥٦] .

ويشير الحشائشي إلى قوافل السودان ووداي وجالو وتوات المنوجه إلى الحج ، ويذكر أن قافلة تجار توات كانت تتألف من عدة ألاف من

---

(١٥١) القلقشندي ، احمد بن علي ، (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ، شرحه وعلق عليه نبيل خالد الخطيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م ، ٢٨٣/٥ .

(١٥٢) العبر ، ٩٣٢/٥ .

(١٥٣) عمار ، علاقات مصر بالدول الإفريقية في العصور الوسطى ، ص٨٩ .

(١٥٤) الفيتوري ، عطية مخزوم ، دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ص٢٧٦-٢٧٧ .

(١٥٥) أبن خلدون ، العبر ، ٩٣٢/٥ .

(١٥٦) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ٢٨٢/٥ ، الفيتوري ، دراسات في تاريخ شرق أفريقيا ، ص٢٧٦ .

الأشخاص ، تعمل بتجارة الرقيق التي أستمرت حتى سنة ١٨٨٤ فمنعها والي فزان وحرر جميع العبيد الموجودين فيها مما أدى إلى إنحطاط هذه التجارة [١٥٧].

أما ماتحمله هذه القوافل التجارية إلى الحجاز فيشمل الذهب والعبيد فضلا عما يحمله تجار كل بلد من منتجات صناعية وزراعية يحملونها معهم ، ويجلبون معهم مايرد من بلدان المشرق إلى أسواق مكة من منتجات تجد رواجا في بلدانهم وغالبا مايحمل معهم من أسواق مكة من الأحجار الكريمة وأهمها الحجر المعروف بأسم (المكي) حيث تباع كميات كبيرة من أثناء موسم الحج [١٥٨] .

---

(١٥٧) محمد بن عثمان (ت١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م) ، الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد الطوارق ترجمة محمد المرزوقي ، الدار التونسية ، تونس ، ١٩٨٨م ، ص١٣٤ .

(١٥٨) لومبار ، الإسلام في مجده الاول ، ص٢١٩ – ٢٢٠ .

المصــادر :

ملاحظة : رتبت المصادر والمراجع حسب الحروف الهجائية وحسب أسماء مؤلفيها المشهورين بها دون الأخذ بـ أل ، أبو ، أبن ، ابن أبي .

القرآن الكريم :-

١- الأبشيهي ، محمد بن أحمد (ت٨٥٢هـ/١٤٤٧م) ، المستضرف في كل فن مسظرف ، القاهرة ، ١٣٠٤هـ .

٢- الأثـرم ، رجـب عبدالحميـد ، تـأريخ برقـة السياســي والاقتصــادي ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، د . ط ، ١٩٨٨م .

٣- الأصـطخري ، أبـن أسـحق إبـراهيم بـن محمـد المعـروف بـالكرخي (ت النصـف الأول مـن القـرن الهجـري / العاشـر المـيلادي) ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر عبدالعالي الحيني ، مراجعة محمد شفيق غربال ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦١م .

٤- أيوب ، محمد سليمان ، جرمة في عصر إزدهارها ، بحث في كتاب ليبيا فـي التـأريخ ، المؤتمر التـأريخي المنعقد فـي ١٦-٢٣ مـارس ، ١٩٦٨م ، الجامعة الليبية ، كلية الآداب .

٥- بازمة ، محمد مصطفى ، قورينة وبرقة ، نشأة المدينتين في التأريخ ، مكتب قورينة في النشر والتوزيع ، بنغازي ، د . ط ، ١٩٧٣م .

٦- باشو ، جان ريمون ، رواية رحلة إلى قرقرة وقورينة وواحتي أوجلة ومرادة ، تعريب مفتاح عبدالله المسوري ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٩م .

٧- ابن بطوطة ، محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي (ت٧٧٠هـ/١٣٧٧م) ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق علي المنتصر الكناني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٥هـ .

٨- ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ، (ت٨٧٤هـ/١٤٧٩م) ، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة ، تحقيق محمد عبدالقادر حاتم ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣م.

٩- التليسي ، خليفة محمد ، معجم سكان ليبيا ، دار الريان ، ١٩٩١م .

١٠- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ،(ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) التبصر بالتجارة ، صححه وعلق عليه حسن حسني عبدالوهاب التونسي . مكتبة الخانجي القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٤م .

١١- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي ، وزارة التعليم العالي ، ١٤١٩هـ .

١٢- ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) ، المنتظم ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، ومصطفى عبدالقادر عطا ، مراجعة نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٩٩٢م

١٣- حركات ، إبراهيم ، دور الصحراء الإفريقية في التبادل والتسويق خلال العصر الوسيط ، مجلة البحوث التأريخية ، حركة جهاد الليبين للدراسات التأريخية ، ع١ ، ١٩٨١م .

١٤- الحسن الوزان ، الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بـ ليون الأفريقي ، (ت٩٤٤هـ/١٠٣٧م) ، وصف أفريقيا ، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٣م.

١٥- الحشائشي ، محمد بن عثمان ، (ت١٣٣٠هـ/١٩١٢م) ، الرحلة الصحراوية عبر أراضي طرابلس وبلاد الطوارق ، ترجمة محمد المرزوقي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٨م .

١٦- الحضيري ، محمد المدني ، الطريق من طرابلس الى فزان ، مجلة البحوث التأريخية ، مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي ، ع١ ، ١٩٧٩م .

١٧- الحميري ، محمد بن عبدالمنعم (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م) ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق أحسان عباس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤م .

١٨- إبن حوقل النصيبي ، محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي ، (ت القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي) ، صورة الأرض ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ١٩٧٩م . وصبعت ليدن ١٩٦٧م.

١٩- إبـن خرداذبـة ، عبيـد الله بـن عبـدالله ،(ت حـدود ٣٠٠هـ/٩١٢م) ، المسالك والممالك ، مطبوع مع نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٨٨٩م.

٢٠- إبـن خلـدون ، عبـدالرحمن ، (ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م) ، العبـر وديـوان المبتدأ والخبـر أيـام العـرب والعجـم والبربـر ومـن عاصـرهم مـن ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، د . ط ، د . ت ، .

٢١- خورشـيد ، إبـراهيم زكـي وآخـرون ، دائـرة المعـارف الإسـلامية ، دار الشعب ، القاهرة ، د . ط ، د . ت .

٢٢- الدناصوري ، جمال الدين ، جغرافية فزان ، دار ليبيا للنشر والتوزيع ، بنغازي ،١٩٦٧م .

٢٣- رايت ، جون تأريخ ليبيا منذ أقدم العصور ، تعريب عبدالحفيظ الميار وأحمد اليازوري ، دار الفرجاني ، طرابلس ، ط١ ، ١٩٧٢م.

٢٤- الزبيـدي ، السـيد محمـد مرتضـى (ت١٢٠٥هـ/١٧٩١م) ، تـاج العروس ، دار صادر ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

٢٥- زيادة ، نيقولا ، ليبيا من حسن الوزان إلى التمغروتي ، بحث في كتاب ليبيا في التأريخ ، المؤتمر التأريخي المنعقد من ١٦_٢٣ مارس ، ١٩٦٨م ، الجامعة الليبية ، كلية الآداب .

٢٦- إبن سعيد المغربي ، أبو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، كتاب الجغرافية ، تحقيق إسماعيل العربي ، منشورات ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د . ط ، ١٩٧٠م.

٢٧- سويسي، نجاة باشا ، التجارة في المغرب الإسلامي ، منشورات الجامعة التونسية، ١٩٧٦م.

٢٨- الشريف الإدريسي ، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس ، (ت القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٩م .

٢٩- شيخ الربوة ، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي الإنصاري الدمشقي ، (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م) ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر . مكتبة المثنى ، بغداد ، ليبزك ، ١٩٢٣م .

٣٠- الطبري ، محمد بن جرير ، (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) ، تأريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، د . ت .

٣١- طريح شرف ، عبدالعزيز ، جغرافية ليبيا ،مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية، ١٩٦٣م .

٣٢- أبن عبدالحكم ، عبدالرحمن بن عبدالله (ت٢٥٧هـ/٨٧٠م) ، فتوح مصر والمغرب ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د . ط ، ١٩٧٣م.

٣٣- أبو عبيد البكري ، عبدالله بن عبدالعزيز ، (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ، كتاب المسالك والممالك ، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري ، الدار العربية للكتاب ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، تونس ، ١٩٩٢م.

٣٤- ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ، (ت٥٧١هـ/١١٧٥م) تهذيب تأريخ دمشق الكبير ، هذبه ورتبه عبدالقادر بدران ، دار إحياء العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٧م .

٣٥- عمار ، حامد ، علاقات مصر بالدول الأفريقية في العصور الوسطى ، الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٦م.

٣٦- أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن محمد ، (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م) ، تقويم البلدان ، مكتبة المثنى ، بغداد ، دار طباعة السلطان ، باريس ، ١٨٤٠م .

٣٧- ابن الفقيه الهمذاني ، أبو بكر أحمد بن إبراهيم ، (ت٥٢١هـ/١١٢٧م) ، مختصر كتاب البلدان ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٨٥م.

٣٨- العيتوري ، عطية مخزوم ، دراسات في تأريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء ، منشورات جامعة قاريونس . بنغازي ، ط١ ، ١٩٩٨م .

٣٩- فيرو ، شارل ، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي ، نقلها عن الفرنسية محمد عبدالكريم الوافي ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ط٣ ، ١٩٨٤م .

٤٠- قدامـة بـن جعفـر ، أبـي الفـرج قدامـة بـن جعفـر البغـدادي ، (ت٣٢٠هـ/٩٣١م) ، نبذة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، مطبوع مع كتاب المسالك والممالك لأبن خرداذبة ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٨٨٩م .

٤١- القحطاني ، سعيد عبدالله ، تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة ، التاسع والعاشر الميلادي ، دار الملك عبدالعزيز ، سلسلة الرسائل الجامعية ، ١٤٢٠هـ .

٤٢- القلقشندي ، أحمد بن علي . (ت٨٢١هـ/١٤٨١م) صبح الأعشى في صناعة الانشا ، شرحه نبيل خالد الخطيب ، دار الكتب العلميـة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م .

٤٣- كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، منشورات دار مكتبة الأندلس ، بنغازي ، د . ط ، د . ت .

٤٤- لومبار ، لويس ، الإسلام في مجده الأول ، ترجمة إسماعيل العربي ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، المغرب ، ط٣ ، ١٩٩٠م .

٤٥- المزينـي ، صـالح مصـطفى ، ليبيـا منـذ الفـتح العربـي حتـى إنتقـال الخلافـة الـى مصـر ، الـدار العربيـة للنشـر والتوزيـع ، ليبيـا ، ط٣ ، ٢٠٠٢م .

٤٦- مسكوي ، أحمد بن محمد ، (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) ، تجارب الأمم ، منشـورات المكتـب التجـاري للطباعـة والنشـر والتوزيـع ، بيـروت ، د . ط ، د . ت .

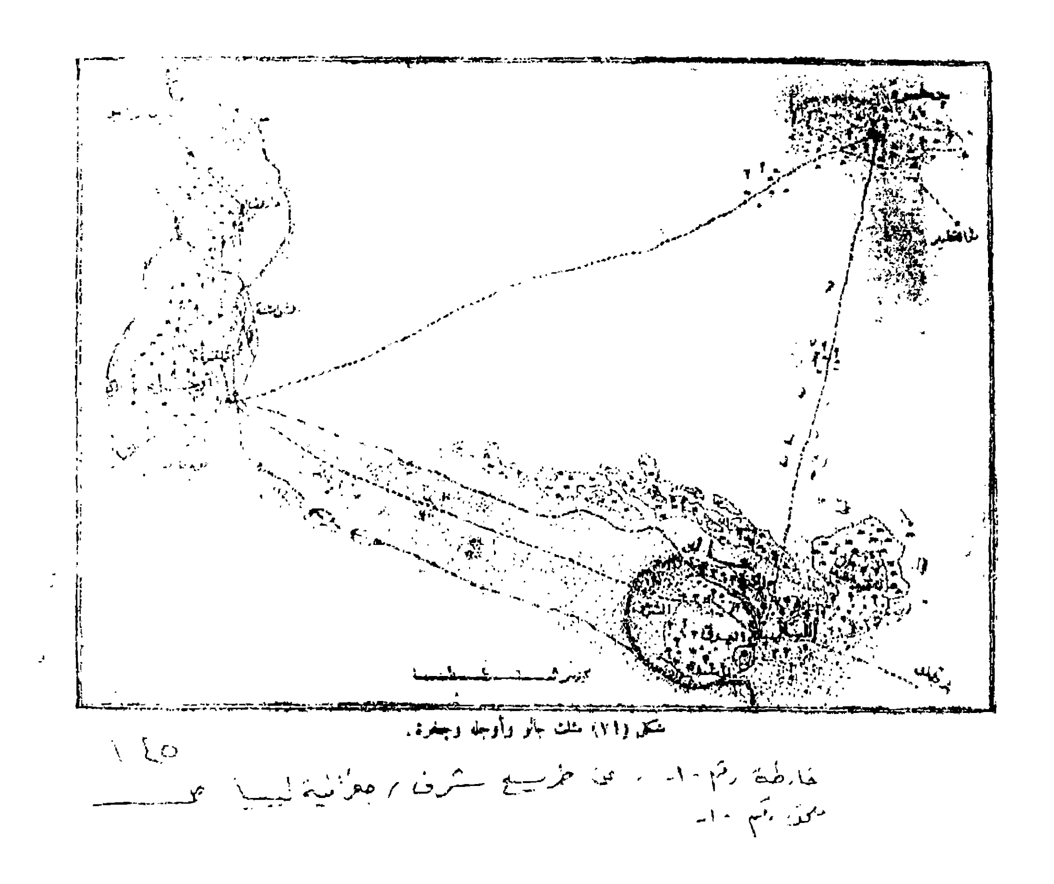
٤٧- المنصوري ، بيبرس ، (ت٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م) ، تأريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية ، حتى سنة ٧٠٢هـ ، تحقيق عبدالحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٣م .

٤٨- موني ، ريموند ، طرق التجارة عبر الصحراء ، مجلة البحوث التأريخية ، مركز جهاد الليبين للدراسات التأريخية ، ع١ ، ١٩٨١م .

٤٩- الوافي محمد عبدالكريم ، منهج البحث في التأريخ والتدوين التأريخي عند العرب ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، ط١ ، ١٩٩٥م .

٥٠- ياقوت الحموي ، ياقوت بن عبدالله ، (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

٥١- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب ، (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) ، كتاب البلدان ، مطبوع مع كتاب الأعلاق النفيسة لأبن رستة ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع ، بيروت ، د. ط ، د . ت .

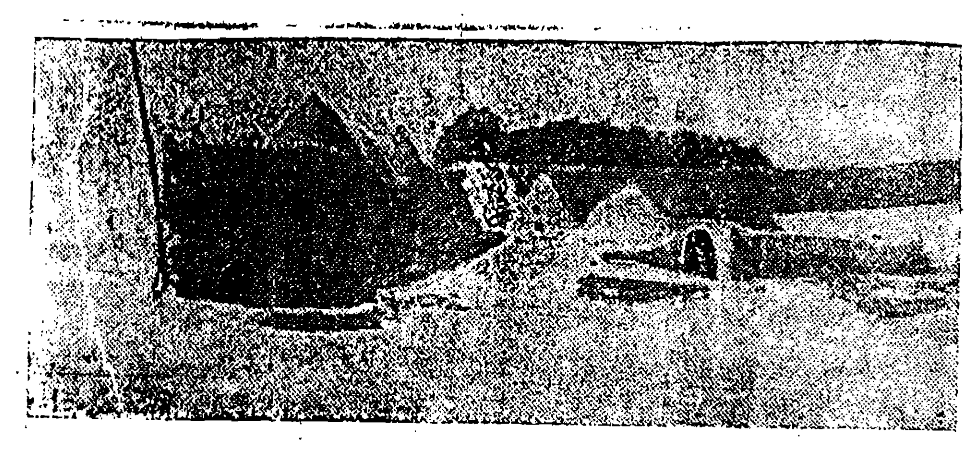


شكل (٢١) مثلث جالو وأوجلة وجخرة.

١٤٥

خارطة رقم ١٠ ، عن جغرافية ليبيا / شرف ص

شكل رقم ١٠

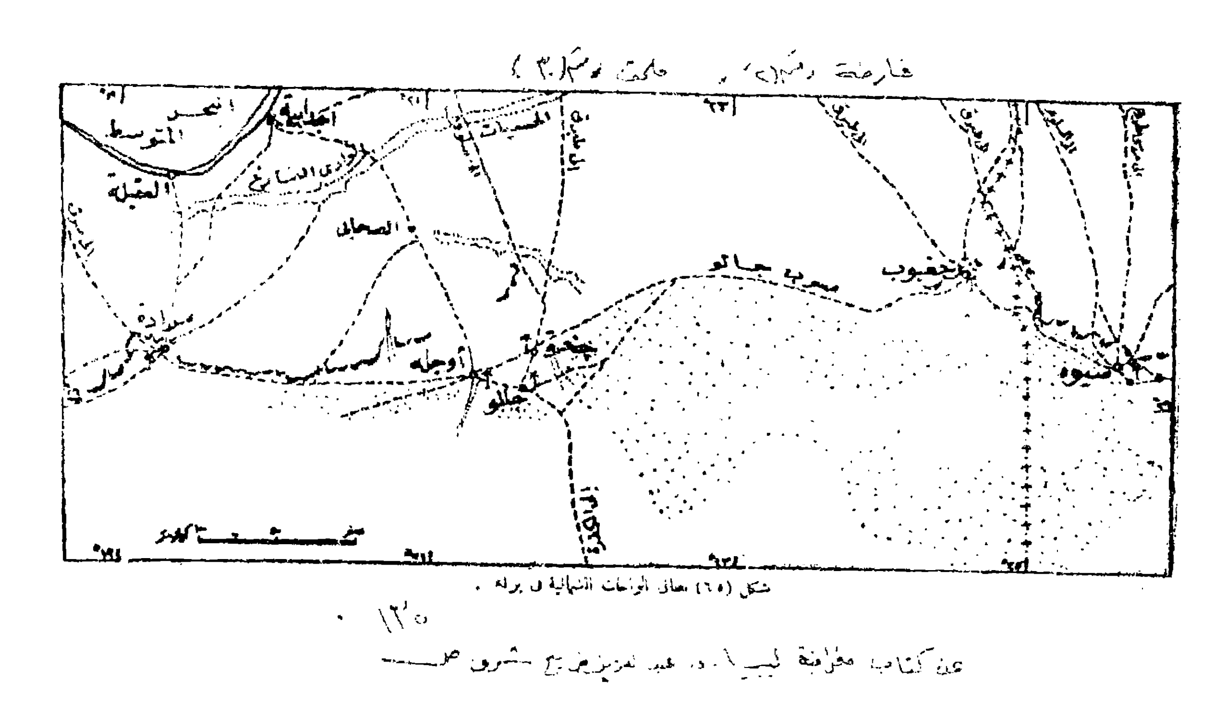


ضريح سيدى عبدالله بن سعد بن أبي الصرح في واحة أوجلة .

شكل رقم ٩ ملحق رقم ٢٠

من تاريخ شرف، عزانية ليبيا ، ص ٥٠٧

خارطة رقم (٥) ملحق رقم (٣)



شكل (٦٥) معابر الواحات الشمالية في برقة .

عن كتاب جغرافية ليبيا . د. عبد العزيز طريح شرف ص ١٢٥ .

اشكاليات ترجمة معاني القرآن الى الانكليزية
من المسلمين غير العرب

وليد خالد احمد

يتناول البحث نقد ترجمات معاني القرآن وتفسيراته التي قام بها مسلمون غير العرب ، وبيان الخطأ والصواب فيها .

كثر في الآونة الاخيرة تداول ترجمات لمعاني القرآن الكريم باللغة الانكليزية ، وهذا حسن من جانب . ومن جانب آخر ، يدعو للتأمل والتوقف والاحتراز . فهو يعكس اهتمام المسلمين بنشر كتابهم بين الشعوب ، وايصاله لكل البشرية ... ولكن في الوقت نفسه يجب ان نميز بين الغث والسمين ، ونفصل بين الامور ، ونتبع طريقة علمائنا الفذة في (الجرح والتعديل) التي لم يصل اليها احد من الامم في طريق التوثيق والسلامة ... من هنا لا بد من تأمل ما منشور من ترجمات معاني القرآن الكريم ودراسته وتمحيصه وبيان الخطأ والصواب فيها .

انه على الرغم من الحقيقة التاريخية القائلة بان موقف العرب حول ترجمة معاني القرآن الكريم يتسم بالتناقض الوجداني مثلما هي النظرة الاسلامية العامة عن ذلك ، والباقية لحد هذا اليوم ، يمكن النظر الى عملية الترجمة بكونها جزءً طبيعياً من الجهد الاسلامي التفسيري ، الا انه في الوقت الذي كانت فيه فكرة تفسير القرآن ليست بذات الدرجة من الجدلية ، فان المحفزات العاطفية الكامنة لترجمة النصوص القرآنية الى لغات اخرى غير العربية ، كانت على الدوام ينظر اليها بقدر من الريبة [١].

ان الله تعالى ختم الانبياء بالنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وجعل رسالة الاسلام هي خاتمة الرسالات ، وبذلك اصبحت دعوة الاسلام دعوة عالمية لا يحدها زمان او مكان بل ان تبليغها واجب الى كل البشر. فعالمية الاسلام ووجوب دعوته ولزومها امر متفق عليه وليس فيه ادنى شك او ريبة ، فالاسلام دين البشرية جميعا.

ولما كانت حكمة الله تعالى انه خلق البشر على الاختلاف في السنتهم ، ولغاتهم ، وبشرتهم ، وقومياتهم ... فوجب تبليغ الاسلام اليهم بلغتهم من دون المساس او التأثير بطبيعة الاسلام وجوهره . والقرآن الكريم هو منهج الاسلام والمسلمين وكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وقد بدا ذلك واضحا عندما برزت الحاجة لترجمة معاني القرآن خلال الظروف التاريخية عندما اقدمت اعداد كبيرة من الشعوب غير الناطقة

---

[١] أ. ر. كيداوي- استعراض للترجمات الانكليزية للقرآن الكريم ، ترجمة -- خالد الدغفار ، مجلة المأمون (بغداد) ، العدد ٤/٢٠٠٦.

بالعربية على الدخول في الاسلام ، مما اعطى توجيهات لغوية جديدة لمحتويات الرسالة السماوية مثلما على سبيل المثال حدث في العهد الجديد التي كان يمكن ان تفود الى تطورات غير مرغوبة ولا يمكن التكهن بها داخل الفكر الاسلامي .

وقد اجمع بعض العلماء المسلمين على تحريم ترجمة معاني القرآن الكريم ترجمة حرفية ، لأنه كلام الله عز وجل الذي اعجز الله به الأنس والجن وتحداهم ان يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، والترجمة هي "نقل معنى واسلوب من لغة الى اخرى". [٢]

فالترجمة سوف تخل بالوزن والمعنى ، فأحد اوجه اعجاز القرآن الكريم هو الاعجاز اللغوي والبلاغي ، فضلا عن الجرس او الايقاع . فالترجمة الحرفية سوف تخل بكلا الجانبين ، وسوف تأتي كل ترجمة مختلفة عن بعضها ، وكلها تحمل اسم القرآن الكريم The Holy Quran ، وهذا لا يجوز . لأن "الصعوبة الاساسية في فن الترجمة متأتية من وجود الفاظ معينة في كل لغة لا مقابل لها في اللغات الاخرى"[٣].

لقد ظهرت حاجة المسلمين الى ترجمة القرآن الى اللغة الانكليزية بصورة عامة من الرغبة في مواجهة الجهود التبشيرية. وقد بدأ المبشورون الغربيون بحملتهم هذه على امة اسلامية واهنة سياسيا خلال القرن الثامن عشر ، وذلك بالترويج لترجماتهم الخاصة ، وفي اعقاب التقاليد الجدلية

---

[٢] صفاء خلوصي - فن الترجمة ، ط.١ ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص.١٧.

[٣] المصدر نفسه ، ص ١٦.

الطويلة التي كان الهدف منها التوصل الى طرح نسخة غربية من القرآن الكريم والذي كان كالعادة متخما بالأخطاء ومربكا للقارئ[٤].

ومما لا شك فيه ، لم يكن المسلمون بالتأكيد ليسمحوا بهذه الحملة التبشيرية التي كانت بصورة عامة تستهدف التعتيم على حقيقة النص الأصلي وارباكه ، باضافة تعليقات معادية لكي تأخذ مداها من دون ان تكون هناك معارضة او محاولة لايقافها. لذلك ، اتخذ القرار لوضع ترجمة امينة للنصوص القرآنية مع شروحات اصيلة وحقيقية ووضعها في متناول يد العالم الغربي. وفيما بعد طرحت هذه الترجمات الاسلامية لكي تخدم اولئك المسلمين الذين كانت الطريقة الوحيدة امامهم لفهم الرسالة القرآنية تمر عبر الوسط الخاص باللغات الغربية ، كانت اللغة الانكليزية واحدة من اهم اللغات لذلك الغرض. وقد يكون ذلك عائدا الى وجود الامبراطورية البريطانية التي ضمت اكبر عدد من الرعايا المسلمين بعد الدولة العثمانية[٥].

ويمكن القول ، ان التفسير الوارد آنفا ينطبق الى حد ما على الحركات الطائفية او الباطنية ضمن الاسلام او حتى على المجموعات المارقة والمنشقة عن الاسلام ، اذ كانت نشاطاتهم الترجمية واسعة ناتجة عن رغبتهم في الاعلان عن فرادتهم العقائدية واختلافهم عن الجسد الاسلامي الاكبر.

وعلى الرغم من وجود فيض من المجلدات التي تبحث في الابعاد المختلفة والعديدة للقرآن ، لم نجد اي جهد كبير لحد الآن يهدف الى تفحص

---

[٤] كيداوي- مصدر سبق ذكره.

[٥] المصدر نفسه.

هـذا الكـم الكبيـر مـن الترجمـات الانكليزيـة لمعـاني القـرآن ونقـده . وحتـى الدراسات الببيلوغرافيا في هذا الموضوع كانت قليلة بصورة عامة حتى ظهور الببيلوغرافيا العالمية لترجمات معاني القرآن الكريم التي صدرت في استنبول عـام ١٩٨٦ ، والتـي تقـدم تفاصيـل مرجعيـة طباعيـة لترجمـات القـرآن فـي (٦٥) لغة.

كما ان هناك ملحقا يتضمن ببيلوغرافيا عن ترجمات القرآن الكريم الـى اللغـات الغربيـة ألحـق بكتـاب جامعـة كمبـردج "تـاريخ كمـبردج لـلاداب العربية" اعد من قبل جي. دي . بيرسون. وكذلك مقالته في دائرة المعارف الاسلامية على الرغم من انها ليست بذات فائدة كبيرة بالنسبة للمسلم[٦].

وعلـى الـرغم ان مـن الاعمـال المشـار اليهـا آنفـا لا تحتـوي علـى شـروحات او حواشـي فليس بوسـع القـارئ الغربـي خاصـة ان يكوّن فكـرة عن البنـاء الفكـري للمـترجم او افتراضـاته الدوغماتيـة او مقارباتـة للقـرآن ، وكـذلك عن نوعية ترجمته.

وبصورة مماثلة ، يمكن القول ، ان الفصل الصغير المعنون "مدخل الـى القـرآن ، القـرآن والجهـد العلمـي الغربـي"[٧] لـيس ذا فائـدة كبيـرة للقـارئ المسلم بصورة عامة ، الا انه مفيد في تقديم معلومات اساسية للجهود الغربية فـي مجـال الدراسـات معـاني القرآنيـة وترجماتهـا. وعليـه ، فـان الابحـاث التـي تركز على تلك الجوانب لترجمات معاني القرآن تبدو الحاجة لها ملحة لكي لا ينحـى البـاحثون الغربيـون فـي تضليـل قـارئ القـرآن مـن الـذين لا يتكلمـون العربية.

---

(٦) المصدر نفسه.

(٧) Bell and Walls- Introduction to the Quran, Edinburgh, 1970.

* الاعجاز القرآني واشكالية ترجمته

ان الكلمة في القرآن الكريم تأتي متناسقة مع اللفظ بل ان وقعها وجرسها يتناسب مع موضوعها ، فاية العذاب والعقاب تأتي قوية شديدة حازمة بجرسها وايقاعها والفاظها وتعابيرها. وسورة (ق) مثال على ذلك[٨].

اما آية الرحمة او التوجيه ، فتأتي هينة لينة تمس شغاف القلب وتنفذ الى اعمق الاعماق. وسورة (طه) و (الدهر) وغيرها مثل من الامثلة على ذلك[٩].

وهذا من صور الاعجاز القرآني . وان الترجمة الحرفية سوف تخل بهذا الجانب حتما. ان "للكلمة الواحدة شخصيتين ، شخصية مستقلة تلك التي تجدها عليها في معاجم اللغة ، وشخصية تضفيها عليها العبارة التي تجل فيها ، ومن المعيب في الكلام – منظومة ومنثورة – ان نضع الكلمة في غير موضعها من حيث الجرس ، محدثين بذلك تنافرا في الحروف او اضطرابا في سلاسة الكلام"[١٠]. فضلا عن ذلك ان في اللغة الاجنبية كلمات كثيرة جدا لا تطابق كلمات اللغة العربية "وليس في اي لغة ، عربية كانت او فرنجية كلمتان متشابهتان كل التشابه مهما كان معناهما متقاربا"[١١]. فيلجأ المترجم امام كثرة المرادفات وعدم تطابق الكلمات الى

---

[٨] هاشم طاهر الرفاعي- محاذير لغوية في ترجمة القرآن الكريم ، مجلة الزمان الجديد (لندن) ، العدد ٢٠٠١/١٥.

[٩] المصدر نفسه.

[١٠] صفاء خلوصي- مصدر سبق ذكره ، ص١٧.

[١١] المصدر السابق ، ص ٤٥.

تقريب المعنى والمفهوم باستخدام شرح قصير او جملة ، وهذا بحد ذاته سوف يؤثر في الاعجاز البلاغي والسياق اللغوي للقرآن الكريم وربما كلمة واحدة سوف تغير المعنى بأكمله .

اذن ، يجب ان تكون هنالك طريقة انتقائية ينتقي منها المرء الكلمات المناسبة التي تقابل المعنى المطلوب او تقرب منه ، وهذا خاضع لاطلاع المرء او اجتهاده الشخصي فيحدث حينئذ الاخلال المقصود بالايقاع والجرس والوزن والبلاغة "وللكلمة كما للاشخاص ، شخصيات مستقلة متمايزة تتألف عناصرها من رسم الكلمة وجرسها ومعناها في الجملة ، ويختلف رواء كل كلمة وتأثيرها باختلاف الكلمات المجاورة لها . ولكل مكان في الجملة كلمة خاصة لا يمكن استعمال سواها الا على حساب التأثير البلاغي"[١٢].

فالقرآن الكريم هو كتاب الله المعجزة ، وان كل حرف وكل كلمة في مكانها تدل على اعجازها او سياق الكلمة مع الجملة مع الايقاع هو اعجاز بحد ذاته لا ترقى له اي بلاغة واي لغة في العالم ، هذه هي احدى الجوانب التي حرم على اساسها العلماء ترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية الى لغة اجنبية حية "وعدم تحمل اللغة المنقول اليها بلاغة القرآن واعجازه"[١٣].

كما ان خصائص اللغة الانكليزية مثلا هي كثرة المرادفات ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، كلمة (الجهاد) بعضهم يترجمها Striving ، والاخر Fighting ، وثالث Struggle. وكلمة (التقوى) احدهم يستعمل Fear of Allah ، والاخر Piety. وكلمة (الاستقامة) احدهم يترجمها

---

[١٢] المصدر السابق ، ص ١٤٥-١٤٦.

[١٣] المصدر السابق ، ص ٤٩.

Straightness والآخر Righteousness... الخ. وامثلة اخرى مثل كلمة (حرم عليكم) هناك ترجمات منها:

.[14]Forbidden on you . It is not lawful, It is not allowed

ومنها (المنفقون في سبيل الله) ، بعضهم ترجمها Who gives Who for the love of God disburse his و money for God wealth او كلمة (على حبه) منها For his love their wealth though they love او كلمة (ليلة القدر) Grand و Knight of Power knight و Knight of decree او كلمة (الطاغوت) idol و False God و Tyrant او الآية (وامسحوا برؤوسكم وارجلكم)

Rub your heads and your feet . Wipe your heads and yours feet ، Wipe your heads and wash your feet.[15]

وغير ذلك امثلة كثيرة جدا ، وهذا مما يجعل الترجمة الحرفية للقرآن الكريم تحمل اسم (القرآن الكريم) وتختلف في بعض الفاظها عن الترجمة الاخرى ، في حين أن كتاب الله واحد لا يتعدد الى يوم الدين.

"اللغة العربية في طبيعتها تدل على معان اصيلة ومعان ثانوية . والقرآن الكريم اعجز الله به الانس والجن ، ومن ابرز معالمه انه يغني في

---

(14) Asim Ismail Illyas- Theories of translation, University of mousul, 1989 P.101, 102

(15) Ibid, P 103, 105, 109

الكلمة عن عبارة ، وفي العبارة عن الجملة"[16]. فضلا عن ذلك ، "ان هذه الترجمات تصرف الناس من غير العرب عن القرآن الكريم نفسه وتشغلهم عن قراءته وتدبره ، اذ ان قراءة القرآن بالعربية امر تعبدي وفيه معان لا تتوفر ولا يدركها الا من قراء القرآن بلغته التي انزل بها"[17].

ان ترجمة معاني القرآن الكريم يجب ان تتم من مسلم ثقة له اطلاع والمام باللغة العربية وبتفسير القرآن الكريم لفقهاء المسلمين وعلمائهم ، فالجهل باللغة العربية سوف يشوه المعنى ويخرجه عن سياقه الاصلي ، وهنالك امثلة على ذلك ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، قال تعالى "ولا تيأسوا من رحمة الله" ترجمها احدهم":

Do not despair of Allah`s spirit

فقد ترجم كلمة Spirit مقابل كلمة الروح في حين ان كلمة الروح هنا تعني الرحمة ، فالأصل كان استخدامه كلمة Mercy.

وقال تعالى "وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي" ترجمها احدهم: Him my personal servant make. ، قال ابن كثير معناه "اجعله من خاصتي واهل مشورتي" وليس كما اوردها المترجم من جعله خادمي الخاص[18].

وفي قوله تعالى "هن لباس لكم وانتم لباس لهن" جاءت ترجمتها:

---

[16] عبد القهار العاني- دراسات في التفسير والمفسرين ، ط1 ، بغداد ، 1987 ، ص 37.

[17] المصدر نفسه ، ص 37.

[18] المصدر نفسه ، ص47 و 48.

They are your garments and you are their garments.

فكلمة Garment تعني كساء او ثوب ، في حين الآية الكريمة تتضمن قيمة معنوية ، فقد جاء في تفسير الجلالين "كناية عن تعانقهما او احتياج كل منهما الى الآخر" فالمعنى ليس حرفيا كما جاء في ترجمته بل هو معنى مجازي واستعاري[١٩].

*** ترجمات معاني القرآن الكريم**

سنحاول هنا ان نتناول اهم ترجمات القرآن الكريم وتفسيراته باللغة الانكليزية وبيان مواضع الضعف والقوة فيها.. علما ان الترجمات الانكليزية الكاملة الرئيسة تمت من الباحثين المسلمين بصورة اساسية بسبب الحماسة التي شعروا بها وتفنيد الاتهامات الموجهة من قبل المبشرين المسيحيين ضد الاسلام بصورة عامة وضد القرآن بصورة خاصة.

تأتي في مقدمة هذه الترجمات ، ترجمة محمد ظفر الله خان ، التي صدرت عام ١٩٧١ ، ونشرت في بريطانيا عن مؤسسة اكسفورد و IBH.

في الحقيقة وجدت في هذه الترجمة الكثير من الهفوات ، وقد قمت بقراءة بعضها ، ولم ينشرح صدري لهذه الترجمة ، وهي ترجمة حرفية للقرآن الكريم ، وقد يلجأ في بعض الأحيان الى شرح الآية الكريمة لتوضيحها. وعند فراغي من هذه الترجمة صادف ان اطلعت على رسالة (المسألة القاديانية) للسيد ابي الاعلى السودودي الصادرة عن رابطة العالم الاسلامي ، وتكلم فيها على القاديانية ، وجاء في كلامه " واما القاديانيون فقد فسروا (خاتم النبيين)

(١٩) Abdulah yousif- The Holy Quran, P. 47.

لاول مرة في تاريخ المسلمين بان محمد – صلى الله عليه وسلم– هو خاتم الانبياء ، اي (طابعهم) ، فكل نبي يظهر الآن بعده تكون نبوته مطبوعا عليها بخاتم تصديقه – صلى الله عليه وسلم –[20] . وهذا جعلوه لتأييد رأيهم في ان زعيمهم المرزا غلام احمد ، وهو نبي ، وان النبوة لا تنقطع بوفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقالوا "انما المراد به انه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء ، اي طابعهم ، فلا نبي الآن الا من يصدقه هو – صلى الله عليه وسلم – وبهذا المعنى نؤمن بان الرسول الكريم هو خاتم النبيين ، وقالوا : الخاتم – هو الطابع ، فاذا كان النبي الكريم طابعا فكيف يكون طابعا اذا لم يكن في امته نبي ، وما هو واضح ان باب النبوة لا يزال مفتوحا بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – وهكذا فتح مرزا غلام احمد القادياني باب النبوة ثم قاد مدعيا بنبوته وصدقته الطائفة القاديانية دعواه هذه واقرت له بالنبوة بالمعنى الحقيقي التام"[21].

وعندما قرأت هذه الصفحات من كتاب المودودي ، فأنني عدت الى ترجمة ظفر الله خان فوجدته يذكر في تفسيراته لقوله تعالى في سورة الاحزاب "ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين". ترجمها:

Muhammed is not the father of any of your men, but he is the messenger of Allah and the seal of the prophets.

---

[20] ابو الاعلى المودودي– المسألة القاديانية ، رابطة العالم الاسلامي ، مكة المكرمة ، ص ٥١.

[21] المصدر نفسه ، ص ٥٢–٥٥.

فقد استعمل هنا كلمة seal مقابل خاتم ، ونعرف بان معنى كلمة seal هو ختم او شمع يختم به و Sealed مختوم ، وهذا مما دعاني الى الشك والريبة في هذا الشخص وارتسمت في ذهني صورة مريبة عنه ، علما انه كان اكثر دقة في تفسير الآية الكريمة وترجمتها .

They are as a garment for you and you are as a garment for them.

فاستعمل حرف as وهو حرف تشبيه في اللغة الانكليزية ، يعني (مثل) او (ك) فشبه العلاقة بين الرجل والمرأة كاللباس او الكساء ونبس اللباس بحد ذاته.

على اساس ما تقدم... ان تعلم اللغة العربية واجب لفهم الدين ، فان قيام هذه الترجمات تبعد الناس عن اللغة العربية ، وسيجدون انفسهم في غير حاجة اليها"[٢٢].

فيجب على المسلم من غير العرب ان يتعلم اللغة العربية لانها لغة القرآن الكريم ، وان الصلاة لا تصح بغير قراءة القرآن الكريم ، وان قراءته عبادة "واذا كان لا بد من الترجمة الى لغة اجنبية فان التعريف بالاسلام يتضمن اصدار كتب وبحوث باللغات الاجنبية تظهر معاني القرآن ومقاصد الاسلام ومن متخصصين بالشريعة ومتقنين للغة اجنبية"[٢٣].

وهناك ترجمة الشيخ عبد الله يوسف العالم الهندي المسلم المعروف بـ :

---

[٢٢] عبد القهار العاني- مصدر سبق ذكره ، ص ٣٨.

[٢٣] المصدر السابق ، ص ٤١.

The Holy Quran, translation and commentary, Lahore, 1934-1937.

كأفضل ترجمة شائعة بعد ترجمة ظفر الله خان. ولم يكن عبد الله يوسف عالما اسلاميا بالمعنى المتعارف عليه بل كان موظفا مدنيا ، لذلك فليس من الغريب ان تكون بعض الشروحات التي كتبها ولاسيما عن مواضيع الجنة والنار والملائكة والجن وتعدد الزوجات... قد جاءت باسلوب يقترب من الاسلوب شبه العقلي الذي كان سائدا في حينه.

وقد رجع عبد الله يوسف الى امهات كتب الحديث والتفسير والفقه والى اقوال العلماء المسلمين المتقدسين والمتأخرين ، ورد على كثير من اقوال خصوم الاسلام ، وبين الاقوال الراجحة عند علماء المسلمين ، وذلك بعد بحث واستقصاء ودرس عميق فجاءت ترجمته من اوثق التراجم، وقد جرى اعتمادها مرجعا موثوقا من رابطة العالم الاسلامي ولكنه قام بترجمة آيات القرآن الكريم ترجمة حرفية فكانت ترجمة ضعيفة فيها الكثير من الهفوات ، ولكن ترجمته التفسيرية كانت فاخرة حقا.

ان تأكيده المغالي فيه المواضيع الروحية ، شوه النظرة العالمية للقرآن. وبالضد من ذلك يمكن القول ، أن عبد الله يوسف كان واحدا من قلة من المسامين من الذين يتمتعون بمقدرة عالية في اللغة الانكليزية ، وقد بدا ذلك واضحا في النص المترجم ، وعلى الرغم من أن ترجمته كانت تفسيرا اكثر من كونها ترجمة حرفية الا انها تعكس للقارئ صورة امينة وقدرا وافرا من النص الاصلي .

اما الترجمة التي قام بها أبو الاعلى المودودي التي تحمل عنوان (تفهيم القرآن) والتي نشرها اصلا باللغة الاوردية ونقلها الى الانكليزية ظفر اسحاق الانصاري The Quran towards understanding من منشورات المؤسسة الاسلامية في اسلام اباد عام ١٩٨٨. وهي ترجمة تفسيرية للقرآن نجحت وبصورة رائعة في اعادة تقديم بعض من روعة النص الاصلي. فجاءت هذه الترجمة امينة ومليئة بالتعليقات المفيدة والمصطلحات الدقيقة والكلمات الشائعة الاستعمال ، ولكنه في الحقيقة وقع في خطأ من سبقه حيث ترجم أيات القرآن ترجمة حرفية ثم قام بتفسيرها في الهامش.

ونظرا لأن المودودي كان مفكرا كبيرا وذا قدرة نادرة جمعت بين المعارف الكلاسيكية والحديثة ، فان ترجمته تساعد القارئ من غير العرب في بناء فهم واسع للقرآن كمصدر للارشاد والتنوير . وفضلا عن قيامه بترتيب الآيات والصور على وفق الظروف السائدة الخاصة بتلك الفترة الزمنية ، يحاول المودودي وبصورة مستمرة على اقتران الرسالة الكونية للقرآن وربطها بفترته الزمنية ومشاكلها ، وذلك عن طريق المسوحات المستفيضة. ويجتمع اسلوبه المنطقي في التحاجج العقلاني السهل والاستخدام الامثل للفقه الاسلامي الكلاسيكي والحلول العملية لمشاكل اليوم لكي يظهر الاسلام كأسلوب متكامل في الحياة بكونه الطريق الصحيح للبشرية كلها.

- اما ترجمة عبد المجيد داري أبادي....

The Holy Quran, with English translation and commentary

وهي مشابهة تماما لوجهة النظر الاسلامية التقليدية ، وجاءت هذه الترجمة امينة ومزودة بشروحات مفيدة عن المواضيع ، وتلك الخاصة بيوم

الحشر ولاسيما الشروحات المتنوعة عن موضوع الديانة المقارنة. وعلى الرغم من الشروحات لم تكن وافية دائما الا انها تساعد على ازالة الشكوك من عقول القراء الغربيين ، ولكن مع ذلك ، فهي ايضا لا تحتوي الا على قدر يسير من المعلومات الخلفية عن السور ، كما ان بعض الشروحات بحاجة الى التحديث.

– ترجمة محمد مارمادوك وليم بكثال ، وهو رجل علم انكليزي اعتنق الاسلام ، اول من برز في اصدار ترجمة من الطراز الاول للقرآن الكريم في اللغة الانكليزية . The Meaning of the Glorious Quran ويبدو ان هذا العمل قريبا للنص الاصلي على الرغم من لغته الانكليزية قد تبدو قديمة بعض الشيء لكنها مع ذلك تعتبر ترجمة شائعة على نطاق واسع ، الا انها لا تقدم سوى القليل من الشروحات والحواشي والمعلومات الخلفية ، وهو ما يحد من فائدتها بالنسبة للقارئ المبتدئ للقرآن.

– ترجمة محمد أسد.. The Message of the Quran وتمثل اضافة جيدة الى مجمل الترجمات الانكليزية المتضمنة لغة انكليزية سلسة ، ومع ذلك فان ابتعاد هذا العمل عن وجهة النظر الاسلامية التقليدية في مواضع عدة يمثل انتقاصا من قيمته. وبسبب رفضه للأخذ ببعض الجمل القرآنية حرفيا ينحو أسد الى نفي حدوث بعض الاحداث ، مثل رمي النبي ابراهيم – عليه السلام – في النار او كلام عيسى – عليه السلام – وهو في المهد . كما ينظر الى شخوص قرآنية مثل لقمان والخضر وذي القرنين بوصفها شخوصا خيالية ، ويحمل كذلك وجهات نظر غريبة عن نزول بعض الآيات.

وبصرف النظر عن هذه النواقص ، فان هذه الترجمة السلسة تحتوي على معلومات مفيدة للمسلم من غير العرب على الرغم من كونها غير موثقة احيانا عن السور القرآنية ، وتقدم شروحات مستفيضة عن مختلف المواضيع التي ينطرف اليها القرآن.

- ترجمة محمد عبد الحكيم خان ، The Holy Quran مع ملاحظات قصيرة تستند الى القرآن او الى السيرة النبوية الموثقة للرسول ، وكذلك على كتاب العهد والحقائق العالمية . وقد حاول المترجم تجنب الاشارة الى القصص الخيالية والاحداث التاريخية غير المؤكدة والنظريات غير المتفق عليها.

- ترجمة خيرت دهلاوي The Koran Prepared ، بقلم عدة علماء شرقيين من اصول مختلفة ومنقحة من قبل الميرزا خيرت دهلاوي. وكان يقصد بهذا العمل ان يكون ردا كاملا وواسعا للانتقادات المتشعبة الموجهة الى القرآن من الكتّاب المسيحيين.

- ترجمة ميرزا ابو الفضل

Quran Arabic, Text and English, translation arranged chronologically

ونظرا لأن أيا من الترجمات الاولى لم تكن على يد علماء مسلمين مشهود لهم ، لم ترق نوعية هذه الترجمات الى المستوى المعرفي المنشود ، وبذلك اصبحت مجرد اعمال ذات اهمية تاريخية فحسب ، الا ان الاعمال اللاحقة عكست جهودا معرفية اكثر عمقا ونضجا.

- ظهرت حديثا ترجمة لمعاني القرآن مقتبس من تفسير الطبري وابن كثير والبخاري للدكاترة محمد تقي الدين الهلالي ومحمد محسن خان (في الجامعة الاسلامية- المدينة المنورة ، منشورات دار السلام المملكة العربية السعودية) ، وقد بذلا فيه جهدا عظيما بارك الله فيهما ، ولاسيما شرح الآية ومعانيها وتفسيرها ، ولكنهم ايضا قاموا بترجمة نص الآية الكريمة فوقعوا في خطأ السابقين نفسه ، ولكن هذا لا يقلل من قيمة التفسير والمعاني.
- ترجمة آرفنغ The Quran, the first- T.B. irving American version, Vermont, 1980

آخر الترجمات الانكليزية الحديثة ، وبصرف النظر عن العنوان غير المحبب لهذا العمل ، فهو يكاد يخلو من الملاحظات والشروحات المطلوبة ، وقد حاول المؤلف بصورة عشوائية منح عناوين ومواضيع لكل جزء من اجزاء القرآن ، وعلى الرغم من استخدامه اسلوبا حديثا ورصينا في ترجمته ، تمثل في استخدام لغة انكليزية قوية لا يخلو هذا العمل من مواضع اسيئت ترجمتها او استخدمت فيها عبارات فضفاضة واستخدام ارفنغ مصطلحات انكليزية امريكية حديثة بسبب ان عمله كان موجها للقارئ الامريكي ، وبصورة خاصة الشباب منهم ، الا ان ذلك لا يتلائم مع الاجلال والوقار الذي يستحقه القرآن.

فضلا عن الترجمات المار ذكرها... فان هناك عددا من الترجمات الانكليزية قام بها ايضا مترجمون مسلمون لكنها لا تمثل اضافة مهمة في هذا المجال.

يقول بكثال في كتابه ?Is the Koran translated ، هل يترجم القـرآن؟ "ان القـرآن لا يمكـن ترجمتـه ، وهـذا اعتقـاد الشـيوخ القـدامى والمعاصرين[٢٤].

فقد اجمع العلماء علـى عدم جواز ترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفيـة ، ولكـن المسموح بـه هـو الترجمـة التفسيرية ، والترجمـة التفسـيرية (هـي عبـارة عـن ترجمـة الـنص الاصـلي بشـيء مـن التوسـع لايضـاح غوامضـه)[٢٥]. وهي ليست ترجمة الآية نفسها بل هي ترجمة تفسير الآية الكريمة ، فان شرح الآية الكريمة مسموح به بل قد يكون واجبا اذا كان في ذلك درء مفسدة او جلب مصلحة او تبليغ دعوة اودفع حجة -- وما لا يتم الواجب الا بـه فهـو واجـب-- وان تفسـير الآيـة او شـرحها او بيـان معانيهـا لا يؤثر في نص الآية واعجازها اللغوي والبلاغي "ينبغي ان لا تكون ترجمتك كلمة بكلمة بل ترجمة بجملة او بعبارة اخرى ترجم الفكر لا الالفاظ"[٢٦].

من هنا ، كان لا بد للمسلم من ان يتقن في الاقل لغة اجنبية حية ليبلـغ بها ويدفع الحجـة وكذلك علـى الاطـلاع علـى تفاسير الثقـات والفقـه والعقائد وبمعاني اللغة العربية بصورة عامة.

مما لا شـك فيـه ، ان الظـروف التاريخيـة الخاصـة التـي مهـدت لاحتكاك القرآن باللغة الانكليزية ، قد تركت تأثيرها في المحاولات التي جرت من المسلمين وغير المسلمين في ترجمة القرآن ، وهذا الامر ادى الى ان

---

[٢٤] المصدر السابق ، ص ٤٨.

[٢٥] صفاء فلوصي-- مصدر سبق ذكر ، ص ٢١٩.

[٢٦] المصدر السابق ، ص٢٢٠ .

تكون النتائج والانجازات ناقصة واقل مما هو مطلوب. وعلى عكس اللغات الشرقية الاخرى مثل الفارسية والتركية والاوربية ، التي وضعت مصادرها الادبية واللغوية لخدمة الباحث العلمي ، وبما يلبي مطامع العمل الترجمي المطلوب ومتطلباته ، فان المضامين الثرية لعالم اللغة الانكليزية لم يستخدم بصورة كاملة لخدمة القرآن .

ان كتاب الله ما زال في انتظار من يعمل على ايجاد الصيغ الامينة والمبجلة في اللغة الانكليزية التي يمكن ان تضاهي او تقترب عن عظمة النص الاصلي وروعته ، وقد يعتقد بان تيارات التاريخ تبدو متجهة نحو مثل هذا الانجاز اذ ان اللغة الانكليزية بدأت بتلبس صفة اسلامية اصيلة ، ولن يكون الامر سوى مرحلة زمنية قبل ان تولد ترجمة وافية للقرآن في تلك اللغة .

وفي هذا الصدد نعيد تأكيد ان المسلم الثقة وحده المؤهل لأن يهتم بهذا الموضوع ، لكن هذا الامر حساس جدا وان غير المسلم او من لديه انحراف في العقيدة ، فانه يلوي عنق الحق ليجعله متلائما مع ما يذهب اليه او يعتقد به كما حصل مع الباطنية عندما ادعوا ان للقرآن ظاهرا وباطنا لكي يلائم ذلك عقائدهم التي لا يجدون لها ما يؤيدهم في القرآن الكريم فيلجأون الى القول بذلك فيحملون المعنى اكثر من طاقته او يحرفون كلامه او يفسرونه كما يشتهون لا كما اراده الله تعالى. فالتعصب لرأي ، لفكر ، مصيبة ، تجعل الانسان يبتعد عن العلمية والموضوعية .

ان الدافع لكل عمل يجب ان يكون الاخلاص لله تعالى ورحم الله الامام البخاري الذي كان لا يكتب حديثا نبويا شريفا حتى يصلي ركعتين قبل ان يكتبه .

ونذكر كذلك ، ان اقتصار الجامعات الاسلامية على تدريس العلوم الاسلامية فحسب فيه تقصير ، فيجب ان يتضمن الخريج لغة عالمية . فبالاضافة الى واجب تبليغ الاسلام والدفاع عنه كذلك ، نحن نعيش عصر العولمة ، ويجب ان نتحصن في وجه الهجمات وكل ما يراد بنا من تذويب وتمييع وقبول لمعطيات النظام العالمي الجديد على انه من معطيات الحضارة والتطور .

علم المسلم (الاجنبي) ان يسعى لاكتشاف النص الاصلي وان لا يسمح لنفسه ان يضيع بين هذا الكم الكبير من الترجمات والتفسيرات.

ان الاسلام مجتمع ودولة ، منهج حياة كامل ، وتبليغه واجب الى كل البشر ، فيجب على المسلمين اجادة لغة عالمية ليتم بها التبليغ وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب .

ترجيحات السيرافي النحوية
في شرح كتاب سيبويه

الدكتور محمد فاضل صالح السامرائي
قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة الشارقة

الملخص :

من المعلوم أن كتاب سيبويه قد حظي بشروح كثيرة ، ذلك لأنه كتاب موجز في عبارته ، ولذا عدّه كثير من النحاة المعاصرين له والذين جاؤوا بعده كتابًا صعبًا ، حتى كان يقال لمن يطلب قراءته: هل ركبت البحر؟ استصعابًا له .

وكتاب سيبويه ليس كتابا تعليميا فيتسم بسهولة العبارة ، بل هو كتاب موضوع للعلماء ، ولذا جاء الكتاب موجزا ، وفي بعض عباراته غموض يحتاج القارئ إلى أن يقف عندها طويلا لكي يفهم مقصد سيبويه منها ، ولهذا السبب احتاج الكتاب إلى من يبسط عبارته ويوضحها ويزيل الغموض الذي يكتنفها. ومن هنا تعددت شروح الكتاب ، فمنها ما هو شرح لمادة الكتاب ومنها ما هو شرح لشواهده.

وكان من أبرز هذه الشروح وأوسعها مادة (شرح السيرافي)، إذ استفاض السيرافي في عرضه مادة الكتاب فتناولها بالتفصيل وحاول أن يبسطها ويقرب معانيها إلى أذهان الدارسين .

ومن صور هذه الاستفاضة أنه ضمّن كتابه الكثير من المسائل الخلافية ، فقد كان السيرافي يعرض آراء النحاة وخلافاتهم ويبسط أدلتهم ثم يرجح ما يراه صوابا . أو يتركها بدون ترجيح إذا تساوت الآراء في نظره .

وهذا البحث هو دراسة لترجيحات السيرافي النحوية عرضت فيها صورًا وأنماطًا مختلفة من ترجيحاته ، ثم شرعت أعرض مسائل نحوية خلافية كان للسيرافي ترجيحات بين الآراء فيها ، فذكرت أن منها ما كان أساسه الخطأ في العزو ، ومنها ما هو ترجيح لرأي شاذ ، ومنها ما هو ترجيح في تفسير حكم نحوي .

وقد ذكرت أهم الأسس التي اعتمدها السيرافي في ترجيحاته وهي السماع والقياس والمعنى .

وفي الخاتمة بينت أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث .

ترجمة السيرافي[1] :

هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان القاضي السيرافي النحوي اللغوي . ولد بسيراف قبل السبعين والمئتين ، وفيها ابتدأ بطلب العلم.

قرأ القرآن على أبي بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) ودرس عليه القراءات وعلوم القرآن ، ودرس اللغة على أبي بكر بن دريد (ت٣٢١هـ) ، وقرأ النحو على أبي بكر بن السراج (ت٣١٦هـ) وعلى أبي بكر بن المبرمان.

وكان السيرافي زاهدًا لا يأكل إلا من كسب يده ، ولا يخرج من بيته إلى مجلس الحكم ولا إلى مجلس التدريس في كل يوم إلا بعد أن ينسخ عشر ورقات يأخذ أجرتها عشرة دراهم تكون قدر مؤونته ثم يخرج إلى مجلسه .

وقد أخذ عنه الناس العلوم المختلفة وذلك لسهولة أسلوبه وجودة تدريسه . قال بعض أهل الأدب : كنّا نحضر عند ثلاثة شيوخ من النحويين ، فمنهم من لا نفهم من كلامه شيئا ، ومنهم من نفهم بعض كلامه دون بعض ، ومنهم من نفهم جميع كلامه ، فأما الذي لا نفهم من كلامه شيئًا فأبو الحسن الرمّاني ، وأما من نفهم بعض كلامه دون بعض فأبو علي الفارسي ، وأما من نفهم جميع كلامه فأبو سعيد السيرافي.

---

[1] مصادر الترجمة :

إنباه الرواة على أنباه النحاة . القفطي ١/٣٤٨ ـ ٣٤٩ ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . السيوطي ١/٥٠٧ ـ ٥٠٨ ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة . مجد الدين الفيروزابادي ١١٥ـ ١١٦ ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء . أبو البركات بن الأنباري ٢٢٦ـ ٢٢٨.

ومن تلامذته الحسن بن أحمد بن خالويه (ت٣٧٠هـ) ، وإسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٨٦هـ) ، وعلي بن عيسى الربعي (ت٤٢٠هـ) وغيرهم كثير .

وله مصنفات كثيرة نافعة أهمها ، أخبار النحويين البصريين ، وألفات القطع والوصل ، والإقناع في النحو ، وشرح الدريدية ، والوقف والابتداء ، وشرح كتاب سيبويه.

توفي يوم الإثنين الثاني من رجب سنة ثمان وستين وثلاث مائة ، ودفن بمقبرة الخيزران ببغداد بعد صلاة العصر من ذلك اليوم.

تعريف بشرح كتاب سيبويه :

هو شرح لم يجاره فيه أحد ولا سبقه إلى تمامه إنسان ، ولو لم يكن للسيرافي غيره لكفاه فضلا وفخرا. وقد حسده عليه أترابه كأبي علي الفارسي وغيره من معاصريه لظهوره ومزاياه .

((ولم يكتب السيرافي مقدمة لشرحه يبين فيها عرضه من الشرح وأهدافه وسبب تأليفه ، وإن كان مفهوما من تسميته بالشرح أنه يقصد تفسير ما صعب من عبارات الكتاب وتوضيح ما غمض من الآراء))[٢].

وقد تباينت طريقة السيرافي في الشرح ، إذ لم تكن له خطة ثابتة في جميع أبوابه وفصوله ، فهو تارة ينقل عبارة من كلام سيبويه ويأتي بعد ذلك بشرحها لفظا لفظا مع الإلمام بالأوجه التي يحتملها تعبير سيبويه كما فعل

---

[٢] كتاب سيبويه وشروحه . الدكتورة خديجة الحديثي . صفحة١٨٢ .

عند كلامه على (باب علم ما الكلم من العربية) حيث فصّل وأسهب في تبيين الوجوه الجائزة[٣]. وكما فعل عند شرحه قول سيبويه : ((والنصب في المضارع من الأفعال (لن يفعلَ) والرفع (سيفعلُ) والجزم (لم يفعلْ))) [٤]، إذ شرح إعراب الأفعال المضارعة في خمس عشرة صفحة تقريبا[٥].

وقد يفسر كلام سيبويه كلمةً كلمةً[٦] ، أو يفسر الباب على الجملة كما في (باب أفعل منك) [٧].

وقد يأتي بالشرح متخللا كلام سيبويه كما في (باب المفعول الذي يتعداه فعله إلى مفعولين وليس لك أن تقتصر على أحدهما دون الآخر) [٨]، أو يشرح بعض الباب ويترك الباقي ويقول: ((باقي الباب مفهوم)) [٩] ، أو يقول: ((وباقي الباب مستغنى عن تفسيره)) [١٠] أو ما أشبه ذلك[١١].

وربما يورد الباب كله كما ذكره سيبويه من غير أن يزيد فيه شرحا وتفصيلا لأنه باب بيّن مفهوم كما في (باب لا تجوز فيه المعرفة إلا أن

---

[٣] ينظر شرح كتاب سيبويه . السيرافي ٩/١ . ٦٠ ، والكتاب . سيبويه ٢/١.

[٤] الكتاب ٣/١.

[٥] ينظر شرح الكتاب ٢٧/١ . ٤٢.

[٦] ينظر شرح الكتاب ١٣٥/١ .

[٧] ينظر شرح الكتاب ٤٦٦/٣.

[٨] ينظر شرح الكتاب ٢٩١/١ . ٢٩٢.

[٩] ينظر شرح الكتاب ٢٥/٣ ، وينظر ٣٦٨/٣ ، ٣٧١ ، ٣٩٩.

[١٠] ينظر شرح الكتاب ١٢٣/٣.

[١١] ينظر شرح الكتاب ٣٨٢/٣.

تحمل على الموضع)[١٢] أو لأنه مضى تفسيره في تضاعيف الأبواب المتقدمة عليه[١٣].

وقد يمهد لشرحه بذكر الخلاف في المسألة كما في (باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره في غير الأمر والنهي)[١٤].

ولا يكتفي السيرافي برأيه في الشرح ، بل يستشهد بآراء النحاة الذين جاؤوا بعد سيبويه كما فعل في (باب ما جرى مجرى "كم" في الاستفهام)[١٥].

((كل هذه الطرق المتنوعة التي اتبعها السيرافي وغيرها مما لم نذكره كان سببه رغبة السيرافي في توضيح أسلوب الكتاب وعباراته والآراء فيه وتبيين ما فيه من أخطاء لم ترد عن سيبويه ومناقشة للذين اعترضوا على سيبويه أو خطّأوه حتى يحظى القارئ بما يفيده ، وليقف الدارس على الصحيح من عبارات الكتاب))[١٦].

نظرة عامة في ترجيحات السيرافي:

لم تكن للسيرافي خطة ثابتة في ترجيحاته ، إذ هو يرجح ما يراه صوابا ، وقد لاحظت في ترجيحاته ما يأتي:

---

[١٢] ينظر شرح الكتاب ٣/٣٨.

[١٣] ينظر شرح الكتاب ٢/٢٢١.

[١٤] ينظر شرح الكتاب ٢/١٩٠.

[١٥] ينظر شرح الكتاب ٢/٤٩٤.

[١٦] كتاب سيبويه وشروحه ١٩٠.

أولا . إذا ذكر رأي سيبويه مع رأي من خالفه رجّح رأي سيبويه ، وقد لاحظت أنه كثيرًا ما يذكر رأي سيبويه مع رأي المبرد ويرجّح رأي سيبويه ، ومن أمثلة ذلك مسألة عطف البيان في نحو (أنا ابن التارك البكري بشر) إذ ذهب سيبويه إلى جر (بشر) والمبرد إلى نصبه ، فرجح السيرافي رأي سيبويه وبيّن سبب الترجيح [١٧].

وقد يميل في القليل النادر إلى رأي المبرد ، ونجد مثال ذلك في مسألة (الاستثناء بحاشا) ، إذ ذهب سيبويه إلى أن (حاشا) حرف جر ، وذهب المبرد إلى أنها حرف جر كما تكون ناصبة أيضا مثل عدا وخلا. وقد قوّى السيرافي رأي المبرد وقال : ((ومما يقوّي قول أبي العباس أن أبا عمرو الشيباني وغيره حكي أن بعض العرب تخفض بها وتنصب)) [١٨].

وقد لا يرجح رأي سيبويه مباشرة ، بل يرجح رأي من رجح رأي سيبويه كالزجّاج ، مثال ذلك المسألة الخلافية في المحذوف من قولهم: (لاهِ أبوك) بمعنى (لله أبوك) ، إذ ذهب سيبويه إلى أن المحذوف لام الجر واللام التي بعدها ، وأما المبرد فذهب إلى أن المحذوف لام التعريف والباقي لام الجر ، ورجّح الزجّاج رأي سيبويه ، وأيّد السيرافي ترجيحه فقال: ((وكان الزجّاج يذهب إلى قول سيبويه وهو الصحيح عندي)) [١٩].

---

(١٧) ينظر شرح الكتاب ٣٩/٢.

(١٨) ينظر شرح الكتاب ٦٨/٣ . ٩٩.

(١٩) ينظر شرح الكتاب ٢٣٨/٤ . ٢٣٩.

ونرى في شرح الكتاب كذلك ترجيحه رأي سيبويه على رأي غيره من النحاة كالأخفش[٢٠] والفراء[٢١] والمازني[٢٢] والزجاج[٢٣].

وقد يرجح السيرافي رأي سيبويه على رأي جماعته من البصريين[٢٤] ، أو على رأي الكوفيين[٢٥].

وأما الترجيحات الأخرى فهي متنوعة ، فقد يرجح السيرافي رأي المبرد إذا ذكره مع غير سيبويه كابن السراج[٢٦] والزجاج[٢٧] وغيرهما ، أو يرجح رأي البصريين على رأي الكوفيين[٢٨] ، أو يرجح رأيا لا يذكر صاحبه كترجيحه الرأي على رأي أبي زيد الأنصاري[٢٩] ، أو يرجح رأيه على رأي جماعة من أهل اللغة[٣٠] ، إلى غير ذلك من صور الترجيح.

---

(٢٠) ينظر شرح الكتاب ٢/٢٩١.

(٢١) ينظر شرح الكتاب ٢/٤٦٠ ، ٤٩٦.

(٢٢) ينظر شرح الكتاب ٢/٣٣٦.

(٢٣) ينظر شرح الكتاب ٣/١١ . ١٢.

(٢٤) ينظر شرح الكتاب ١/٤٦٤.

(٢٥) ينظر شرح الكتاب ٢/٢١٠.

(٢٦) ينظر شرح الكتاب ١/٨٤ . ٨٥.

(٢٧) ينظر شرح الكتاب ٢/٤٦٥.

(٢٨) ينظر شرح الكتاب ٣/١٩١.

(٢٩) ينظر شرح الكتاب ١/٢٠٠.

(٣٠) ينظر شرح الكتاب ١/٢٤٣.

ثانياً . الأكثر أن يعلل السيرافي ترجيحاته ويبين حججه فيها كما سنرى ذلك في مسائل البحث ، وقد يكتفي بالترجيح من دون أن يذكر وجهًا لذلك، فيكتفي بقوله : ((والقول الذي بدأنا به أحسن)) [٣١] أو بقوله : ((والقول عندي هو الأول)) [٣٢] أو بقوله : ((والقول عندي ما قاله سيبويه)) [٣٣] ، أو بقوله : ((والصحيح قول سيبويه)) [٣٤] ، ونحو ذلك من أوجه التعبير [٣٥].

ترجيحات أساسها الخطأ في العزو :

قد يذكر السيرافي مسائل نحوية يزعم أن فيها خلافا بين النحاة ويرجح رأيا على آخر ، لكن إذا عدنا إلى مصنفاتهم وجدنا أن لا خلاف بينهم ، ولذا فلا وجه لترجيحه.

ومن أمثلة ذلك ما ادّعاه من الخلاف بين المبرد وسيبويه في سبب بناء الفعل الماضي على الفتح ، إذ نقل السيرافي عن سيبويه أن سبب البناء هو ((وقوعه موقع الأسماء والأفعال المضارعة في النعت والخبر كقولك : (مررت برجل قام) و (زيد قام) إذ وقع موقع قولك : (مررت برجل قائم) أو (برجل يقوم) ، و(زيد قائم) و (زيد يقوم) .

---

[٣١] ينظر شرح الكتاب ١/٤٢٤.

[٣٢] ينظر شرح الكتاب ٢/٤٠٩.

[٣٣] ينظر شرح الكتاب ١/٤٢٥.

[٣٤] ينظر شرح الكتاب ٢/٣١٧.

[٣٥] ينظر شرح الكتاب ٣/٤٥٣.

ووقوعه موقع الفعل المضارع في أبواب الجزاء كقولك: (إن قمتَ قمتُ) وقع موقع قولك : (إن تقمْ أقمْ))) [٣٦].

ثم زعم السيرافي أن أبا العباس المبرد أنكر على سيبويه الوجه الأخير من مضارعة الفعل المضارع في أبواب الجزاء ، وزعم أنه قال : ((إذا قلنا : (إن قمتَ قمتُ) فـ (إنْ) هي التي قلبت المستقبل إلى الماضي في اللفظ . والمعنى على الاستقبال ، كما تدخل (لم) على الأفعال المضارعة فتنفيها وتقلب ألفاظها إلى الماضي كقولك : (لم يقم زيد) و (لم ينطلق عمرو) ، والمعنى: ما قام زيد . وما انطلق عمرو ، غير أن (لم) هي المغيّرة للفظ)) [٣٧].

يقول السيرافي : فكذلك (إنْ) الشرطية عند المبرد مغيّرة لفظ المستقبل إلى الماضي في اللفظ والمعنى على حاله ، وقال : إن المبرد زعم أنْ لا حجة لسيبويه فيما ذكره لهذا الاعتلال الذي أورده [٣٨].

ثم رجح رأي سيبويه فقال: ((والوجه الذي ذهب إليه سيبويه عندي صحيح ، وهو غير مُشبه لما شبهه به أبو العباس)) [٣٩].

وأقول : لو كان رأي المبرد مخالفًا رأي سيبويه فعلا ـ كما زعم السيرافي ـ لكان هناك وجه للترجيح ، لكن الواقع أن المبرد لم يخالف سيبويه فيما ذهب إليه ، بل كان رأيه موافقًا رأيه. جاء في الكتاب: ((وتقول: (إن

---

[٣٦] شرح الكتاب ٧٨/١.

[٣٧] شرح الكتاب ٧٨/١.

[٣٨] ينظر شرح الكتاب ٧٨/١.

[٣٩] شرح الكتاب ٧٩/١.

فعل فعلتُ) فيكون في معنى (إن يفعل أفعل) فهي فعل كما أن المضارع فعل ، وقد وقعت موقعها في (إنْ))) [٤٠].

وجاء في (المقتضب) : ((وتقع موقع المضارعة في الجزاء في قولك: (إن فعل فعلتُ) فالمعنى: إن تفعل أفعل)) [٤١].

وجاء فيه أيضا: ((وتقع موقع المضارعة في الجزاء نحو قولك : (من أتاني أتيته) و (إن أعطيتني أكرمتك) فقد وقع في موقع (من يأتني آته) و (إن تعطِني أكرمْك))) [٤٢].

إننا نلاحظ في هذه النصوص أن ما ورد ذكره في (المقتضب) لا يختلف عما ورد ذكره في كتاب سيبويه ألبتة ، وعلى هذا فلا وجه للترجيح .

ولعنا نجد عذرا لترجيح السيرافي رأي سيبويه ، فقد يكون للمبرد رأيان في المسألة ، رأي خالف فيه سيبويه ورأي وافقه فيه وهو ما دونه في (المقتضب) فنقل السيرافي الرأي المخالف ولم يقف على الرأي الآخر فزعم أن المبرد أنكر على سيبويه رأيه ، أو يكون السيراقي نقل رأيا تراجع عنه المبرد فيما بعد.

* * *

ومن أمثلة ذلك أيضا ما ذكره السيرافي من أن هناك أقوالا ثلاثة في اصل كلمة (لَهِنّك) :

---

(٤٠) الكتاب ١/٤.

(٤١) المقتضب ، المبرد ٢/٢.

(٤٢) المقتضب ٤/٨٢.

((أحدها : قول سيبويه أن أصلها (إنّ) أبدلوا همزتها هاء كما أبدلوا الهاء من (هرقت) مكان ألف (أرقت) ، ولحقت اللام التي قبل الهاء لليمين[٤٣] . . .

والثاني قول الفراء : وهو أن هذه من كلمتين كانتا تجتمعان ، كانوا يقولون: والله إنك لعاقل فخلطتا فصار فيهما اللام والهاء من (الله) والنون من (إنّ) المشددة ، وحذفوا ألف (إنّ) كما حذفوا الواو من أول (والله). وأنشد في (لَهِنّك) قول الشاعر :

لَهِنّكِ من عبسية لوسيمةٌ	على هنوات كاذبٍ من يقولها

. . .

الثالث: حكاه المفضل بن سلمة لغير الفراء معناه : إنك لمحبس)) [٤٤].

ثم رجح السيرافي رأي الفراء فقال : ((والذي قاله الفراء أصح في المعنى)) [٤٥] ، وذكر علة الترجيح. ولا تعنينا العلة ههنا بقدر ما يعنينا حقيقة رأي الفراء .

إن الحقيقة ((أن الفراء لا يقول بهذا ، بل يرى أن أصل (لَهِنّ) هو (إنّ) لحقتها اللام والهاء مثلما تلحق (ذا) : (ها) التنبيه)) [٤٦].

---

(٤٣) ينظر الكتاب ١/٤٧٤.

(٤٤) شرح الكتاب ٢/٣٧٩ . ٣٨٠.

(٤٥) شرح الكتاب ٣/٣٨٠.

(٤٦) الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وكتاب الإنصاف . الدكتور محمد خير الحلواني . صفحة ١٨١.

جاء في كتابه (معاني القرآن) : ((وإنما نصبت العرب بها إذا شددت نونها ، لأن أصلها : إن عبد الله قائم ، فزيدت على (إنّ) لام وكاف فصارتا جميعًا حرفا واحدا ، ألا ترى أن الشاعر قال :

ولكنني من حبها لكميدُ

فلم تدخل اللام إلا لأن معناها (إنّ) .

وهي فيما وصلت به من أولها بمنزلة قول الشاعر:

لَهِنَّكِ من عبسية لوسيمةٌ   على هنواتٍ كاذب من يقولها

وصل (إنّ) ها هنا بلام وهاء ، كما وصلها ثم بلام وكاف . والحرف قد يوصل من أوله وآخره ، فمما وصل من أوله (هذا) و (هاذاك) وصل بـ (ها) من أوله)) [٤٧].

وقد نبه الدكتور محمد خير الحلواني على أن الرأي الذي نسبه السيرافي إلى الفراء إنما هو رأي أبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ) كما ذكر ذلك أبو زيد الأنصاري[٤٨].

وإذا عدنا إلى كتاب (النوادر في اللغة) لأبي زيد رأيناه يقول: ((وانشد أبو حاتم

لهِنَّ الذي كلفتني ليسيرُ

---

[٤٧] معاني القرآن للفراء ١/٤٦٥ ـ ٤٦٦.

[٤٨] ينظر الخلاف النحوي ١٨١.

. . . أبو حاتم : لَهِنّك : يريد : لله إنّك ، فحذف ثم حذف)) [٤٩].

وعلى هذا فلا وجه للترجيح أيضًا.

*　　　*　　　*

وقد لاحظت أن هناك سببًا آخر لوقوع السيرافي في الخطأ عند ترجيحه رأيًا على آخر وهو الاقتطاع من النص ، ونلحظ هذا جليًا في مسألة (اسم "لا" النافية للجنس إذا كان مفردا أمعرب هو أم مبني ؟) فقد عرض السيرافي رأي من ذهب إلى إعرابه ورأي من ذهب إلى بنائه ، ورجح الرأي الذاهب إلى إعرابه وعزاه إلى سيبويه ، في حين عزا الرأي الآخر إلى المبرد[٥٠]. جاء في (ارتشاف الضرب) : ((وذهب الكوفيون والجرمي والزجاج والسيرافي والرماني إلى أنها فتحة إعراب ، ونسب ذلك إلى سيبويه)) [٥١]. وجاء في (التذييل والتكميل) : ((وذهب أكثر البصريين الأخفش والمازني والمبرد والفارسي إلى أنها حركة بناء)) [٥٢].

لكن إذا عدنا إلى كتاب سيبويه وكتاب (المقتضب) للمبرد وجدناهما لا يختلفان في القول ببنائه. جاء في (كتاب سيبويه) : ((هذا باب النفي بـ(لا) ، و (لا) تعمل فيما بعدها فتنصبه بغير تنوين ، نصبها لما بعدها كنصب (إنّ) لما بعدها ، وترك التنوين لما تعمل فيه لازم ، لأنها جعلت وما

---

(٤٩) النوادر في اللغة . أبو زيد الأنصاري . صفحة ٢٠١ . ٢٠٢.

(٥٠) ينظر شرح الكتاب ٣/١٥ . ١٦.

(٥١) ارتشاف الضرب . أبو حيان الأندلسي ٣/١٢٩٦.

(٥٢) التذييل والتكميل . أبو حيان الأندلسي ٥/٢٢٦.

عملت فيه بمنزلة اسم واحد نحو (خمسةَ عشرَ))) [٥٣]. وجاء في (المقتضب) : ((فأما ترك التنوين فإنما هو لأنها جعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد كخمسةَ عشرَ)) [٥٤].

لكننا نجد السيرافي . كما ذكرنا . يزعم أن المبرد يذهب إلى بنائه مخالفًا في ذلك سيبويه الذاهب إلى إعرابه . قال في (شرح كتاب سيبويه) : ((واختلف أصحابنا في فتحة الاسم المبني مع "لا" ، فقال أبو العباس محمد بن يزيد : إنها بناء ، وقال أبو إسحاق الزجاج : إنها إعراب . . . قال أبو سعيد : قد سقت كلام هذين . والذي عندي أن الفتحة في الاسم بعد "لا" إعراب ، وهو مذهب سيبويه ؛ لأنه قال : فتنصبه بغير تنوين ، ونصبها لما بعدها كنصب "إن" لما بعدها ، وترك التنوين لما تعمل فيه لازم)) [٥٥].

وسبب خطأ السيرافي في العزو واضح وهو أنه اقتطع علة البناء من نص سيبويه وهي قوله : ((لأنها جعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد نحو "خمسةَ عشرَ")) ، وهذه العلة هي التي تفيدنا بأن اسم "لا" النافية إذا كان مفردًا كان مبنيًّا .

ولذا نجد ابن مالك يبدي تعجبه من الزجاج والسيرافي لزعمهما ((أن ما ذهبا إليه من أن فتحة (لا رجلَ) وشبهه فتحة إعراب هو مذهب سيبويه استنادًا إلى قوله في الباب الأول من أبواب "لا" : (و"لا" تعمل فيما بعدها فتنصبه بغير تنوين) وغفلا عن قوله في الباب الثاني: (واعلم أن

---

[٥٣] الكتاب ٣٤٥/١.

[٥٤] المقتضب ٣٥٧/٤.

[٥٥] شرح الكتاب ١٥/٣ ، ١٦

المنفي الواحد إذا لم يلِ (لك) فإنما يُذهَب منه التنوين كما أُذهِب من "خمسة عشر"))) [٥٦].

ترجيح قول شاذ :

من صور الترجيح عند السيرافي أنه قد يرجح رأيا يراه كثير من النحاة بأنه شاذ لا يقاس عليه ، مثال ذلك ما روي عن الخليل من أن (إيا) اسم مضاف لما بعده ، وأن ما بعده في موضع جر بالإضافة ، مستدلا على ذلك بأنه سمع أعرابيًا يقول : (إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيّا الشوابّ) ، إذ وقع الاسم الظاهر (الشوابّ) محل اللواحق ، وهو مجرور بالإضافة ، وقياسًا على ذلك فإن هذه اللواحق في محل جر بإضافة (إيا) إليها[٥٧].

وذهب أكثر النحاة إلى عدم جواز ذلك ؛ لأن (إيا) ضمير ، والضمائر لا تضاف ، وأما اللواحق فهي أحرف لا موضع لها مثل الكاف في (ذاك) ، وقالوا : إن ما حكاه الخليل شاذّ لا يقاس عليه[٥٨].

ورجح السيرافي رأي الخليل فقال: ((والصحيح من الأقاويل المقولة في (إياك) أنها مضافة إلى ما بعدها ، وأنا ما بعدها مخفوض بالإضافة)) [٥٩].

وسبب إنكار النحاة رأي الخليل انهم فهموا أن الخليل يرى أن (إيا) ضمير أضيف إلى اللواحق . جاء في (ارتشاف الضرب) : ((وذهب الخليل

---

[٥٦] شرح التسهيل لابن مالك ٥٨/٢ ، وينظر الكتاب ٣٤٥/١ ، ٣٤٩.

[٥٧] ينظر الكتاب ١٤١/١.

[٥٨] ينظر شرح الكتاب ١٧٧/٢.

[٥٩] شرح الكتاب ١١٩/٢.

والأخفش والمازني فيما نقل ابن مالك واختاره إلى أن (إيا) ضمير وأن اللواحق ضمائر أضيفت (إيا) إليها)) [٦٠].

والذي يظهر أن الخليل يرى أن (إيا) اسم ظاهر يضاف إلى ما بعده من الأسماء الظاهرة والمضمرة ، وهذا سبب ترجيح السيرافي رأيه ، يقول السيرافي: ((و(إيا) هو اسم ظاهر ، واتصال الأسماء بالأسماء يوجب للثاني منهما الخفض)) [٦١]. ويقول أيضًا: ((إن منزلة (إيا) منزلة اسم ظاهر مضاف إلى ما بعده)) [٦٢].

ويقول أبو حيان: ((وذهب الخليل فيما ذكر ابن عصفور إلى أن (إيا) اسم ظاهر ، واللواحق ضمائر أضيف إليها (إيا) ، فهن في موضع خفض بالإضافة)) [٦٣].

وعلى هذا فلا وجه لاعتراض النحاة ، إذ لم يذهب الخليل إلى أن (إيا) ضمير مضاف إلى ما بعده .

أسس الترجيحات عند السيرافي :

لم يكن السيرافي - في الأغلب - يرجح من دون دليل ، بل كانت ترجيحاته مصحوبة إما بدليل نقلي كالسماع ، أو دليل عقلي كالقياس والمعنى وغيرهما. وسنعرض أهم الأسس التي اعتمدها في ترجيحاته :

---

[٦٠] ارتشاف الضرب ٢/٩٣٠ ، وينظر شرح التسهيل ١/١٤٥ ، ١٤٦.

[٦١] شرح الكتاب ٢/١٧٧.

[٦٢] شرح الكتاب ٣/١١٩.

[٦٣] ارتشاف الضرب ٢/٩٣٠ ، ٩٣١.

أولا : السماع :

هناك مسائل نحوية خلافية مبثوثة في شرح كتاب سيبويه كان ترجيح السيرافي فيها قائما على أساس سماع لغة العرب شعرا أو نثرا . من أمثلة ذلك ما رواه السيرافي عن سيبويه من أن بعض العرب يحذف علامة تأنيث الفعل مع المؤنث الحقيقي فيقول : (قال فلانة) على قلة[٦٤].

ثم روى عن المبرد أنه أنكر ذلك أشد الإنكار ، بحجة أنه لم يوجد ذلك في القرآن ولا في كلام فصيح ولا شعر[٦٥].

وبعد ذكره المذهبين رجح رأي سيبويه ، إذ إن سيبويه حكى هذه اللغة عن العرب ، وهو غير متهم في روايته[٦٦].

واحتج لسيبويه بقوله : ((ليس كل لغة توجد في كتاب الله عز وجل ، ولا كل ما يجوز في العربية يأتي به القرآن أو الشعر))[٦٧].

إن سيبويه لم يذكر ما ذكر بناءً على قياس قاسه فيردّ عليه ، ((وإنما ذكر أن بعض العرب قال ذلك ، فإن كانت التخطئة لمن قال ذلك من العرب فهذا يجعل كلامه أصلا وكلام العرب فرعًا ، فاستجاز أن يخطّئها إذا تكلمت بفرع يخالف أصله))[٦٨].

---

(٦٤) ينظر شرح الكتاب ٣٦٩/٢ ، والكتاب ٢٣٥/١.

(٦٥) ينظر شرح الكتاب ٣٦٩/٢ ، والمقتضب ١٤٨/٢.

(٦٦) ينظر شرح الكتاب ٣٦٩/٢.

(٦٧) شرح الكتاب ٣٦٩/٢.

(٦٨) الانتصار . ابن ولاد . صفحة ١٢٤.

وذكر المبرد أن قول جرير :

لقد ولد الأُخيطل أمُّ سوء

إنما هو ضرورة شعرية[٦٩].

وأقول: لا وجه لجعل بيت جرير ضرورة شعرية ، إذ قد ورد في القرآن الكريم ما يبطل القول بالضرورة وهو قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ ﴾ [الممتحنة: ١].

واحتج السيرافي لسيبويه أيضًا بأن ((لأبي العباس مذاهب يجوّز فيها ما لم يوجد في القرآن ولا في غيره، من ذلك إجازته (إنْ زيدٌ قائمًا) قياسًا على (ما زيدٌ قائمًا)))[٧٠].

ولا أرى وجهًا لهذا الاحتجاج ، إذ كيف يقول: (لم يوجد في القرآن ولا في غيره) علمًا بأنها سُمعتْ من أهل العالية ، كقول بعضهم : (إنْ أحدٌ خيرا من أحدٍ إلا بالعافية) وقول الشاعر:

إنْ هو مستوليا على أحد إلا على أضعف المجانين

وقول الآخر:

إنِ المرءُ ميتا بانقضاء حياته ولكنْ بأن يُبغى عليه فيُخذلا [٧١]

* * *

[٦٩] المقتضب ١٤٨/٢.

[٧٠] شرح الكتاب ٣٦٩/٢.

[٧١] ينظر شرح ابن عقيل ٢٧٢/١ ، وشرح التصريح . خالد الأزهري ٢٠١/١ ، والعالية : هي ما فوق نجد إلى تهامة وإلى ما وراء مكة وما والاها (شرح التصريح ٢٠١/١)

ومن أمثلة ذلك أيضا مسألة (الترخيم في غير النداء لضرورة الشعر) أيرخم على لغة من ينتظر أم من لا ينتظر؟ كقولهم في (حنظلة): (هذا حنظلَ قد جاء) ، وفي (هِرْقْل) : (هذا هِرَقْ قد جاء) و (مررت بهرقْ وحنظل) بحذف آخره وإبقاء ما قبل المحذوف على حاله ، إذ كان سيبويه وغيره من المتقدمين من البصريين والكوفيين يجيزونه ، وأنشدوا في ذلك أبياتا منها :

ألا أضحت حبالكمُ رماما وأضحت منك شاسعة أماما

أراد: أمامة ، فحذف الهاء وأبقى الميم على فتحتها وهي غير منادة .

وأنشدوا أيضًا لابن أحمر:

أبو حنش يؤرقني وعبّادٌ وآونةً أُثالا

إذ الأصل: أثالة ، فحذف الهاء منها وأبقى اللام على فتحتها ، وهي غير منادة كذلك[٧٢].

أما المبرد فقد أنكر هذا ولم يجزه في الشعر ، فذكر أن الرواية في البيت الأول:

ولا عهد كعهدك يا أماما

وزعم أن (أثالا) في بيت ابن أحمر معطوف على الياء في (يؤرقني) فموضعه نصب لذلك[٧٣].

---

[٧٢] ينظر الكتاب ٣٤٣/١ ، وشرح الكتاب ٢٠٨/١.

[٧٣] ينظر شرح الكتاب ٢٠٩/١ ، وشرح التسهيل ٢٣٠/٣.

وقد رجح السيرافي رأي سيبويه ، وذهب ابن مالك مذهبه في الترجيح ، إذ إن رواية سيبويه متفق على صحتها فلا يلتفت إلى تخطئة المبرد لها[٧٤].

ثانيا : القياس :

القياس هو ((تقدير الفرع بحكم الأصل . وقيل : هو حمل فرع على أصل بعلّة ، وإجراء حكم الأصل على الفرع. وقيل: هو إلحاق الفرع بالأصل بجامع . وقيل : هو اعتبار الشيء بالشيء بجامع)) [٧٥].

وتعرّفه الدكتورة خديجة الحديثي تعريفا جامعا فتقول: القياس ((حمل مجهول على معلوم ، وحمل غير المنقول على ما نقل ، وحمل ما لم يُسمع على ما سُمع في حكم من الأحكام وبعلّة جامعة بينهما)) [٧٦].

وهناك مسائل نحوية خلافية أثارها السيرافي في شرحه كان ترجيحه فيها قائمًا على أساس القياس ، منها مسألة حذف الضمة والكسرة في الإعراب نحو ما ذكره من قولهم : (قام الرجلْ إليك) و (ذهبت جاريتْك) و (أنا أذهبْ إليه) ، فقد زعم السيرافي أن سيبويه أجاز ذلك وأنه أنشد فيه أبياتًا منها قول امرئ القيس:

فاليوم أشربْ غير مستحقب　　　إثمًا من الله ولا واغل

إذ سكّن باء الفعل (أشرب) ، والوجه أن يقول: (أشربُ) بالرفع[٧٧].

---

[٧٤] ينظر شرح الكتاب ٢٠٩/١ ، وشرح التسهيل ٤٣٠/٣.

[٧٥] لمع الأدلة . أبو البركات بن الأنباري . صفحة ٩٣.

[٧٦] الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه . الدكتورة خديجة الحديثي . صفحة ٢٢١.

[٧٧] ينظر الكتاب ٢٩٧/٢ ، شرح الكتاب ٢٢١/١.

وقول أبي نخيلة :

إذا اعوججْنَ قلتُ صاحب قَوِّم　　　بالدوّ أمثال السفين العُوَّم

والوجه (صاحبُ) أو (صاحبِ) وسكّن للضرورة[٧٨].

وقول الآخر:

رحت وفي رجليك ما فيهما　　　وقد بدا هنْك من المئزر

إذ قال (هنْك) بتسكين النون ، والوجه الرفع[٧٩].

وذكر السيرافي أن المبرد والزجاج أنكرا رأي سيبويه وذهبا إلى عدم جواز ذلك لا في الشعر ولا في غيره . فأما بيت امرئ القيس فقد أنشداه :

فاليوم أُسقى غير مستحقب

وأما بيت أبي نخيلة فأنشداه :

إذا اعوججْنَ قلت صاح قوّمِ

وأنشدا:

وقد بدا ذاك من المئزر

بدلا من

وقد بدا هنْك من المئزر[٨٠]

ورجح السيرافي رأي سيبويه في جواز تسكين حركة الإعراب للضرورة الشعرية معتمدا في ذلك على القياس ، إذ قاس ذلك على جواز إدغام الحركة الإعرابية في قوله تعالى: ﴿ مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ ﴾ [يوسف : ١١]

---

[٧٨] ينظر الكتاب ٢/٢٩٧ ، وشرح الكتاب ١/٢٢١.

[٧٩] ينظر الكتاب ٢/٢٩٧ ، وشرح الكتاب ١/٢٢١.

[٨٠] ينظر الكتاب ٢/٢٩٧ ، وشرح الكتاب ١/٢٢١.

والأصل: تأمننا ، فحذفت الضمة التي هي علامة الرفع وأدغمت في النون التي تليها فرسمت نونا واحدة مشددة ، ((فلما كانت حركة الإعراب يجوز ذهابها للإدغام طلبا للتخفيف ، صار أيضا ذهاب الضمة والكسرة طلبا للتخفيف)) [٨١].

والذي يبدو أن السيرافي توسع في القياس ، إذ قاس ما لم يكن فيه إدغام على ما كان مدغما.

ثم إن سيبويه لم يجز ذلك على إطلاقه كما زعم السيرافي ، وإنما أجازه في الشعر وحده فقال: ((وقد يجوز أن يسكّنوا الحرف المرفوع والمجرور في الشعر)) [٨٢].

إننا نفهم من هذا النص أنه أجازه في الشعر فقط ، وهذا يعني أنه لا يجوز في النثر .

* * *

ومن المسائل التي كان ترجيح السيرافي فيها قائمًا على أساس القياس مسألة (المنادى المفرد المعرفة) ، إذ ذهب المبرد إلى أن المعارف المفردة إذا نوديت نكّرت ، ثم تنادى فتكون معرفة بالنداء ، أي أن التعريف الذي كان قبل النداء يبطل ويحدث فيه تعريف آخر بالنداء[٨٣].

في حين أنكر عليه ابن السراج ذلك ورأى أن التعريف باق فيه ، جاء في كتابه (الأصول في النحو): ((فأما (يا زيد) فـ(زيد) وما أشبهه من

---

[٨١] شرح الكتاب ٢٢١/١.

[٨٢] الكتاب ٢٩٧/٢.

[٨٣] ينظر المقتضب ٢٠٥/٤ ، وشرح الكتاب ٨٤/١.

المعارف معارف قبل النداء ، وهي في النداء معرفة كما كان ، ولو كان تعريفه بالنداء لقدّر تنكيره قبل تعريفه)) [٨٤].

ورجح السيرافي رأي المبرد ، إذ قاس هذا الرأي على العلم عند إضافته ، فمن المعلوم أن العلم يجوز إضافته نحو (زيدنا) و (زيدكم) ، فإذا أضيف نزع عنه التعريف الذي كان فيه قبل الإضافة ونكّر ، ثم يعرّف بالنداء[٨٥].

وقد رجّح عدد من النحاة رأي المبرد أيضًا كابن الوراق وابن يعيش[٨٦].

والذي يبدو لنا أن العلم المفرد إذا نودي بقي معرَّفا ولا ينكّر كما زعم المبرد ، ولا مانع من أن يجتمع تعريفان: تعريف العلمية وتعريف النداء.

ولا يقاس هذا على العلم عند إضافته، إذ لا يضاف العلم إلا إذا تعدد، فإننا لا نقول: (زيدنا) و (زيدكم) إلا إذا كان هناك أكثر من زيد، والتعدد يقربه من التنكير، ولذا كان هناك مسوغ لتعريفه بالإضافة، وأما المنادى فكيف يفهم منه التنكير لكي يعرّف بالنداء؟

ثم إننا إذا سلمنا بصحة رأي المبرد فكيف يكون حال المنادى في قولنا: (يا هذا) و (يا مَن أقبل إلينا) قبل النداء؟ هل نقول: إن اسم الإشارة (هذا) والاسم الموصول (مَن) صارا نكرتين ثم تعرّفا بالنداء؟ وهل هناك وجه لتنكيرهما أصلا ؟

---

[٨٤] الأصول في النحو ١/٤٠١.

[٨٥] ينظر شرح الكتاب ١/٨٥.

[٨٦] ينظر العلل في النحو . أبو الحسن الوراق ١/١٩٨ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١/١٢٨.

وإذا قلنا: (يا الله) فكيف حال لفظ الجلالة قبل ندائه ؟ أنقول: إنه تعرّف بالنداء أم كان معرّفًا قبل النداء ؟[87].

وعلى هذا يبدو لنا أن رأي ابن السراج هو الصواب، وأن ((تعريف العلمية مستدام كاستدامة تعريف الضمير واسم الإشارة والموصول في: يا إياك، ويا هذا، ويا من حضر))[88].

* * *

ومن ذلك أيضا مسألة ألف الاثنين وواو الجماعة في قولنا: (الزيدان قاما) و (الزيدون قاموا) أهما اسمان أم حرفان ؟ فذهب سيبويه إلى أنهما اسمان ضميران، وذهب المازني إلى أنهما حرفان وليسا ضميرين، فألف الاثنين في (قاما) وواو الجماعة في (قاموا) حرفان يدلان على العدد، فالألف علامة للتثنية والواو علامة للجمع المذكر، وأما الفاعل فهو ضمير مستتر في الفعل كما كان كذلك في الواحد من نحو (زيد قام)، إلا أن الفعل مع الواحد لا يحتاج إلى علامة، وأما إذا كان لاثنين أو جماعة افتقر إلى علامة[89].

ورجح السيرافي رأي سيبويه، وقد كان دليله في ترجيحه القياس، إذ يقول: إنه لا خلاف بين النحاة أن التاء في (قمتُ) ونحوه هي اسم المتكلم وضميره، وأن اسم المتكلم وضميره قد يكون مستترًا كقولك: (أقوم)

---

[87] ينظر شرح الرضي لكافية ابن الحاجب . القسم الاول . المجلد الأول . صفحة ٤٤٤.
[88] شرح التسهيل ٣/٣٩٢.
[89] ينظر شرح الكتاب ١/١٤٣.

و(تذهب) ، فإذا جاز أن يكون هذان النمطان موجودين في كلام العرب جاز أن يكون ذلك في الغائب أيضًا نحو (قاما) و (ذهبوا) [٩٠].

والجدير بالذكر أنه تبنى بعض المحدثين رأي المازني فذهبوا إلى حرفيتهما ، ومن هؤلاء الدكتور عبد الرحمن أيوب والدكتور أحمد عبد الستار الجواري . يقول الدكتور عبد الرحمن : ((يعرّف النحاة الضمير بأنه اسم يدل على متكلم أو مخاطب أو غائب)) [٩١].

ثم يقول : ((لا يشمل التعريف ألف التثنية ولا واو الجماعة ولا نون النسوة لأنها لا تدل على المخاطب والغائب، بل تدل الأولى والثانية على العدد فحسب، بينما تدل الثالثة على التأنيث فحسب.

ومن المعلوم أن الألف والواو تلحق الصيغ الاسمية كما تلحق الصيغ الفعلية، وقد اعتبرهما في حالة التحاقهما بالصيغ الفعلية من الأسماء مع عدم الفرق في دلالة كل منهما في كلتا الحالتين.

وأكثر من ذلك يعتبر النحاة ألف الاثنين في (ضربتما) حرفًا، بينما يعتبرون هذه الألف في (اكتبا) ضميرًا، أي اسمًا)) [٩٢].

ويقول الدكتور أحمد الجواري: ((وتلحق آخره حروف تدل على المسند إليه كتاء التأنيث الساكنة وألف الاثنين وواو الجماعة. . . مثال ذلك: كتبَ كتبا كتبوا)) [٩٣].

---

[٩٠] ينظر شرح الكتاب ١/١٥٠.

[٩١] دراسات نقدية في النحو العربي ـ الدكتور عبد الرحمن أيوب ٦٣.

[٩٢] دراسات نقدية ٧٠ – ٧١.

[٩٣] نحو التيسير الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ١٠٥ – ١٠٦.

ويقول أيضا: ((أما ألف الاثنين وواو الجماعة وياء المخاطبة ونون النسوة فالأولى أن تعد علامات على ذلك)) [٩٤].

والصواب أنها أسماء، إذ إن الكلام يتم بوجود هذه الزيادات، حيث تكوّن مع الفعل جملا تامة المعنى فنقول: ذهبا، وذهبوا، ولو كانت هذه الزيادات حروفا لا أسماء لكانت هذه الجمل ليست تامة المعنى، لأن الكلام لا يتم بالفعل وحده ، بل لا بد له من فاعل[٩٥].

ويرد على هذا الرأي أيضا بالاستثناء كما في قوله سبحانه: ﴿ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلا مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] إذ إن هذا الاستثناء تام ، والمستثنى منه مذكور في الكلام وهو واو الجماعة ، ولو كانت واو الجماعة حرفا ما صح النصب على الاستثناء[٩٦].

ولعل الذي حمل المازني ومن ذهب مذهبه على القول بحرفية ألف الاثنين وواو الجماعة ميلهم إلى التيسير ، فلم يحملوا الكلام على ما ذهب إليه الجمهور ، بل اكتفوا بالقول بأن هذه علامات والفاعل مستكن في الفعل، دون أن ينظروا إلى ما يترتب على أقوالهم من آثار .

ثالثا : المعنى :

تمر بنا في (شرح كتاب سيبويه) مسائل خلافية ترجيح السيرافي فيها قائم على أساس المعنى، أما غيره من النحاة فقد يكون ترجيحه فيها قائما

---

[٩٤] نحو المعاني . الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ١٥٢.

[٩٥] ينظر تحقيقات نحوية . الدكتور فاضل صالح السامرائي ٣٦.

[٩٦] ينظر تحقيقات نحوية ٣٧.

على أسس أخرى كالأحكام النحوية أو السماع أو غير ذلك. ومن أمثلة ذلك خلافهم في (لن) أمفردة هي أم مركبة ؟ إذ ذهب الخليل إلى أنها مركبة ، وأن أصلها (لا أنْ) فحذفت الألف من (لا) والهمزة من (أنْ) وجعلا حرفا واحدا.

وقد قاسها على (ويلُمه) إذ رأى أن أصلها (وَي لأمه) فجعلا اسما واحدًا، كما قاسها على (هلاّ) التحضيضية ، إذ قال : إن أصلها (هل ولا) فجعلا حرفا واحدا[97].

((وأما غيره فزعم أن ليس في (لن) زيادة ، وليست من كلمتين ، ولكنها بمنزلة شيء على حرفين ليست فيه زيادة ، وأنها في حروف النصب بمنزلة (لم) في حروف الجزم في أنه ليس واحد من الحرفين زائدا)) [98].

وقد استدل السيرافي على بطلان رأي الخليل بدليل معنوي وهو ((أنا إذا قلنا : (لن أضربَ زيدا) كان كلاما تامًا لا يحتاج إلى إضمار شيء، وإذا قلنا: (لا أنْ أضربَ زيدا) لم يتم به الكلام، لأن (أنْ) وما بعده من الفعل والمفعول بمنزلة اسم واحد ، والاسم الواحد إذا وقع بعد (لا) احتاج معه إلى خبر ، فليس لفظ (أنْ) وفقًا للفظ (لا أنْ) ولا معناها وفقًا لمعناها ، فما الذي أوجب أنها هي؟))[99].

وتوضيح ذلك أننا إذا قلنا: إن أصل (لن أضرب زيدا): لا أنْ أضرب زيدا، أوّل (أنْ) وما في صلتها باسم مرفوع على الابتداء وهو الضرب فيكون

---

(97) ينظر الكتاب ١/٤٠٧.

(98) الكتاب ١/٤٠٧.

(99) شرح الكتاب ٣/١٩٢ - ١٩٢.

التقدير : لا ضربُ زيدٍ، فيكون (ضرب) مبتدأ لا خبر له، أي تكون الجملة ناقصة المعنى، لكن الواقع أننا إذا قلنا: (لن أضربَ زيدا) كان كلاما تاما، أي لا يحتاج إلى ما يتمم معناه .

وحجة سيبويه والجمهور في عدم تركيبها أنه لو كان معنى (لن) : لا أنْ ، ما جاز أن تقول : (زيدا لن أضرب) كما لا يجوز أن تقول: (زيدا لا أن أضربَ) لأن ما في صلة (أن) لا يعمل فيما قبله ، والواقع أنه لا يمنع أحد من نصب (زيد) وتقديمه على (لن) [100].

لكننا رأينا من يحتج للخليل ويقول: وجدنا الحروف إذا ركبت خرجت عما كانت عليه، مثال ذلك (هل) أصلها الاستفهام ولا يعمل ما بعدها فيما قبلها ، فلا تقول : (زيدا هل ضربت ؟) فإذا زيد عليها (لا) وصارت (هلاّ) بمعنى التحضيض جاز أن يعمل ما بعدها فيما قبلها فتقول : (زيدا هلاّ ضربت) ، فإذا كان تركيب الحروف يخرجها عن حكم ما كانت عليه قبل التركيب لم يلزم الخليل في (لا أنْ) ما ذكرناه[101].

وأقول : إن القول بأن الحروف إذا ركبت خرجت عما كانت عليه هو قول البصريين والكوفيين، إذ يقول الكوفيون: ((إن الأصل في (لكنّ): (إنّ) زيدت عليها (لا) والكاف فصارتا حرفا واحدًا)) [102]. وقال البصريون:

---

(100) ينظر الكتاب ١/٤٠٧ ، والمقتضب ٢/٨ ، والأصول في النحو ٢/١٤٢.

(101) ينظر العلل في النحو . الوراق ٧٣ . ٧٤

(102) الإنصاف ١٧٤ (مسألة: ٢٦)

((و(لكنّ) أصلها (أنّ) ركبت معها (لا) ، كما ركبت (لو) مع (لا) فقيل : لكنّ ، و(كأنّ) أصلها (أنّ) أدخلت عليها كاف التشبيه)) [١٠٣].

فما الذي يمنع من أن تكون (لن) من هذا الصنف فيتغير حكمها عما كانت عليه قبل التركيب ؟

* * *

ومن أمثلة الترجيح على أساس المعنى أيضا ما ذكره السيرافي من مسألة (سد المصدر المؤول مسد مفعولي ظن) ، فمن المعلوم أن (ظن) وأخواتها تنصب مفعولين أصلهما مبتدأ وخبر نحو (ظننت خالدًا مسافرا) ، فإذا قلنا: (ظننت أن خالدا مسافر) لاحظنا مصدرا مؤولا من (أنّ) واسمها وخبرها بدلا من المفعولين، ومن هنا جاء خلاف النحاة في المسألة ، إذ ذهب سيبويه وغيره من النحاة إلى أن المصدر المؤول سدّ مسدّ المفعولين ، جاء في (الكتاب) : ((فأما (ظننت أنه مطلق) فاستغني بخبر (أنّ) ، تقول : (أظنّ أنه فاعل كذا وكذا) فتفسّر، وإنما يقتصر على هذا إذا علم أنه مستغنٍ بخبر (أنّ))) [١٠٤].

ومعنى هذا ((أنه لا حذف فيه، وأنه لما جرى ذكر المسند والمسند إليه اكتفي به واستغني عن الحذف)) [١٠٥] ، لأنه لو قلت : (حسبت أنك منطلق) وأوّلت المصدر فقلت : (حسبت انطلاقك) لاحتجت إلى مفعول ثان. جاء في (المقتضب) : ((فإذا قلت : (ظننت أن زيدا منطلق) لم تحتج إلى

---

[١٠٣] الإنصاف ١٨٢ (مسألة: ٢٧).

[١٠٤] الكتاب ١/٦٤.

[١٠٥] التذييل والتكميل ٦/١١٦.

مفعول ثان ، لأنك قد أتيت بذكر (زيد) في الصلة، لأن المعنى : (ظننت انطلاقًا من زيد) فلذلك استغنيت)) (١٠٦).

وذهب بعض البصريين إلى تقدير مفعول ثان حفاظا على صناعتهم النحوية ، فإذا قلت مثلا : (ظننت أن سعيدا مسافرٌ) فتقديره عندهم : ظننت سفرَ سعيد واقعًا أو حاصلا أو حاضرا أو ما أشبه ذلك. جاء في (شرح المفصل) لابن يعيش : ((والأخفش يقول: إن (أنّ) وما بعدها في موضع المفعول الأول ، والمفعول الثاني محذوف، فإذا قلت: (ظننت أنك قائم) فالتقدير : ظننت قيامك كائنا أو حاضرا)) (١٠٧).

ورجح السيرافي رأي سيبويه وقال رادًا على من أضمر مفعولا ثانيا : ((والقول ما قاله سيبويه ، لأن هذا المضمر لا يجوز إظهاره . . . ولأنا إذا قلنا : (حسبت زيدا منطلقا) و (حسبت أن زيدًا منطلق) كان الأمر فيهما واحدا من جهة المعنى)) (١٠٨).

وهناك ردود أخرى تضاف إلى ما ذكره السيرافي منها :

١ ـ أن الفساد يظهر عند إظهار المحذوف مع المصدر المؤول ، فلو قلنا مثلا : (ظننت أن سعيدًا حاضر) وأظهرنا المحذوف مع المصدر المؤول

---

(١٠٦) المقتضب ٢/٣٤١.

(١٠٧) شرح المفصل . ابن يعيش ٨/٦٠ ـ ٦١، ونسب بعض النحاة القول بالتقدير إلى المبرد أيضًا [ينظر التذييل والتكميل ٦/١١٦، والهمع ٢/٢٢٣ ـ ٢٢٤] ولكن رأينا أن المبرد يذهب إلى ما ذهب إليه سيبويه من القول بالاستغناء.

(١٠٨) شرح الكتاب ١/٤٦٤.

فقلنا : (ظننت أن سعيدا حاضر حاصل) لكان التعبير واضح الفساد [١٠٩].

٢ ـ أنه لا دليل على هذا المقدر، إذ لم تظهره العرب في يوم من الأيام .

٣ ـ ((أن تقدير المفعول المحذوف يقتضي إحالة على قيام معهود ، و (زيد قائم) ليس بينك وبين مخاطبك عهد في القيام، فإذا تقرر هذا علمت أن (ظننت أن زيدًا قائم) معناه عندهم على القطع : ظننت زيدًا قائما ، فهذا القيام المظنون غير معهود، والذي يقدّر : مستقرًا أو ثابتا إنما يكون هذا القيام معهودا عنده، وذلك تحريف لمقصود اللفظ وهو أن القيام غير معهود)) [١١٠].

* * *

ومن أمثلته كذلك مسألة (وقوع المصدر حالا) ، إذ ذهب سيبويه والجمهور إلى أن المصدر يقع حالا ، وقد استعملت العرب ذلك كثيرا نحو قولك: (أقبل علي ركضا) أي راكضا ، و (جئته مشيًا) أي ماشيا [١١١].

وعند المبرد هو مقيس فيما كانت الحال فيه نوعًا من عاملها، فلو قلت: (أقبل ركضا) جاز؛ لأن الركض نوع من الإقبال ، ولو قلت : (جاء بكاءً وضحكا) لم يجز ؛ لأن البكاء والضحك ليسا نوعًا من المجيء ، يقول المبرد : ((ولو قلت: (جئته إعطاءً) لم يجز، لأن الإعطاء ليس من

---

[١٠٩] ينظر معاني النحو . الدكتور فاضل صالح السامرائي ١/٢٨١.

[١١٠] التذييل والتكميل ٦/١١٦ . ١١٧.

[١١١] ينظر الكتاب ١/١٨٦، وشرح المفصل ٢/٥٩.

المجيء، ولكن (جئته سعيا) فهذا جيد لأن المجيء يكون سعيا، قال الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ [البقرة : ٢٦٠])) [١١٢].

والملاحظ أن المبرد يذهب إلى أن المعنى في (جئته مشيا) هو (جئته ماشيا) أي حال ، لكن التقدير : أمشي مشيا، ويجعل جملة (أمشي مشيا) في محل نصب حال ، جاء في (المقتضب) : ((هذا باب ما يكون من المصادر حالا لموافقته الحال وذلك قولك : (جاء زيد مشيا) إنما معناه : ماشيا، لأن التقدير: جاء زيد يمشي مشيا)) [١١٣].

نلاحظ أن المبرد لا يربط بين الإعراب والمعنى، فهو يرى أن معنى (جاء مشيا) هو (ماشيا) ، إذ إنه حواب لقولنا: (كيف جاء زيد؟) لكن تقديره يفهم منه أن (مشيا) مفعول مطلق لفعل محذوف، علما بأن الإعراب فرع المعنى كما هو معروف ، ونرى هذا جليّا فيما يحتمل أكثر من إعراب ، وإعرابه يختلف باختلاف المعنى ((وذلك نحو قولك: (جئت طمعًا في رضاك) فإن قدرته (طامعا) كان حالا، وإن قدرته (أطمع طمعا) كان مفعولا مطلقا)) [١١٤].

ولذا نجد السيرافي يرجح رأي سيبويه ومن ذهب مذهبه ويقول: ((هو الصواب . لأن قول القائل : (أتانا زيد مشيا) يصح أن يكون جوابا لقائل

---

(١١٢) المقتضب ٣/٢٣٤.

(١١٣) المقتضب ٤/٣١٢.

(١١٤) معاني النحو ٢/١٩٥.

قال: كيف أتاكم زيد؟ وكذلك: كيف لقيت زيدا ؟ فتقول: فجاءةً ، إنما تقع للحال، فكأنه قال : مفاجئا)) [١١٥].

* * *

ومن صور الترجيح على أساس المعنى ترجيح تقدير على آخر إذا رآه صحيحًا، ومن أمثلته مسألة (الإخبار بالمصدر عن اسم الذات)، إذ من المعلوم أن المصدر هو الحدث المجرد فلا يخبر به عن اسم الذات، فلا يصح أن نقول: (محمد أكلٌ) و (زيد سيرٌ) و (خالد نومٌ) ، ولكن ورد في اللغة إخبار من هذا القبيل ، من ذلك قول الخنساء تصف ناقتها:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار

فأخبرت عن الناقة بقولها: (هي إقبال وإدبار) والإقبال والإدبار لا يكونان خبرًا عن الناقة ، وإنما هي مقبلة ومدبرة[١١٦].

وقد نسب السيرافي إلى سيبويه أنه ذهب إلى أن هذا من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وجعله أحد وجهي تقدير النحاة ، جاء في شرحه الكتاب: (((قال سيبويه : وإن شئت رفعت هذا كله فجعلت الآخر هو الأول ، فجاز على سعة الكلام كقول الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبارُ

على معنى : فإنما هي صاحبة إقبال وإدبار، فجعل إقبال وإدبار في موضع مقبلة ومدبرة على سعة الكلام كقولك : نهارك صائم وليلك قائم))) [١١٧].

---

[١١٥] شرح الكتاب ٢/٢٥٨.

[١١٦] ينظر معاني النحو ١/١٧٩.

[١١٧] شرح الكتاب ٢/٢٢٧.

وقد جعل هذا . كما ذكرت . أحد وجهي التقدير فقال : ((والنحويون يقدّرون مثل هذا على تقديرين : أحدهما : أن يقدّروا مضافًا إلى المصدر وهو الاسم الأول، ويحذفون كما يحذفون في ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] كأنه قال: صاحبة إقبال وصاحبة إدبار ، وصاحب نهارك قائم وصاحب ليلك قائم فيحذفون المضاف))[١١٨].

ولكن إذا عدنا إلى كتاب سيبويه وجدنا فيه النص على النحو الآتي: ((وإن شئت رفعت هذا كله فجعلت الآخر هو الأول فجاز على سعة الكلام ، من ذلك قول الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادّكرت فإنما هي إقبال وإدبار

فجعلها الإقبال والإدبار فجاز على سعة الكلام كقولك : نهارك صائم وليلك قائم))[١١٩].

إن ما نسبه السيرافي إلى سيبويه بعد ذكره بيت الخنساء يختلف عما ورد ذكره في (الكتاب) ، فقد نسب إليه أنه قال: إن البيت (على معنى: فإنما هي صاحبة إقبال وإدبار) أي أنه من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، لكن ما يفهم من قول سيبويه: (فجعلت الآخر هو الأول) وقوله: (فجعلها الإقبال والإدبار) أن الناقة تحولت إلى إقبال وإدبار ، والفرق كبير بين المعنيين.

---

[١١٨] شرح الكتاب ٢/٢٢٧.

[١١٩] الكتاب ١/١٦٩.

ثم ذكر السيرافي وجهاً آخر للتقدير وهو ((أن يكون المصدر في موضع اسم الفاعل من غير إضافة فيكون (إقبال) في موضع (مقبلة)))[120].

ثم نراه يميل إلى الوجه الثاني فيقول : ((ومما يقوي الوجه الثاني أن نقول : رجل ضَخْم وعَبْل وليسا بمصدرين لضَخُم وعَبُل ، وقد جعلا في موضع اسم الفاعل))[121].

والراجح فيما نرى أن هذا الضرب من التعبير ليس من باب حذف المضاف ولا من باب تأول المصدر بالوصف ، وإنما هو ضرب آخر من الكلام الغرض منه المبالغة بجعل العين هو الحدث نفسه ، وقد مر بنا من كلام سيبويه ما يفيد هذا المعنى.

جاء في (الخصائص) : ((وأقوى التأويلين في قولها :

فإنما هي إقبال وإدبار

أن يكون من هذا ، أي كأنها مخلوقة من الإقبال والإدبار ، لا على أن يكون من باب حذف المضاف ، أي ذات إقبال وذات إدبار))[122].

وجاء في (دلائل الإعجاز) : ((ومما طريق المجاز فيه الحكم قول الخنساء :

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار

---

(120) شرح الكتاب ١/١٢٧.

(121) شرح الكتاب ١/٢٢٧.

(122) الخصائص . ابن جني ٢/٢٠٣.

وذلك أنها لم ترد بالإقبال والإدبار غير معناهما، فتكون قد تجوّزت في نفس الكلمة، وإنما تجوّزت في أن جعلتها لكثرة ما تُقبل وتُدبر ولغلبة ذاك عليها واتصاله منها، وأن لم يكن لها حال غيرهما، كأنها قد تجسمت من الإقبال والإدبار)) [١٢٣].

وعلى هذا فالحمل على أيّ من التقديرين يجعلنا نفقد المعنى الجميل الذي قصدته الخنساء وهو المبالغة ، بمعنى أن الناقة تحولت إلى إقبال وإدبار ولم يبق فيها ما يثقلها من عنصر الذات .

الترجيح في تفسير حكم نحوي :

هناك أحكام نحوية اتفق النحاة عليها ، ولكن كان اختلافهم في تعليلها ، وقد كان للسيرافي دور في ترجيح تعليل على آخر بحسب ما يراه مناسبا . وأبرز مثال عليها مسألة (رفع الفعل المضارع) إذ أجمع النحاة على رفع الفعل المضارع إذا لم يسبق بناصب أو جازم ، ولكن كان خلافهم في رافعه ، فعلى مذهب سيبويه وجمهور البصريين أن يرتفع لوقوعه موقع الاسم[١٢٤] ، في حين ذهب الفراء وأكثر الكوفيين إلى أنه يرتفع لتعرّيه من عوامل النصب والجزم[١٢٥].

وقد رد السيرافي رأي الفراء فقال: ((وقول الفراء في ذلك قول مدخول ولفظه غير صحيح ، وذلك أن الرفع أول أحوال الفعل ، فإذا رفعناه من قبل

---

[١٢٣] دلائل الإعجاز . عبد القاهر الجرجاني ٣٠٠ . ٣٠١.

[١٢٤] ينظر الكتاب ٤٠٩/١ . والمقتضب ٥/٢ ، والأصول في النحو ١٥١/٢.

[١٢٥] ينظر شرح الكتاب ١٩١/٣ ، والإنصاف ٤٣٧ [مسألة : ٧٧].

وجود المنصوب والمجزوم فلا بد من حالة مقترنة به توجب له الرفع غير منسوبة إلى شيء لم يكن بعد)) [126].

وفي المقابل رجح رأي البصريين فقال. ((وقول البصريين في رفع الفعل المضارع قول صحيح وترتيب غير مدخول ؛ لأنهم بدأوا بالرفع الذي هو أول الإعراب فجعلوا له سببًا لا يتعلق بغيره ولا يخرج الفعل عن ترتيبه)) [127].

وأقول : إن الكوفيين قد ناقضوا أنفسهم في ذلك ، ففي مسألة رافع المبتدأ والخبر ((يرفضون أن يكون الابتداء عاملا في المبتدأ ؛ لأن الابتداء هو التعري من العوامل اللفظية ، وإذا كان كذلك فهو عبارة عن عدم العوامل، وعدم العوامل لا يكون عاملا . . .

فإذا جاؤوا إلى الفعل المضارع وجدناهم يقولون: إنه يرتفع لتعريه من العوامل الناصبة والجازمة ، وذلك لأن العوامل الناصبة تدخل عليه فتؤثر فيه النصب، والجازمة فتؤثر فيه الجزم ، وإذا لم يدخله شيء منها كان مرفوعا ، فالتعري من العوامل إذا هو غير عامل ، ولا شك أن ذلك هو المحال)) [128].

ويبدو لي أن رأيهم ـ على الرغم من هذا التناقض ـ أقرب إلى الصواب ؛ لأن الأصل في الفعل المضارع أن يكون مرفوعا، ولا يخرج عن هذا الأصل إلا إذا دخل عليه ناصب فنصبه أو جازم فجزمه.

---

[126] شرح الكتاب ٣/١٩١.

[127] شرح الكتاب ٣/١٩١ . ١٩٢.

[128] مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها . الدكتور عبد الرحمن السيد . صفحة٢٠٣.

أما رأي البصريين فإنه ((ينتقض بنحو (هلاّ تفعل) و (جعلت أفعل) و (ما لك لا تفعل ؟) و (رأيت الذي يفعل) فإن الفعل في هذه المواضع مرفوع مع أن الاسم لا يقع فيها، فلو لم يكن للفعل رافع غير وقوعه موقع الاسم لكان في هذه المواضع مرفوعا بلا رافع))[١٢٩].

---

[١٢٩] شرح الكافية الشافية . ابن مالك ٣/١٥١٩ . ١٥٢٠.

الخاتمـــة :

يمكنني أن أجمل النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث بالنقاط الآتيـة :

١- يعدّ شرح كتاب سيبويه للسيرافي من أهم شروح الكتاب وأوسعها مادة .

٢- لم تكن للسيرافي خطة ثابتة في الشرح ، إذ تباينت طريقته في عرض أبواب الكتاب وفصوله . كما أنه لم تكن له خطة ثابتة في ترجيحاته ، إذ كان يرجح على وفق ما يراه صوابا .

٣- هناك من المسائل النحوية ما كانت ترجيحاته فيها سببها الخطأ في العزو ، إذ كان يرجح رأيا على آخر مع العلم أنه لا يوجد اختلاف بين الرأيين. ومن أسباب الخطأ في العزو الاقتطاع من النص .

٤- من صور الترجيح عند السيرافي ترجيح رأي شاذ لا يقاس عليه .

٥- أهم الأسس التي اعتمدها السيرافي في ترجيحاته سماع لغة العرب شعرا ونثرا والقياس والمعنى .

٦- قد يتفق النحاة في الحكم النحوي ولكنهم يختلفون في توجيهه وتعليله ، فيكون للسيرافي دور في ترجيح تعليل على آخر.

المصادر :

١- الأصول في النحو . أبو بكر بن السراج . تحقيق الدكتور عبد الحسين الفتلي . مطبعة سلمان الأعظمي . بغداد ١٣٩٣هـ . ١٩٧٣م.

٢- ارتشاف الضرب من لسان العرب . أبو حيان الأندلسي . تحقيق الدكتور عثمان محمد ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٤١٨هـ . ١٩٩٨م.

٣- إنباه الرواة على أنباه النحاة . جمال الدين القفطي . تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم . دار الفكر العربي . القاهرة . الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م.

٤- الانتصار لسيبويه على المبرد . أبو العباس أحمد بن محمد بن ولاد . دراسة وتحقيق الدكتور زهير عبد المحسن سلطان . مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى ١٤١٦هـ . ١٩٩٦م.

٥- الإنصاف في مسائل الخلاف . أبو البركات بن الأنباري . تحقيق الدكتور جودة مبروك . مكتبة الخانجي . القاهرة . الطبعة الأولى .

٦- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة . جلال الدين السيوطي تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم . دار الفكر . الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م.

٧- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة . مجد الدين الفيروزابادي . تحقيق محمد المصري . دار سعد الدين . الطبعة الأولى ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م.

٨- تحقيقات نحوية . الدكتور فاضل صالح السامرائي . دار الفكر عمان . الأردن . الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م.

٩- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل . أبو حيان الأندلسي . تحقيق الدكتور حسن هنداوي . الجزء الخامس . دار القلم . دمشق . الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ . ٢٠٠٢م ، والجزء السادس . دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع . السعودية . الرياض . الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م.

١٠- الخصائص . أبو الفتح عثمان بن جني . تحقيق محمد علي النجار . المكتبة العلمية .

١١- الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين وكتاب الإنصاف . الدكتور محمد خير الحلواني . دار القلم العربي بحلب ١٩٧٤م.

١٢- دراسات نقدية في النحو العربي . الدكتور عبد الرحمن أيوب . نشر وتوزيع مؤسسة الصباح . الكويت.

١٣- دلائل الإعجاز . عبد القاهر الجرجاني . تحقيق محمود شاكر . مكتبة الخانجي . القاهرة . الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٤م.

١٤- الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه . الدكتورة خديجة الحديثي جامعة الكويت ١٣٩٤هـ . ١٩٧٤م.

١٥- شرح ابن عقيل . بهاء الدين عبد الله ابن عقيل . شرح وتعليق تركي فرحان المصطفى . دار الكتاب العلمية . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م.

١٦- شرح التسهيل . ابن مالك . تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد والدكتور محمد بدوي المختون . هجر للطباعة والنشر . مصر . الطبعة الأولى ١٤١٠هـ . ١٩٩٠م.

١٧- شرح التصريح على التوضيح . خالد الأزهري . دار إحياء الكتب العربية.
١٨- شرح الرضي لكافية ابن الحاجب . رضي الدين الإستراباذي . القسم الأول . المجلد الأول . دراسة وتحقيق الدكتور حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي . إدارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . السعودية.
١٩- شرح الكافية الشافية . ابن مالك . تحقيق الدكتور عبد المنعم أحمد هريدي . دار المأمون للتراث . الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م.
٢٠- شرح كتاب سيبويه . أبو سعيد السيرافي . تحقيق أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ . ٢٠٠٨م.
٢١- شرح المفصل . ابن يعيش . إدارة الطباعة المنيرية بمصر.
٢٢- العلل في النحو . أبو الحسن محمد بن عبد الله الورّاق . تحقيق مها مازن المبارك . دار الفكر . دمشق . الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م.
٢٣- الكتاب . أبو بشر عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه . نسخة مصورة عن طبعة بولاق . مكتبة المثنى . بغداد.
٢٤- كتاب سيبويه وشروحه . الدكتورة خديجة الحديثي . مطابع دار التضامن . بغداد . الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ . ١٩٦٧م.
٢٥- لمع الأدلة في أصول النحو . أبو البركات بن الأنباري . تحقيق وتقديم سعيد الأفغاني . مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٧هـ . ١٩٥٧م.

٢٦- مدرسة البصرة النحوية نشأتها وتطورها . الدكتور عبد الرحمن السيد . دار المعارف بمصر . الطبعة الأولى ١٩٦٨م.
٢٧- معاني القرآن . أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء . تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار . دار الكتب المصرية . القاهرة . الطبعة الثالثة ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م.
٢٨- معاني النحو . الدكتور فاضل صالح السامرائي . دار الفكر . عمان . الأردن . الطبعة الرابعة ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
٢٩- المقتضب . أبو العباس محمد بن يزيد المبرد . تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة . لجنة إحياء التراث الإسلامي . القاهرة ١٣٨٦هـ.
٣٠- نحو التيسير ـ دراسة ونقد منهجي ـ الدكتور أحمد عبد الستار الجواري . مطبعة المجمع العلمي العراقي . بغداد ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م.
٣١- نحو المعاني . الدكتور أحمد عبد الستار الجواري . مطبعة المجمع العلمي العراقي . بغداد ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م.
٣٢- نزهة الالباء في طبقات الأدباء . أبو البركات بن الأنباري . تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي . مكتبة المنار . الأردن . الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م.
٣٣- النوادر في اللغة . أبو زيد الأنصاري . تحقيق محمد عبد القادر أحمد . دار الشروق . الطبعة الأولى ١٤٠١هـ . ١٩٨١م.
٣٤- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ـ جلال الدين السيوطي ـ شرح وتحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم ـ عالم الكتب ـ القاهرة ١٤٢١هـ . ٢٠٠١م.

سكان بغداد

في مرحلة التأسيس والنشأة / دراسة في تاريخ السكان(*)

١٤٥-١٦٩هـ - ٧٦٢-٧٨٥م

الدكتور عبد علي الخفاف

جامعة الكوفة

عميد معهد الفارابي للدراسات العليا

النجف / العراق

الملخص :-

قدمت هذه الدراسة محاولة لتقدير حجم السكان في مدينة بغداد في السنوات (١٤٥-١٦٩هـ) الموافق (٧٦٢-٧٨٥م) التي حكم فيها الخلفاء العباسيون :

- ابو جعفر المنصور .
- المهدي .
- موسى الهادي .

كان اهم ما حصل فيها هو توجه أبي جعفر المنصور الى بناء الرصافة عام (١٥١هـ) (٧٦٨م) معسكرا لأبنه المهدي وذلك بعد ما بنى الكرخ .

(*) تاريخ السكان هو ما يطلق عليه في مناهج المعرفة بالتاريخ الديموغرافي Demographic History

تميز موقع بغداد وموضعها بخصائص جغرافية جاذبة للسكان ومشجعة على الاستقرار فيها ، فالسطح المنبسط ووفرة المياه والمناخ المتنوع بين صيف دافيء وشتاء بارد وفصلين معتدلين هما الربيع والخريف ، جميعها عوامل شجعت على الاستقرار .

تم تقديرنا لحجم السكان في بغداد في هذه الفترة الزمنية بنحو ٥٠٠.٠٠٠ نسمة وقد توزعت مساحة المدينة في تركيبها الوظيفي (استعمالاتها) الى :-

٤٥٪ وظيفة سكنية .

٣٠٪ وظيفة حرف وتجارة وخدمات .

٢٥٪ وظيفة ادارية وسياسية .

(١) مقدمـــة

قدمنا محاولة سابقة لدراسة حجم وواقع السكان في القرى التي كانت تنتشر على موضع مدينة بغداد قبل تأسيسها .

وفي هذه الدراسة سنحاول ان ندرس واقع السكان في مدينة بغداد في مرحلة التأسيس والنشأة .

شهدت هذه المرحلة من تاريخ بغداد حكم ثلاثة من الخلفاء العباسيين هم :

- ابو جعفر المنصور : عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس عم النبي (ص) ولد في ٩٥هـ -٧١١م تولى الخلافة في ١٣٦هـ -٧٥٢م وذلك بعد

وفاة ابي العباس السفاح ، وانتهت خلافته بوفاته ١٥٨هـ - ٧٧٥م بعد أن دامت ٢١عاما واحد عشر شهرا واربعة عشر يوما ، وهو بذلك يعد من الخلفاء العباسيين الذين تجاوزت خلافتهم العقدين .

- المهدي : ابو عبد الله محمد بن عبد الله المنصور ، ولد في ١٢٧هـ (٧٤٤م) وتولى الخلافة بعد وفاة والده عام ١٥٨هـ (٧٥٥م) وتوفي في ١٦٩هـ (٧٨٥م) بعد أن دامت خلافته [١٠] اعوام وشهرا واحدا .
- موسى الهادي : ابو محمد موسى بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ، ولد في ١٤٧هـ(٧٦٤م) وتولى الخلافة في ١٧٠هـ (٧٨٦م) وتوفي في ١٧١هـ (٧٨٧م) فدامت خلافته عاما واحدا وخمسة واربعين يوما [١] .

وبذلك يأتي تحديد هذه المرحلة من تأريخ الخلافة العباسية في ٢٤ عاما ، وكان اهم ما حصل فيها هو توجه أبي جعفر المنصور الى بناء الرصافة عام ١٥١هـ (٧٦٨م) معسكرا لابنه المهدي ، بعدما بنى جانب الكرخ ، كما أن المهدي قام بتحسين الطريق ما بين بغداد ومكة وأسس البريد مابين بغداد ومكة ايضا ، ولهذه الاعمال دورها في تنمية بغداد وتطويرها اقتصاديا وسكانيا .

ولابد من التنويه إلى أن بغداد من الحواضر (المستقرات الحضرية) التي ظهرت بقرار لتأسيسها ، فهي من المدن التي اسست ، أي من مدن

---

[١] مرزة ، منذر جواد - بغداد وحاكموها عبر العصور (٧٦٢ - ٢٠٠٣) - مطبعة الغري الحديثة - النجف - ص٢٣٢ (اخذت عنه التواريخ المتعلقة بالخلفاء المشار اليهم في هذا الكتاب كافة) .

التأسيس وليس من مدن النشأة ، على أن الخصائص الجغرافية لموضع بغداد كانت مشجعة فكانت وراء نشأة قرية بغداد وسوق بغداد وعشرات القرى من حولها .

(٢) خصائص عامة في موقع بغداد وموضعها :

تشير مصادر التاريخ التي تناولت بناء مدينة بغداد إلى وصف الخصائص الجغرافية العامة لموضعها ، فهي خصائص مشجعة على جذب السكان وعلى تأسيس مستقرة بشرية . لقد اختار ابو جعفر المنصور موضعا جغرافيا يمتد مابين نهر دجلة شرقا ونهر الدجيل شمالا ونهر قطربل غربا ونهر الصراة جنوبيا ، بعد أن عزم على بناء مدينة جديدة بعيدة عن الفتن وتكون مستقرة امنة وحاضرة للخلافة العباسية . ولأجل أن يتيقن الخلفية من صلاحية البيئة في هذا الموضع للسكن وبناء المدينة فقد توجه اليه واقام فيه بضعة ايام ليختبر صلاحيته بنفسه وقبول حالة الجو فيه وملاءمة تربته للزراعة .

ويبدو أن هذا الموضع قد اعجبه لقربه من شبكة الانهار والجداول[*] والى جانب ذلك يبدو أن هذا الموضع قد توفرت فيه الشروط البيئية التي

---

[*] ويلغني أن المنصور لما عزم على بناء بغداد احضر المهندسين واهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الارضين ، فمثل لهم صفتها التي في نفسه ثم احضر الفعلة والصناع من النجارين والحفارين والحدادين وغيرهم فأجرى عليهم الارزاق ... ولم يبتدئ في البناء حتى تكامل بحضرته من اهل المهن والصناعات الوف كثيرة ، ثم اختطها وجعلها مدورة .....

عن : الخطيب البغدادي / تاريخ بغداد او مدينة السلام – ج١–ص٦٦ . ←

يحتاجها عرب الجزيرة وفي مقدمتها قلة الرطوبة وقلة الحشرات والهوام ، كما توفرت فيه شروط الدفاع (**) ويبدو أن مرور اكثر من قرن من الزمن على خروج العرب من شبه الجزيرة كان كافيا لإلغاء الشرط الذي اعتمدوه عند بناء كل من البصرة والكوفة وهو ان لا يفصلهما عن موطن العرب ، مكة والمدينة ، أي نهر او بحر فيكون بمثابة العازل الفاصل .

أن الباحث الذي يتابع موضوع تأسيس بغداد وبنائها يدرك أن اختيار موضعها الذي شيدت عليه لم يحصل عن فراغ ، فقد عرف هذا الموضع مستقرة بشرية قبل بنائها وبذلك فان بغداد العباسية كانت وريثة بغداد البابلية القديمة(*) وهي موضع لعدة قرى ايضا ، مما يدل على أن موضعها يتمتع

← لقد ذكر المؤرخون اسباب كثيرة لاختيار المنصور هذه البقعة على غيرها منها اقتصادية ومنها عسكرية ومنها صحية ..... وعند ذاك ابتدأ بحفر الاساس وكان ذلك سنة ١٤٥هـ فوضع بيده (ابو جعفر المنصور) أول آجره في بنائها وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله ، والارض لله ، يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين .....ثم قال : ابنوا على بركة الله .

عن : محمد علي ، ابراهيم مرزة (٢٠٠٨) مدينة بغداد – الطبعة الاولى – الحضارية للطباعة و النشر – ص١٥٤-١٥٥ .

(**) وهي بين انهار لا يصل اليها العدو الا على جسر او قنطرة فاذا قطعت الجسور ونسفت القناطر لم يصل اليها العدو .

عن: طه الراوي (ـ) بغداد مدينة السلام - دار المعارف – القاهرة – ص١٥ .

(*)كشفت الحفريات الاثارية في موضع بغداد عن واجهة كبيرة مبنية بالآجر البابلي عليها اسم الملك الشهير نبوخذ نصر (٦٠٥-٥٦٢) ق.م .

عن : مجلة الفيصل (المملكة العربية السعودية) – ١٩٨١م – العدد (٢٥) - (تحقيق).

ببيئة جغرافية مشجعة على الاستقرار والعيش فيها ، فهي منطقة مأهولة Ecomene Area ، وقد ورد اسمها في اخبار فتوحات العرب للعراق قبل أن يتم بناؤها من قبل ابي جعفر المنصور(**) مما يدل على وجودها او وجود ما هو قريب من اسمها او شبيه بها إذ تشير مصادر التاريخ إلى وجود قرية كبيرة كانت تحمل اسم بغداد او بغدان او مغداد او مغدان .

ويبدو أن هذه القرية الكبيرة هي السوق التجارية الكبيرة التي يتوجه اليها التجار من بلاد فارس والأحواز وسائر الجهات كما يشير إلى ذلك "ياقوت الحموي" [٢] وهي تقع إلى الجنوب من نهر الصراة [٣] . لقد ورد ذكرها كثيرا في تاريخ الفتوح الإسلامية وتشير المصادر إلى ما فعله فيها "المثنى بن حارثة" فقد أغار عليها عام ١٣هـ الموافق ٦٣٤م في جمع من اصحابه فغنموا ما بأيدي اهلها من ذهب وفضة ثم رجعوا إلى الأنبار [٤] .

ويشار إلى أن العرب المسلمين قد استقروا في منطقة بغداد بعد فتحهم العراق ، فيذكر المؤرخون أن البقعة التي تقع شمال نهر الصراة العظمى امتلكها قوم من العرب المسلمين وبقيت بلقب عربي فكان اسمها "مزرعة

(**) بدأ بناؤها في ١٤٥هـ - ٧٦٢م وانتهى عام ١٤٩هـ -٧٦٦م .

(٢) الحموي ، الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، المجلد الأول ، دار صادر ، دار بيروت ، (١٩٥٥) ، ص٤٧٩ .

(٣) جواد ، مصطفى وسوسة ، احمد- دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا – المجمع العلمي العراقي – (١٩٥٨) ، ص٢١

(٤) الحموي – المصدر السابق – ص٢٣٢

المباركة" وهي ذات البقعة التي شيد عليها المنصور مدينته المدورة [٥].
وكانت هذه البقعة لستين شخصا من البغداديين فعوضهم عنها ابو جعفر المنصور عوضا أرضاهم [٦] .

كانت إلى الجنوب الغربي من مزرعة المباركة قرية تعرف باسم "قرية الخطابية" والى الشمال منها "قرية دير بستان القس" وكانت في المنطقة ايضا قرية "الشرفانية" و "دير بافيون" الذي عرف بعد تأسيس مدينة بغداد المنصور بأسم "الدير العتيق" ، والى جانب هذا الدير كان يوجد دير يسمى "عمر صلبيا" ، وقرية الكرخ وقرية براثا وقرية سال وقرية ورثالا وقرية بناورا وقرية قفطنا وقرية الوردانية التي تمت الاشارة إليها.

أن هذه القرى هي القرى الكبيرة وقد زحفت ، في حينها ، مدينة المنصور على بعضها ، والى جانب هذه القرى عشرات من القرى الصغيرة تؤثر وجودها شبكة الانهار والجداول والترع وعشرات القناطر المشيدة فوقها ، كما هي على الخريطة التي اعدها المستشرق "ماكسيميليان ستريك" في كتابه "بلاد بابل القديمة"[٧] ، أن هذه القناطر والتي تبدو على الخريطة المذكورة كانت [١٢] قنطرة جاء بناؤها وتشييدها لتسهيل حركة وانتقال سكان القرى في هذا الموضع.

---

[٥] جواد مصطفى وسوسة ، أحمد – المصدر السابق / ص ٨ .

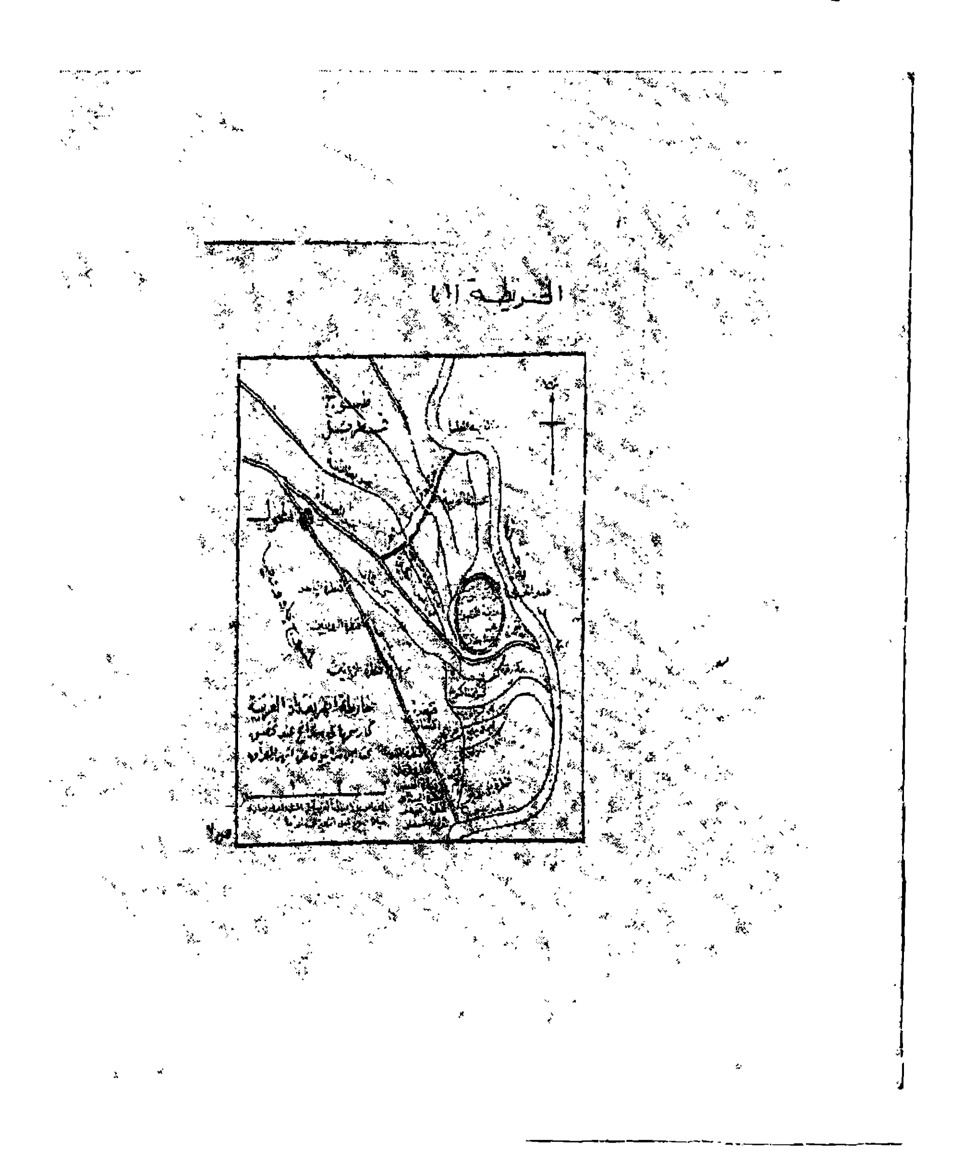
[٦] ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الشهير بابن الجوزي (١٣٤٢ هـ) ، مناقب بغداد (علق عليه ونشره محمد بهجة الأثري البغدادي) ، مطبعة دار السلام ، بغداد : ص ٧ .

[٧] جواد مصطفى وسوسة ، احمد – المصدر السابق / ص٧١ .

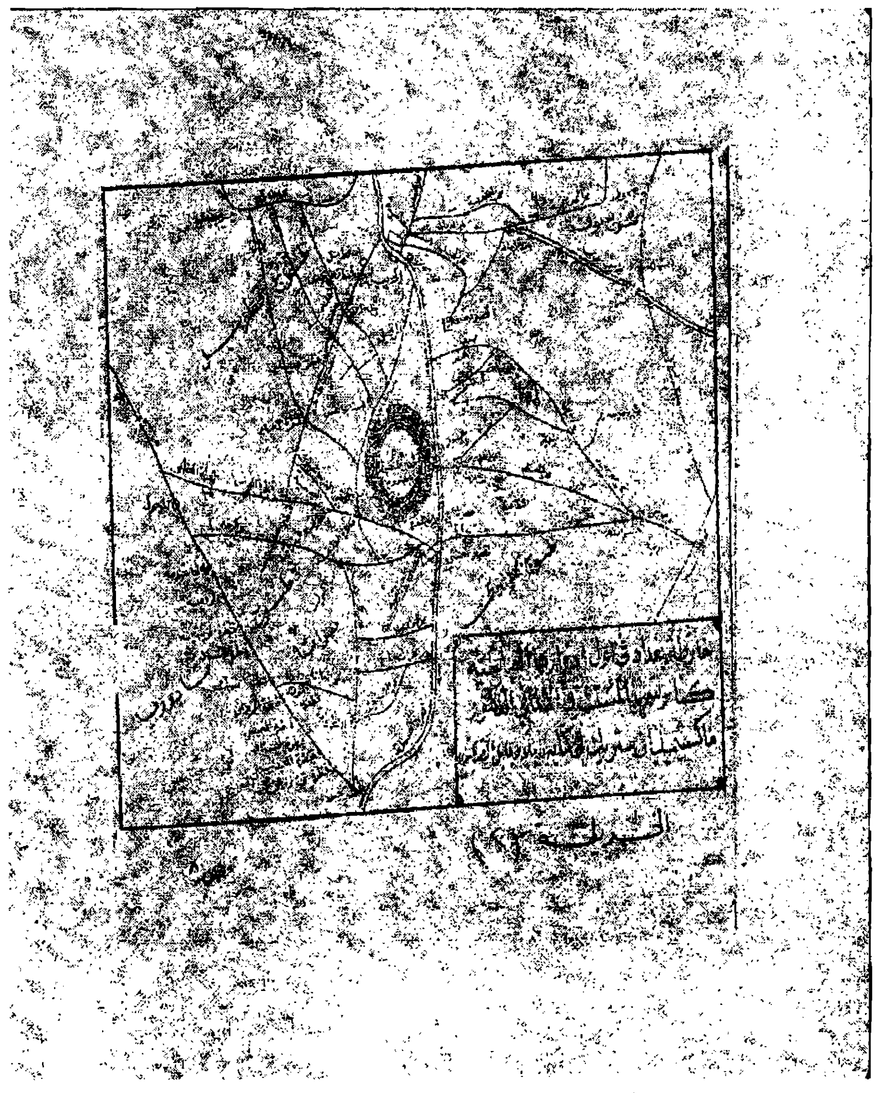
تصور لنا جميع المصادر التي تناولت منطقة بغداد وموضعها قبل تأسيسها أنها منطقة زراعية مزدهرة وعامرة بنشاطها الزراعي المتوزع بين الحقول الزراعية وتربية الحيوانات لاسيما الماشية ، وأنها منطقة عرفت الاستقرار البشري بكثافة سكانية مرتفعة حيث تنتشر فوقها القرى الكبيرة والقرى الصغيرة .

لرغبة المنصور في بناء عاصمة جديدة للدولة العباسية فقد اختار هذا الموضع ، فتشير المصادر انه جاء إلى صاحب "بستان القس" فاجتمع به مع بعض من الرهبان ومع صاحب قرية "بغداد" وبعض اصحاب المزارع و الدهاقين ، فسألهم عن الحر و عن البرد و المطر و الوحل وعن الهوام و البعوض في هذا الموضع ، وبعد محادثات طويلة ، اقترح صاحب بغداد على المنصور إذ قال : يا أمير المؤمنين اني ارى أن تنزل اربعة طساسيج (نواحي) في الجانب الغربي طسوجان هما "قطربل" و "بادوريا" وفي الجانب الشرقي طسوجان هما "بوق" و "كلواذي" فتكون بين نخل وقرب ماء فان اجدب طسوج وتأخرت عمارته كان في الطسوج الاخر العمارات . وانت يا امير المؤمنين على الصراة تجيئك الميرة في السفن من الشام و الرقة و المغرب في طوائف مصر ، وتجيئك الميرة من الهند و الصين و البصرة وواسط وديار بكر و الروم والموصل وغيرها في دجلة ، وتجيئك الميرة من أرمينية وما اتصل بها من "تامرا" حتى تصل بالزاب . فانت بين انهار لا يصل اليك عدوك الا على جسر او قنطرة فاذا قطعت الجسر واخربت القنطرة لم يصل اليك احد . ودجلة و الفرات و الصراة خنادق هذه المدينة ، وانت متوسط مابين الكوفة و البصرة وواسط و الموصل و السواد وانت قريب

من البر و البحر و الجبل . فازداد المنصور عزما على النزول في ذلك الموضع [٨] .



[٨] الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (١٩٦٦) . تاريخ الرسل والملوك (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ، ج١ ، الطبعة الثانية . دار المعارف بمصر ، ص ٦٦ — ٧٠ .



(٣) تقديرات المساحة وعدد السكان :

بعد أن تولدت القناعة لدى المنصور في اختيار هذا الموضع احضر اهل المعرفة بالبناء و الذرع و المساحة وقسمة الارضين ، فمثل لهم صفتها التي في نفسه ثم احضر الفعلة و الصناع من النجارين و الحدادين

و الحفارين وغيرهم فأجرى عليهم الارزاق(*) وكتب إلى كل بلد في حمل من فيه ممن يفهم شيئا من امر البناء ، ولم تحصل المباشرة في البناء ، حتى تكامل بحضرته من اهل المهن و الصناعات الوف كثيرة(**) ثم اختطها وجعلها مدورة(٩) . عند ذاك تم البدء بوضع الاساس وذلك في عام ١٤٥هـ - ٧٦٢م ، فوضع (ابو جعفر المنصور) بيده أول آجره في بنائها وقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله ، والارض لله ، يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ..... ثم قال : ابنوا على بركة الله(١٠). هناك شبه اجماع على أن مساحة المدينة التي تم بناؤها مع سورها وخنادقها كانت [١٣٠] جريبا (١١) وان الجريب يساوي ١٣٨٤م٢ وبذلك كانت مساحة المدينة [١٧٩٩٠] مترا مربعا أي انها اقل من ١/٥ كيلو متر مربع . بينما يذكر

(*) أنفق المنصور اربعة الاف الف و ثمانمائة وثلاثة وثمانين درهما . عن : الطبري - جـ٣- ص٣٢٦ .

وقد اختلف المؤرخون في تقدير هذه الكلفة ولعل اقربها إلى التصديق انها بلغت (ثمانية عشر الف الف درهما) أي ثمانية عشر مليون درهم وابعدها انها كانت اربعة ملايين درهم . عن : جواد و سوسة (١٩٥٨) ص٦٢ .

(**) كان عدد البنائين و النجارين و الحدادين و الحفارين مائة الف عامل . عن : اليعقوبي - البلدان -- ص٣٣٨.

وعن : الخطيب البغدادي -- جـ١ - ص٦٧ .

(٩) الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، (طبع بعناية محمد أمين الخانجي) ، ج ١، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (١٩٣١) ، ص ٦٧ .

(١٠) الطبري ، المصدر السابق ،ج ٧ - ٦١٩ .

(١١) الخطيب البغدادي ، المصدر السابق / ص٦٩ .

"اليعقوبي" أن المسافة بين باب واخر هي [٥٠٠٠] ذراعا سوداء (والذراع تساوي ٥٠ سنتمترا) (١٢) ولما كانت الابعاد بين الابواب الاربعة متساوية فذلك يعني أن محيط المدينة هو [٢٠٠٠٠] ذراعا أي [١٠كم] [١٢]

وبذلك تكون مساحتها [٧,٩٢٥ كم^2] وهي مساحة محسوبة من خارج الخندق ، وهذا تقدير مبالغ فيه فليس من المعقول أن تكون مساحة المدينة نحو [٨مليون] مترا مربعا.

يميل الباحثان (احمد سوسة) و (مصطفى جواد) إلى التقدير الوسط لهذه المساحة ، فهما يشيران الى الابعاد التي ذكرها "الخطيب البغدادي" و "ابن الجوزي" ومنها توصلا إلى أن المساحة كانت [٣١٤١٦٠٠م^2] أي قرابة [٣كم^2][١٣]

نحن لا نرى ان تقدير المساحة بأقل من كيلو متر مربع كافية لان تغطي وظائفها الحضرية و السياسية و الادارية و الاقتصادية و العسكرية والسكنية كما توصف في المراجع . نقد حاولنا تقدير مساحتها ومن ثم تقدير المساحة السكنية فيها لأجل تقدير حجم السكان ، وقد اعتمدنا في تقدير مساحتها على الخريطة التي حققها الدكتور "احمد سوسة" والتي رسمت بمقياس ١:١٠٠٠٠سم أي بواقع سنتمتر واحد لكل ١٠٠٠٠سنتمترا على الارض ، وعلى اساس هذا المقياس فأننا نقدر المساحة بحدود [٧٩٢٠٠٠٠]

---

(١٢) اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (٢٠٠٢) : البلدان (وضع حواشيه محمد أمين ضناوي) ، الطبعة الأولى (منشورات محمد علي بيضون) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (٢٠٠٢) ، ص٢٥ .

(١٣) جواد مصطفى وسوسة ، احمد – المصدر السابق – ص٦٣ .

متراً مربعاً[*]. وبذلك نرى أن تقدير " الخطيب البغدادي " لمساحة بغداد المدورة بحدود [٧٠كم٢][١٤] تقدير مبالغ فيه .

وفي ضوء الخريطة المذكورة فأننا نقدر مساحة المنطقة المستغلة للوظيفة الادارية "دواوين الحكومة والقصور الحكومية " قصر باب الذهب ومجموعة قصور اولاد المنصور بنحو [١٩٨٠٠٠٠م٢] وهي بذلك تشكل نسبة نحو [٢٥٪] من المساحة الكلية .

يتوزع المتبقي من مساحة المدينة على [٦٠٪] للوظيفة السكنية وبواقع [٤٠٪] للوظيفة التجارية والخدمات والاسواق ومحلات خدمات الخيل والدواب والسكك (الازقة) وان سكن الفقهاء و العلماء والاطباء والنخبة المقربة من الحكومة ضمن مساحات دواوين الحكومة[**] .

على اساس هذه النسب فان المساحة التي شغلتها الوظيفة السكنية هي [٢٣٧٦٠٠٠م٢] وفي حالة افتراضنا أن متوسط مساحة الوحدة السكنية (البيت) هو [١٠٠م٢] فان ذلك يعني وجود [٢٣٧٦٠] وحدة سكنية .

واذا ما افترضنا أن حجم الاسرة الساكنة في الوحدة السكنية هو ١٠ نسمة ، بفعل سيادة الاسرة الممتدة ، فان ذلك يعني أن عدد السكان في بغداد حينذاك هو [٢٣٧٦٠٠] نسمة ، كان من بينهم اسر البنائين .

---

[*] تم حساب ذلك بقياس نصف القطر وهو ٦سم ثم تربيعه وضربه بالنسبة الثابتة ٢٢/٧ (مساحة الدائرة) .

[١٤] الخطيب البغدادي -- المصدر السابق -- ص٧٣ .

[**] كانت أسواق بغداد ومحلات التجارة فيها في الاطواق المحيطة بالطرق والمسالك الاتية من الابواب داخل السورين ، ثم امر المنصور بنقلها إلى خارج المدينة المدورة . عن : الخطيب البغدادي -- جـ ١ -- ص٧٣ .

نضيف إلى هذا العدد [١٣٩٩٩٨] نسمة هم ممن افترضناه من عودة ثلثي المقاتلين الذين بلغ تعدادهم [٤٦٦٦٦] نسمة(*) وتوجههم للسكن في بغداد ، وقد افترضنا أن متوسط اسرة كل مقاتل هو [٣] نسمة(**) ، وبذلك سيكون سكان بغداد [٣٧٧٥٩٨] نسمة ، يضاف اليهم افراد الحكومة واعداد الشرطة و النخبة المقربة من الخليفة وعياله واهله بحدود [١٢٢٤٠٢] نسمة .

من كل ما تقدم فان تقديرنا لعدد السكان في بغداد في هذه المرحلة هو بحدود [٥٠٠.٠٠٠] نسمة ، من ضمنهم عيال الخليفة واهله ومجتمع الحكومة وجنده او سكان القرى الموجودة قبل تأسيس بغداد .

المعروف أن في العام ١٤٩هـ-٧٦٦م تم بناء مدينة بغداد المدورة وجميع مرافقها ، وفي العام ١٥١هـ-٧٦٨م بدأ العمل في بناء الجانب الشرقي (الرصافة) ، فلم تلبث الاعتبارات السياسية والاستراتيجية التي اعتمدها المنصور المتمثلة بتقسيم الجيش والافتقار إلى الارض المفتوحة ، الارض الفضاء ، أن دفعته إلى اقامة معسكر معزول نسبيا لولي عهده المهدي ، فبنيت المنطقة وسميت بادئ الامر (بعسكر المهدي) ثم سميت (بغداد

(*) في العام ١٤٠هـ- ٧٥٧م سيّر المنصور جيشا مؤلفا من ٧٠٠٠٠ مقاتلا بقيادة ابن اخيه ابراهيم بن محمد الإمام إلى مطلية فعمروا هناك ما كان خربه الروم منها وترك هناك عدة الاف من الجند . عن : جواد وسوسة (١٩٥٨) ص٤٤ .

ثلثي المقاتلين : ٧٠٠٠٠ ÷ ٣ = ٢٣٣٣٣ × ٢ = ٤٦٦٦٦

(**) ٤٦٦٦٦ × ٣ = ١٣٩٩٩٨ نسمة .

المهدي) وسميت فيما بعد (بالرصافة) وجاءت هذه التسمية الاخيرة بفعل ارتفاع الارض في موضعها ومواضع طرقها [١٥](***) .

كان اول مبنى تم تشييده في الرصافة هو جامع الرصافة الكبير وكان اوسع من جامع مدينة المنصور واجمل منه ؛ ثم اعقبه بناء قصر المهدي في جوار الجامع و إقامة الدور و القطائع حوله ، وقد اتم المهدي بناء الرصافة بعد وفاة والده وتوليه الخلافة ، ويقال انه اتم ذلك في العام ١٥٩هـ - ٧٧٦م أي في السنة الثانية من خلافته ، وظل مقيما فيها [١٦] .

ويذكر "اليعقوبي" بإسهاب القطائع المختلفة التي اقطعها المهدي رجاله من الحاشية و المقربين ومن نخبة المجتمع في الاراضي المحيطة بالرصافة ، وكانت هذه الاراضي في الشمال الشرقي و الجنوب الشرقي وقد اصبحت اخيرا محلة الشماسية ومحلة المخرم[١٧] . لقد توسعت الرصافة بسرعة بعد أن تم تأسيس الاسواق و المرافق المتنوعة فيها ، ويشار إلى أن فيها [٤٠٠٠] دربا وسكة واصبحت تضاهي الكرخ في سعة القصور و الاسواق و الدروب ، فيشير "اليعقوبي" أن دروب وسكك الجانب الغربي

---

[١٥] سوسة ، أحمد (١٩٦٣) ، فيضانات بغداد في التاريخ (ساعد المجمع العلمي على نشره)ج ١ – مطبعة الأديب البغدادية ، ص ٢٢٨ .

(***) يذكر أن المهدي لما جاء بعسكره الكثيف من الري إلى العراق امره والده المنصور أن يعسكر في الجانب الشرقي من بغداد لئلا يحصل زحاما للناس في داخل البلد ففعل المهدي ما امر به . عن : ابن الجوزي (١٣٤٢) هـ – ص١٠٢ .

[١٦] جواد مصطفى وسوسة، احمد – المصدر السابق / ص ١٠٧ .

[١٧] المصدر نفسه – ص١٠٧ .

"الكرخ" عند بناء بغداد كانت [٦٠٠٠] بينما عدد هذه السكك في الجانب الشرقي (الرصافة) [٤٠٠٠] سكة [١٨] .

من خلال الوصف العمراني الذي تشير اليه جملة مصادر تاريخ بغداد ، ومن خلال تحديد المساحة والتي رجحنا انها نحو ٨ مليون متر مربع أي نحو ٨ كيلومتر مربع [٨كم^2] ، وتقديرنا لحجم السكان بنحو [٥٠٠٠٠٠] نسمة ، فان متوسط الكثافة العامة للسكان هو [٦٢٨٠٠] نسمة في الكيلو المتر المربع الواحد ، وهذه كثافة مرتفعة جدا تؤشر حالة الاكتظاظ وحالة الازدحام في المدينة ، ولعله من المفيد أن نقدم صورة لهذا الاكتظاظ عبر المقارنة مع مدن حالية معروفة بكثافتها السكانية المرتفعة ، فعلى سبيل المثال نذكر أن مدينة "كلكتا" الهندية ذات متوسط للكثافة يصل إلى [١٣٦٤٠] نسمة ، وفي نيويورك [٨٧٢٢] نسمة ، وفي دلهي [٦٣٠٠] نسمة وفي بكين [٤٠٣٩] نسمة ، وذلك في مطلع العقد الاول من القرن الحالي[١٩]. تهبط الكثافة في بغداد الحالية إلى [٣٠٣٨] نسمة وهي بذلك اقل من كثافة بغداد المنصور نحو [١١] مرة في الوقت الذي تضاعف عدد السكان فيها إلى نحو [١١] مرة حيث يقدر تعداد سكان بغداد الكبرى حوالي [٥٥٣٥٠٠٠] نسمة عام

---

(١٨) اليعقوبي – المصدر السابق ص٢٤٧ .

(١٩) الخفاف ، عبد علي – جغرافية السكان / اسس عامة / دار الفكر / عمان / الاردن /(١٩٩٩): عدة صفحات

٢٠١١م(*). لا شك أن هذا الاختلاف في مستوى الكثافة يعود إلى طبيعة العمران ، فما كانت الوحدة السكنية تزيد على [١٠٠] متر مربع الا نادرا حيث تتسع دور الخليفة وابنائه ووزرائه والنخبة إلى اكثر من ذلك بكثير ، بينما الذي يلاحظ في الوقت الراهن أن متوسط مساحة الوحدة السكنية تتراوح مابين [٢٥٠-٦٠٠] م٢ وقد تزداد إلى اكثر من ذلك بكثير في بيوت النخبة الموسرة .

كذلك يختلف اتساع الطرق والشوارع فهي اليوم ما بين [٦٠-١٢٠] م وغالبها ذات ممرين ، في حين كان اتساعها نحو [٢٠] م في البعض القليل منها . وهي الطرق الرئيسة النافذة ، ويقال أن المنصور امر بتوسيع الطرق في مدينته وجعلها على [٤٠] ذراعا[٢٠](*).

وتشير مصادر تاريخ بغداد الى تطوير عمراني سريع حصل فيها ، فمنع نموها اقتصاديا واجتماعيا وسكانيا ظهرت فيها الاحياء الارستقراطية

(*) لقد تم تقديرنا لعدد السكان على اساس أن سكان بغداد الكبرى (اقضية : الرصافة – الأعظمية – الصدر(١) – الصدر (٢) – الكرخ – الكاظمية) يشكلون ٩٠٪ من السكان الحضر لمحافظة بغداد و البالغ [٦١٤٩٧١٥] نسمة عام ٢٠١١م وذلك حسب تقديرات الجهاز المركزي للاحصاء – المجموعة الاحصائية السنوية (٢٠١٠-٢٠١١) الجدول (٢- ٨ – ب) .

(٢٠) جواد مصطفى وسوسة ، احمد – المصدر السابق – ص٥٢ .

(*) الذراع السوداء تساوي ٤٩سم وفي الاغلب ٥٠ سم . عن : جواد و سوسة (١٩٥٨)- ص٦٢ .

مثل الطاهر والشماسية والمأمونية ودرب عون ، كذلك ظهرت فيها أحياء الطبقة المتوسطة مثل قطيعة الكلاب ونهر الدجاج [٢١] .

يساعدنا التركيب الداخليInternal Stracture للمدينة وتصميمها الاساس Master Planعلى امكانية تصور الواقع السكاني فيها ، فقد قسمت بغداد المدورة الى اربعة ارباع ، كل ربع منها يقع بين بابين(**) ولكل ربع اسواقه وانظمة شوارعه النافذة وغير النافذة .

ان قراءة خريطة المدينة المدورة وهي بمقياس ١/١٠٠٠٠ سم والتيحققت من قبل الدكتور أحمد سوسة ، تشير الى ان المسجد الجامع قد شيد عند مركز المدينة ، وهو ملاصق لقصر باب الذهب وتحيط بهما قصور اولاد المنصور وهي الاخرى محاطة بدوائر الدولة (دواوين الحكومة) ، وتقترب من ان يكون ١/٤ مساحة المدينة قد خصصت للوظيفة الادارية والوظيفة السياسية ، تتجه نحو مركز المدينة هذا (٤٤) سكة (دربا) .

اما الوظيفة السكنية فقد شغلت نحو ٦٠٪ من المساحة ، ويعكس تخطيط هذه الوظيفة افكارا اجتماعية ، فقد كان لكل ربع من ارباع المدينة

---

[٢١] محمد علي ، ابراهيم مرزة (٢٠٠٨) مدينة بغداد / الابعاد الاجتماعية وظروف النشأة / دراسة بنائية تأريخية – الطبعة الاولى – الحضارية للطباعة و النشر – بغداد – ص ١٠٢ .

(**)هذه الابواب هي : باب خراسان في الشمال الشرقي وباب الشام في الشمال الغربي وباب البصرة في الجنوب الشرقي وباب الكوفة في الجنوب الغربي . عن : جواد وسوسة (١٩٥٨) مصدر سابق – ص٥٣ .

شخص مسؤول ، وكانت تقيم فيه ، بصفة عامة ، جماعة اثنية متجانسة من العرب او الفرس او الخوارزم وغيرها . وقد يحصل التجانس المهني فللجند منطقتهم السكنية وهي في شمال وغرب المدينة خارج الاسوار ، بينما تتركز المنطقة السكنية للتجار وللصناع وللحرفيين في الجانب الغربي (الكرخ) جنو بقناة الصراة كما ظهرت الاسواق المتخصصة .

فتركز ما تبقى من المساحة وهي ١٥٪ فقد استغل لوظيفة التجارة والخدمات والصناعة (الحرف) ، تركزت الحرف في منطقة راس الجسر الشرقي وتركزت منطقة الاصطبلات في الربع من خراسان ، ومنطقة الشرطة والحبس (سجن المطبق) بين باب البصرة وباب الكوفة ، وانتشرت الوظيفة السكنية على مناطق السكك والدروب كما اشر الى عددها . وتركزت الوظيفة الثقافية والتعليمية عند وسط المدينة ضمن قصور الحكومة وقصور النخبة ، بينما توزعت الوظيفة الدينية على ارجاء واسعة من المدينة حيث توجد المساجد الى جانب المسجد وهي تقوم بوظيفتها ، الجامع الملاصق لقصر باب الذهب .

ان تعدد وظائف المدينة ، السياسية والادارية والسكنية والخدمية والتجارية والصناعية والثقافية والدينية يؤشر حالة من النمو الاقتصادي ومن التطور الاجتماعي ومن نمو السكان ، فأصبحت بغداد تنمو سكانيا بفعل العاملين المعروفين في علم السكان وهما العامل الطبيعي الناتج عن الفرق ما بين الولادات والوفيات ، والعامل المكاني ، عاملا لهجرة ، وهي اعداد الوافدين الى المدينة والراغبين بالعيش فيها .

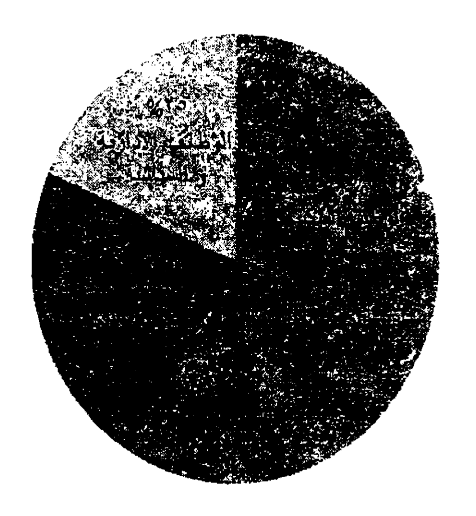
طبيعة التركيب الوظيفي Functional Stracture التي حددنا ملامحها تجعلنا نطمئن الى ان تقديرنا حجم السكان في بغداد في هذه المرحلة بحدود ٥٠٠٠٠٠ نسمة هو تقدير غير مبالغ فيه ولعله يمثل الحدود الدنيا .

الجدول (١)/ توزيع مساحة المدينة على الوظائف (التركيب الوظيفي)

الوظيفة	المساحة كم٢	٪
الادارية والسياسية	٢,٠	٢٥
التجارة -الحرف-الخدمات	٢,٤	٣٠
السكنية	٣,٦	٤٥
المجموع	٨,٠	١٠٠

- تقدير الباحث

الشكل (١)



توزيع مساحة بغداد على الوظائف الرئيسة

(عهد الخليفة ابو جعفر المنصور) ١٤٥ - ١٥٨ هـ

(٤) هرم السكان :

يستند توصيفنا هرم السكان في مدينة بغداد في هذه المرحلة المبكرة من تاريخها الى ادبيات علم السكان " ادبيات الديموغرافية " وبشكل خاص تلك الادبيات التي تناولت المجتمعات القديمة .

فالبنسبة الى التركيب النوعي " التركيب الجنسي -- Sex -- Stracture " فاننا نتوقع تفوق اعداد الذكور Male على اعداد الاناث Female وذلك بفعل ان مجتمع السكان في المدينة قد تشكل بنسبة كبيرة من افراد الجيش العائدين من " مطلية " وكانوا تحت قيادة إبن اخ الخليفة ابو جعفر المنصور ، ابراهيم بن محمد الامام والذين اشتبكوا مع الروم في عدة معارك ، وقد تم تقديرنا لاعدادهم ، وهم في الغالب من العازبين والقليل منهم الذي اصطحب معه اسرته .

الى جانب ذلك فان مجتمع السكان الاول كان من المهاجرين الوافدين الى بغداد ، من سكان القرى المجاورة ومن حواضر العراق الاخرى ، الكوفة والبصرة ، ونتوقع ان هذه الهجرة كانت هجرة عمل فهي في الغالب هجرة ذكورية وليست اسرية .

على اساس هذه التصورات نتوقع ان التوزيع النوعي للسكان كانت بنسبة تتراوح مابين ٦٠٪ – ٥٥٪ للذكور وبنسبة ٤٥٪ – ٤٠٪ للاناث ، وهذا يعني ان عدد الذكور يتراوح ما بين ٣٠٠٠٠٠ – ٢٧٥٠٠٠ نسمة بينما كان عدد الاناث يتراوح ما بين ٢٢٥٠٠٠ – ٢٠٠٠٠٠ نسمة .

وتؤشر لنا هذه النسبة المئوية الى ان نسبة النوع Sex -- ratio كانت تتراوح ما بين ١٥٠ – ١٢٢ ذكرا لكل ١٠٠ انثى ، وهذا واقع سكاني تجاوز الحدود

المعروفة عالميا في الوقت الراهن حيث ان نسبة النوع تتراوح ما بين ١٠٠ – ١٥٠ عادةً .

اما بصدد التوزيع العمري فالثقافة الاسلامية السائدة والمشجعة على الزواج المبكر وتعدد الزوجات لاشك من انها تسببت في ارتفاع عدد المواليد بحدود .... ولكن من جانب اخر تسببت الظروف الصحية المتخلفة في ارتفاع عدد الوفيات وبشكل خاص وفيات الاطفال الرضع infant mortality ونقدرها بحدود .... من ذلك فان المعدل السنوي للزيادة الطبيعية للسكان ، وهو ما يطلق عليه بالنمو الطبيعي ، منخفض وهو .... على ضوء تقديراتنا للولادات والوفيات .

وعلى اساس هذه التوقعات فان النسبة التي يشكلها صغار السن (دون ١٥ عاما من العمر) لاتزيد على ٤٠٪ كما ان الظروف الصحية غير مناسبة للأعمار الكبيرة حيث ان متوسط العمر لايتجاوز ٤٠ عاما ، من ذلك نقدر نسبة كبار السن (ممن تتجاوز اعمارهم ٦٥ عاما) بحدود ١٪ ، وبذلك فان الفئة الوسطى (ما بين ١٥ – ٦٥ عاما) هي السائدة حيث تشكل هذه الفئة نسبة ٥٩٪ .

على وفق هذه النسب فان هرم السكان يتشكل من التركيب العمري (للفئات الثلاث الرئيسية) كالاتي :

- الفئة الاولى (صغار السن) = ٢٠٠٠٠٠ نسمة .
- الفئة الثانية (الوسطى) = ٢٩٥٠٠٠ نسمة .
- الفئة الثالثة (كبار السن) = ٥٠٠٠ نسمة .

وبالنسبة الى توزيعهم حسب النشاطات الاقتصادية فان الغالبية العظمى يعملون في النشاط الحرفي (الصناعي) وفي الخدمات على اننا نتوقع وجود نسبة من العاملين في الحقول الزراعية (البساتين) المحيطة ببغداد حينذاك . ولابد من التنويه الى ان اعداد المنتسبين الى الجيش والشرطة والعاملين في دواوين الحكومة هم في عداد العاملين في قطاع الخدمات .

نسبة الامية مرتفعة فغالبية السكان لايعرفون القراءة والكتابة ولعل نسبة كبيرة منهم يعرفون القراءة من دون القدرة على الكتابة بفضل قراءة القران الكريم .

وترتفع نسبة المتزوجين للاعمار ١٥عاما فاكثر بفعل الثقافة والتربية الاسلامية فهي قد تتجاوز ٩٠٪ وتعود نسبة العزوبية الى عدم القدرة على الزواج بسبب الحالة المادية وبسبب الحالة المرضية احانا .

هذه هي اهم الملامح السكانية (الديموغرافية) لمجتمع بغداد في مرحلة التاسيسوالنشاة ، وقد تطورت في المرحلة اللاحقة حتى اتسم المجتمع السكاني بالنمو والازدهار احانا وبالتراجع احانا اخرى ...

المراجع :

١- ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الشهير بأبن الجوزي (١٣٤٢ هـ) ، مناقب بغداد (علق عليه ونشره محمد بهجة الأثري البغدادي) ، مطبعة دار السلام ، بغداد.

٢- جواد ، مصطفى وسوسة ، احمد - دليل خارطة بغداد (المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا - المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٨ .

٣- الحموي ، الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (١٩٥٥) ، معجم البلدان ، المجلد الأول ، دار صادر ، دار بيروت .

٤- الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي (١٩٣١) ، تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، (طبع بعناية محمد أمين الخانجي) ، ج ١، الطبعة الأولى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

٥- الخفاف ، عبد علي جغرافية السكان/ اسس عامه / دار الفكر - عمان- الاردن- (١٩٩٩) .

٦- الراوي ، طه (-) بغداد مدينة السلام - دار المعارف - القاهرة .

٧- سوسة ، أحمد (١٩٦٣) ، فيضانات بغداد في التاريخ (ساعد المجمع العلمي على نشره) ج ١ - مطبعة الأديب البغدادية .

٨- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (١٩٦٦) ، تاريخ الرسل والملوك (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ، الطبعة الثانية ،دار المعارف بمصر ، ج١.

٩- محمد علي ، ابراهيم مرزة (٢٠٠٨) مدينة بغداد / الابعاد الاجتماعية

وظروف النشأة / دراسة بنائية تأريخية – الطبعة الاولى -- الحضارية للطبع والنشر – بغداد .

١٠- مرزة ، منذرجواد (٢٠٠٧) بغداد وحاكموها عبر العصور (٧٦٢- ٢٠٠٣) – مطبعة الغري الحديثة – النجف -- (اخذت عنه التواريخ المتعلقة بالخلفاء المشار اليهم في هذا الكتاب كافة).

١١- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (٢٠٠٢) ، البلدان (وصنع حواشيه محمد أمين ضناوي) ، الطبعة الأولى (منشورات محمد علي بيضون) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

مراجع الهوامش :

- مجلة الفيصل (١٩٨١) – العدد (٥) (تحقيق) المملكة العربية السعودية

- الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٣ ، مصدر سابق .
- اليعقوبي ، البلدان ، مصدر سابق .
- الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج ١ ، مصدر سابق .
- ابن الجوزي ، مناقب بغداد ، مصدر سابق .

آفاق التواصل في فن الرسالة
– مقاربة نقدية حديثة –

الدكتورة عشتار داود محمد
أستاذ مساعد / قسم اللغة العربية / جامعة الموصل
كلية التربية للبنات

الملخص :

لا مراء في ارتكاز فن الرسالة على البعد الاتصالي التواصلي المنفتح ، الذي يمنحه مفاتيح العالمية ، والوصول إلى العولمة فيما بعد ، الذي يتطلب تقصيا تواصليا ، يفيد من معطيات النقدين الأدبي والثقافي ، إذ لا ضير من اشتغالهما معا ، اعتمادا على الرأي القاضي أن "النقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام ، ومن ثم فهو أحد علوم اللغة وحقول (الألسنية) ، معنيّ بنقد الأنساق المضمرة ، التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي ، بكل تجلياته وأنماطه وصيغه ، ما هو غير رسمي ، وغير مؤسساتي ، وما هو كذلك سواء بسواء. من حيث دور كل منها في حساب المستهلك الثقافي الجمعي"[1] ، فمهمته غير محدودة إذن في حدود النصوص الأدبية ، ذات الطابع الجمالي ، وإنما تتسع لتشمل الخطاب الثقافي عموما ، ومن ضمنه الأدبي ، من خلال رصد أنساقه الثقافية المضمرة . وفن الرسالة – في جانب منه– بحاجة الى معالجة نقدية

---

[1] النقد الثقافي - قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، عبد الله محمد الغذامي : ٨٣ - ٨٤.

كهذه ، بعد شيوع رسائل التقانات الحديثة ، بما فيها من أبعاد غير جمالية. ورصد هذا النمط الرسائلي ، يكشف عن نسقه المضمر المهمّش قرائيا ، في الزمن المعاصر.

إلا أن رغبتنا في استقصاء شمولي ، دعتنا إلى عدم الاقتصار على الأنساق المضمرة ثقافيا . فسنرصد المضمر وغير المضمر ، والجمالي وغير الجمالي ، والأدبي وغير الأدبي أيضا ، على وفق مقاربة تواصلية تجمع بين النقدين ، بوصفهما اتجاهين متكاملين ، وليسا منهجين متعارضين . من خلال استثمار المعطيات التواصلية المشتركة لهما. لهذا ستبدأ المقاربة بالنقد الأدبي ، ثم تنتهي بالنقد الثقافي ، لاسيما في المبحث الخاص بـ (الوظيفة النسقية) منها . ولهذه المزاوجة مسوّغاتها التي ستتجلى في مستهل كلامنا على وظائف اللغة.

- المفهوم والنوع :

ثمة سمات تحدّد مفهوم هذا الفن الكتابي ، وتميّزه من سواه من الفنون الأدبية ، من الممكن إجمالها في تحديد جامع له ، يقف على المتداول من تلك السمات ، مهما اختلف نوع الرسالة ، الناجم من الباعث على إرسالها ، وطبيعة طرفي الاتصال -- المرسِل والمرسَل إليه - مما ينعكس على تحديد موضوعها . وسيتركز اهتمامنا على السمات المشتركة لهذا الفن ، في العرف التداولي لفن الرسالة .

فمن المسلَّم به لدينا ، أن نقل الخبر بين طرفين متراسلين - مرسِل ومرسَل إليه - هو ما تجتمع عليه التحديدات الاصطلاحية لمفهوم مصطلح

(رسالة) عموما. لذا استقر مصطلح (رسالة) – بمفهومه التواصلي العام – حديثا ، على أنه "المحتوى الذي يرغب المرسِل في إبلاغه للمتلقي ، ويتضمن هذا المحتوى المعلومات ، والأفكار ، والفرضيات .. الموجودة في ذهن المرسِل ، الذي يعمل على إرسالها إلى متلقي معين ، بغية التأثير في سلوكه"[٢]. فإن إرسالها إلى المتلقي أو المرسَل إليه ، يتطلب تحقّق الاتصال. أمّا التأثير في سلوكه ، فيحوّل الاتصال إلى تواصل ، نتيجة التفاعل المتحقّق بين المرسِل والمرسَل إليه ، عبر التأثير والتأثّر.

لهذا نجد ثمة تواطؤ ، يصل إلى درجة البداهة ، على مفهوم الرسالة ، بوصفه منسربا – بمختلف تمظهراته – من "اقتران هذا المصطلح غالبا بلفظ (أبلغ وما يُشتق منه)"[٣]. الذي قد يقتصر على الرموز الكتابية ، وقد يتخطاها ، ليتحقّق التواصل مهما كانت النتائج . وهذا التعاقد من المسلّمات العرفية لغويا ، بوصف المادة الخام لفن الرسالة هي اللغة ، إذ يرى فردينانـد دي سوسير في اللغة "المجموع الكلي للعادات اللغوية التي تساعد الفرد على أن يفهم غيره ويفهمه غيره"[٤] ، وهو ما يجعلنا نؤكّد ضرورة توفّر البعد التداولي ، في أية عملية تراسل ، لغرض تحقّق القصد التواصلي المرجوّ من الشروع في المراسلة ، عبر مراعاة مبدأ التعاون بين المتراسلين ، من خلال جعل المشاركة "على النحو الذي يتطلبه (..) الغرض

---

[٢] المحاورة– مقاربة تداولية ، الدكتور حسن بدوح : ٣٤.

[٣] الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي ، غانم جواد رضا: ١٤.

[٤] علم اللغة العام ، فردينان دي سوسير ، ترجمة : الدكتور يوئيل يوسف عزيز : ٩٥.

أو المآل المسلَّم به من التخاطب المعقود"[٥]. وهذا المفهوم نجده بشكل نظامي وممنهَّج لدى السيميائيين ، الذين كان مصطلح (رسالة) من أهم مصطلحاتهم ، بوصفها عندهم "تلك المعاني التي تُنقَل إلى العقل المدرِك من خلال رموز لغوية ، أو وسائل توصيلية أخرى ، (...) أو رسائل ذهنية متواضَع عليها"[٦]. فالتواضع بين طرفي الاتصال ، يعزز البعد التواصلي للرسالة بمفهومها العام لديهم .

وبما أن الاسم سمة المسمى ، فالرسالة ليست رسالة ، لولا كونها تتطلب طرفين تواصليين تتوسط بينهما ، هما المرسِل والمرسَل إليه ، لذا تنوعت أنواع الرسائل بحسب طبيعة الإشارة المراد توصيلها ، مما يتطلب اختلاف طبيعة اللغة : فهناك لغة الجسد ، ولغة الصورة ، ولغة الكتابة ، .... ولغة الإشارة إذا أردنا التعميم على كل الموجودات ، وكل لغة قائمة بالضرورة على شفرات معينة ، صالحة لأن تُترجَم إلى محمول دلالي ، عبر رسالةٍ ما . وكل هذه الرسائل مادة لعالمية الإشارة ، حتى تحول كثير من الإشارات إلى رموز عرفية عالمية ، فـ " في حين تكون الشيفرة معطى من معطيات الرسالة ، يقدّمها المرسل ظاهريا ، يجد التفسير عبارة عن شبكة يحملها المتلقي: شبكة فلسفية ، وجمالية ، وثقافية ، يطبّقها على النص"[٧].

من الواضح ذلك التعميم الشمولي الذي اتسع له مصطلح (رسالة) ، في مفهومه التداولي- السيميائي العام ، مما دعا إلى استيراده في ميادين

---

[٥] الاقتضاء في التداول اللساني ، عادل فاخوري : ١٤٦.

[٦] معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وكامل المهندس : ١٧٧.

[٧] علم الإشارة - السيميولوجيا ، بيير جيرو ، ترجمة : منذر عيّاشي : ١١١.

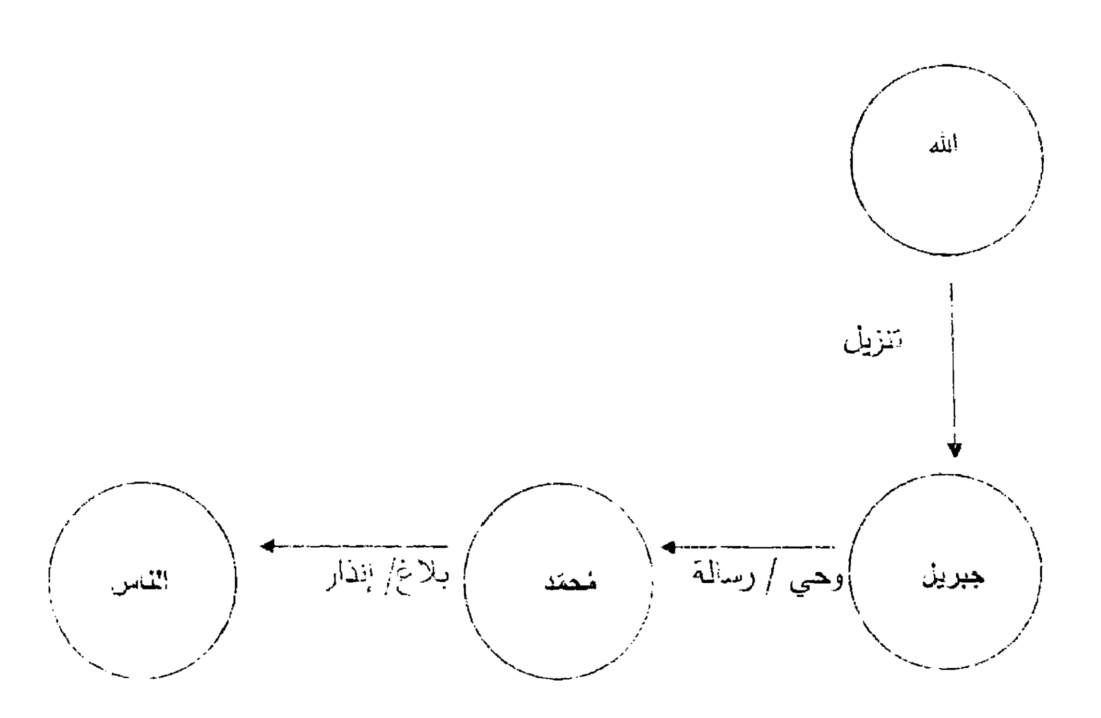
معرفية مختلفة ، ومن أهمها استثمار الخاصية التواصلية للمصطلح لغرض الإحالة على المعنى الديني ، بوصفه يمثّل "تبليغ الإرادة الإلهية للإنسان بوساطة كتاب منزّل أو نبي موحى إليه"[٨] ، حتى تخصصّت هذه الدلالة بالدين الإسلامي ، بوصف الإسلام رسالةً تواصلية كونية ، لكونه الدين المرسّل للتقريب بين أعراق بشرية مختلفة ، مهما اختلف الزمان والمكان ، لذا وُصف بأنه "رسالة السماء إلى الأرض ، لكنها ليست رسالة مفارقة لقوانين الواقع بكل ما ينتظم في هذا الواقع من أبنية ، وأهمها البناء الثقافي"[٩] ، مما يقتضي بالضرورة أن يكون هنالك مرسِل أول ، لمتلقٍ أول – الوحي – الذي سيكون بدوره مرسِلا لمتلقٍ سيغدو مرسِلا ثالثا – الرسول – ، لمتلقٍ آخر يتمثل بالناس المرسَل إليهم. وهو ما يمكن اختزاله على النحو الآتي[١٠] :

---

[٨] ـ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: ١٧٧.

[٩] مفهوم النص – دراسة في علوم القرآن ، الدكتور نصر حامد أبو زيد: ٥٦.

[١٠] م.ن.: ٥٧.



أما إذا انتقلنا إلى مصطلح (الرسالة) بوصفه نوعا نثريا ، على وجه التحديد ، فقد طاله هذا التعميم المفهومي أيضا ، نتيجة تنوع ميادين النثر ، بعد تنوع الكتابة ، حتى صرنا نرى كثيرا من الكتب التي تتصدّر عنواناتها لفظة رسالة أو رسائل ، وأغلب هذه الكتب كانت تُعنى بقضية فكرية ، يؤدي فيها الكاتب رسالته في إبلاغ مضمونها القرّاء ، وقد تتخذ طابعا تقريريا علميا ، وهي بعيدة عن اهتمامنا ، أو طابعا أدبيا ، غالبا ما يكون قصصيا ، فبذور فن القصة عربيا ، نجدها في كتب تصدّر عنوانها لفظة رسالة. ومن أهم ما يميّز هذا النوع من الرسائل ، عن الرسالة بمعنى المكاتبة التي سنتناولها لاحقا ، أنه لا نجد مرسَل إليه معين ، يكتبها الكاتب لأجله ، فليس بالضرورة وجود رسالة ، بمعناها الاصطلاحي التكاتبي فيه(*) ، بل

يتعدّد المتلقون الافتراضيون في ذهن الكاتب ، المرسَل إليهم الكتاب ، بوصفهم قرّاءه ، فإن العملية في هذا النوع من الرسائل هي إرسال وليست تراسلا ، وقد تتعدى المسألة تحقيق مجرد الاتصال لتصل إلى درجة التواصل ، إذا تحقّق تفاعل القارئ.

وأحيانا تكون ثمة مجموعة رسائل في كتاب واحد ، ذات محمول فكري وطابع تقريري ، وطول يميل إلى القصر نوعا ما ، وهو ما يقرّبها من مصطلح الـ (مقالة). ممّا دعا صاحب كتاب (من أدب الرسائل) ، إلى أن يرى أن ثمة مفهومين لمصطلح رسالة ، وسنورد رأيه على الرغم من أننا نرى المسألة تتجاوز المفهومين حسب ، وسيتضح ذلك في هذا العرض المفهومي للمصطلح ، إذ يقول في الرسالة: "فهي تعني المقالة ، مثل رسائل (ابن العميد) ، ثم استُحدثت في العصر الحديث كلمة مقالة ، على الطريقة الأوربية. كما تعني الرسالة (..) الكتاب المرسل بمفهومه الشامل"[١١]. وهذا المعنى المقالي يفسّر لنا ما ذكره الجرجاني في كتابه التعريفات حول مصطلح (رسالة) ، عند انشغاله بهذا المفهوم منها قائلا: "هي المجلة المشتملة على قليل من المسائل التي تكون من نوع واحد ، والمجلة هي الصحيفة ، يكون فيها الحِكَم"[١٢]. فقد أسهم عدم وجود مصطلح خاص بفن

---

[*] يختلف تحديدنا هذا عن تحديد صالح بن رمضان في ذهابه إلى ضرورة توفر مراسلة تكاتبية بين الشخصيات لديه. ينظر رأيه هذا في : الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم- مشروع قراءة شعرية : ١٥- ١٦.

[١١] من أدب الرسائل ، ناجي جواد ، ج١: هامش ص ٦.

[١٢] كتاب التعريفات ، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني : ٩١.

المقالة قديما ، في اصطلاح مصطلح رسالة عليه ، بشكل غير مباشر ، نتيجة التقارب الكبير بين الفنين ، على نحو فاعل.

ومصطلح مقالة – بحد ذاته – يعاني ما يعانيه مصطلح رسالة ، لدرجة وصفه بأنه لا يُعرف مصطلح "في النقد العربي الحديث يفتقر إلى الدقة ، وينمّ على الاضطراب ، مثل مصطلح (المقالة)" [١٣]. وربما كان اضطراب مصطلح مقالة هذا ، سبب في تداخله بمصطلحات مجاورة ، وأكثر مصطلح حريّ بهذا التداخل مصطلح (رسالة) المتاخم له. إذ يعود وجود مفهومين لمصطلح رسالة – المقالة والرسالة بمعنى المكاتبة – إلى كون المصطلحان يتداخلان في مفهوميهما شكلا ومضمونا معا . وذلك يعود إلى ثلاثة أسباب :

الأول: لما تتصف به الرسالة – المكاتبة – من بعد مقالي أدبي ، ذي طبيعة تقريرية عند اجتماع الرسالة مع المقالة ، في تداخل بعض أنواعهما . ففي الوقت الذي نجد فيه المقالة الذاتية ، نجد الرسالة التقريرية المباشرة أيضا ، القائمة على سرد الأخبار التي يجهلها المرسَل إليه. هذا من حيث المضمون.

أما الثاني والثالث : فمن حيث الشكل ، إذ يعد كلّ من الرسالة والمقالة معا ، فنين يميلان للقصر ، فضلا عن أنهما فنّان أدبيان ملازمان للكتابة بلا منازع ، حتى سُميت الرسالة بالمكاتبة والكتابة والكتاب أيضا ، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن مصطلح "الكتاب (..) يحيلنا على الجانب

---

[١٣] دفاع عن المقالة الأدبية ، الدكتور فائق مصطفى: ٩– ١٠.

المادي في عملية الإرسال"[14]. وقد حاز تجويد الخط الكتابي على أهمية كبيرة في فن الرسالة[15]. مما يجعل كلا من الرسالة والمقالة ، يتبوءان مكانتيهما الأدبية بامتياز ، فالعمل الأدبي "يمثل خطابا مكتوبا لا محكيا"[16] بالأساس. فالكتابة تجعله منفتحا على باحة التأويل ، قابلا للتعدد القرائي ، نتيجة للبعد الاحتمالي المكثف الذي تمنحه له ، بعيدا عن التوجيه القرائي للكلام المحكيّ ، من خلال تحكّم الكاتب في القراءة ، عبر تنغيمه الصوتي ، ولغة جسده ، لذا كان النص "المكتوب -وخاصة المطبوع - لا يعطينا أية معلومات عن كاتبه الغائب أصلا في فترة التلقي. إن متلقي الإرسالية عرضة للعديد من الاحتمالات (...) ، فليس للنص المكتوب سياقٌ في غالب الأحيان ، أي ليس له مقام محدّد حاضر معه في وقت واحد بالنسبة إلى المتلقي"[17]. إذ لم ينتقل مصطلح (رسالة) إلى المفهوم المتعارف عليه اصطلاحيا اليوم ، إلا عندما بدأت مرحلة التدوين ، وانتقل من مفهوم النقل الشفوي للخبر قبل ذلك ، إلى اتخاذه "للدلالة على النص المدوّن ، الذي يبعثه المرسِّل إلى المرسَل إليه"[18]. وعملية تدوين الخبر كتابيا ، نقلته من ساحة الخبر الكلامي ، إلى الخبر النصي ، بوصف الكتابة واحدة من أهم شروط حيازة الكلام على مشروعيته النصية ، بوصف الأدب هو ما يمسلح

---

[14] الرسائل الأدبية : ١٠٧.

[15] ينظر: م.ن. : ١٢٣- ١٢٨.

[16] الأدب والدلالة . ت . تودوروف ، ترجمة: الدكتور محمد نديم خشفة : ١٥.

[17] م.ن. : ١٨.

[18] الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي : ١٦.

لأن يدوّن حفاظا عليه من الضياع. فبحسب بول ريكور "تقتصر كلمة نص على كل خطاب تمّ تثبيته بواسطة الكتابة"[19]. لهذا ثُبّتت كل الآثار الأدبية الشفاهية كتابيا ، لغرض توثيقها ، لأنها مؤهلة للتوثيق . وكتابية الرسالة من أهم الأسباب التي تجعلها تتصدر الفنون في خصوصيتها الإبداعية ، لدرجة تعد معها أية رسالة أبداعا أشبه بالمغامرة لدى نزار قباني ، إذ يقول في ذلك: "قليلون جدا هم الذين يعرفون أن يكتبوا رسالة.. ولا أستثني الكبار من شعرائنا.

الرسالة عملية إبداعية خطيرة ، وقد تكون أهم من قصيدة وأخطر من ملحمة.. ولو طلبتَ إلى روّاد الشعر عندنا أن يكتبوا رسالة –أي رسالة– لارتبكوا"[20].

إلاّ أن هذه المكانة الادبية لفن الرسالة لم تشفع له لدى النقّاد المعاصرين ، فقد تسبّب الاضطراب المفهومي ، في عزوف القارئين من النقّاد عن تقصّيه ، على خلاف ما حظيت به الفنون الأدبية الباقية ، بفرشة واسعة من الدراسات المستفيضة ، شأنه في ذلك شأن المقالة الأدبية ، وكأنهما ليسا أدبين . ويعدّ هذا التقصير الحاد من النقّاد ، أهم أسباب عدم استقرار مصطلح (الرسالة) مفهوميا في العصر الحديث .

أما المفهوم الأخير لمصطلح (رسالة) ، فهو أهمها جميعا ، وهو الذي يعنينا على مدى اللاحق من هذه المقاربة ، لأنه المفهوم الذي استقر عليه مصطلح (رسالة) حديثا ، في ساحة (الأدب) ، ويتشاطر مع المفهوم

---

[19] نقلا عن : النص القرآني من الجملة إلى العالم ، وليد منير : ٢٤.

[20] نقلا عن : رسائل حب بالأزرق الفاتح ، محمد صابر عبيد : ١٧- ١٨.

السيميائي التداولي العام -الذي ذكرناه بدءً - في الانتشار على ساحة (النقد). وهذا المفهوم يعني المكاتبة بين طرفين متراسلين. وعلى الرغم من الاختلاف بين القديم والحديث في تعدّد المفاهيم ، وفي البناء الداخلي للرسالة ، وفي أنواع الرسائل التكاتبية ، فلم يختلف مفهوم الرسالة بمعنى المكاتبة التراسلية على وجه التحديد ، عنه حديثا ، من حيث التحديد الإجرائي ، "فيقوم بمحادثة مكتوبة توفرت لها أساليب الفن وفنون البلاغة"[٢١].

إذ يقتضي فعل التراسل - بالضرورة - أمرين متقابلين هما : التباعد والتقارب بين طرفين . ويتمثّل التباعد في غياب المرسَل إليه ، إذ تُوظَّف الرسائل -- غالبا - في حالة التواصل عن بعد ، فقد كانت الرسالة على مرّ العصور ، وسيلة للتواصل بين الناس الذين تفصل بينهم المسافات ، أو الأعراف ، بتسخير وسائل مختلفة ، باختلاف المسافات والأزمان. أما التقارب فيتمثّل في ضرورة التعاقد بين طرفي التراسل ، من خلال وجوب توفر التوافق في أي تراسل تواصلي ؛ حتى وإن اختلف طرفاه فكريا ، فثمة تعاقد ما يجمعهما ، وهذا التعاقد يتخذ تشكلين : إذ يمكن القول أن "بينهما ميثاق حاسم في تحديد هوية (المروي) النوعية"[٢٢] ، الذي يتطلب بدوره تعاقدا آخر حول موضوع الرسالة وسياقها الزمكاني. بوصف التراسل

---

[٢١] تاريخ الأدب العربي ، حنا الفاخوري: ٤١.

[٢٢] تمظهرات التشكل السير ذاتي- قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتية ، محمد صابر عبيد: ١٥٢.

"يخاطب شخصاً يشترك والمتكلم في نفس المرجع ، وهذا الاشتراك يمكن أن نصطلح عليه بالتعاقد الثقافي"[23].

ومن الجدير بالذكر أن ثمة مصطلحات أخرى تتخذ تشكلات رسالية ، إذ يسجّل مصطلح (رسالة) تشكلات مختلفة ، تجعله تجليا لمصطلحات أخرى ، من دون أن يختلط معها في التسمية ، كما يتحقق ذلك في مصطلحي التوقيع ، والسيرة الذاتية ؛ اللذين سنتناولهما بمبحثين لاحقين ، كلّ على حدة ، فإذا كان التوقيع أحد تشكلات الرسالة ؛ فإن الرسالة هي أحد تشكلات السيرة الذاتية . ومن التشكلات الأخرى التي تتخذها الرسالة ، هي الرسالة المعروضة عبر فن الخبر ، كالرسائل المعروضة في النشرات الإخبارية ، بين شخصيات وقادة سياسيين على سبيل المثال لا الحصر .

ولا مناص من الإشارة هنا إلى ما يسجّله النقّاد من تقارب فن الرسالة ؛ مع كل من الخطابة والشعر أيضاً[24] ، من دون الاختلاط معهما في التسمية. ولن نفصّل القول في ذلك نظرا لأننا نجده تقاربا بسيطا ، من الممكن أن نجده بين أجناس وأنواع أدبية مختلفة ؛ نظرا لانتسابها جميعا إلى الأدب لا أكثر ، كما يحدث مع الشعر ، أو لانتسابها لجنس النثر تحديدا ، كما يحدث مع الخطابة .

---

[23] الرسائل الأدبية : ١٥٣.

[24] ينظر: التفاعل في الأجناس الأدبية – مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة ، بسمة عروس : ١٤٧– ١٧٥. وينظر : جذور نظرية الأجناس الأدبية في النقد العربي القديم ، الدكتور فاضل عبّود التميمي : ٩٥– ١٠٠.

وقد أسهم عدم الإستقرار المفهومي لمصطلح (رسالة) ، إلى عدم الاستقرار اللفظي له أيضا ، فقد تنوعت الألفاظ التي وُظّفت للإحالة على المفهوم قيد الرصد ، ومن تلك الألفاظ على مدى تاريخ الأدب العربي : الكتاب ، والألوكة ، والصحيفة[٢٥] ، والكتابة والمكاتبة والكتاب ، وفن الكتابة ، وفن الكتابة الأدبية . يضاف إلى ذلك : فن الرسالة ، وفن الرسائل ، والرسالة الأدبية ، والرسائل الأدبية ، وفن الرسالة الأدبية ، وفن الرسائل الأدبية ، بصيغتي الإفراد والجمع لكلّ من تلك المصطلحات غير القارّة ، فضلا عن الترسّل ، وفن الترسّل أيضا ، نسبةً إلى عدّهِ أحد ميادين النثر المرسل ، من دون أن ننسى مصطلح الرسالة .

فقد تضارب فنّ الرسالة إذن ، حشدٌ من المفاهيم والمصطلحات أيضا ، لدرجة تجعلنا نرى أنه من أكثر المصطلحات الأدبية التي وقعت ضحية إشكاليات الغموض الاصطلاحي وتبعاتها. ومما تجدر الإشارة له في هذا المعرض ، أنه على الرغم من استقرار المفهوم مؤخرا ، إلا أن اللفظ مازال قيد عدم الاستقرار النسبي ، مع شيوع مصطلح الرسالة بشكل أكبر من سواه ، للإحالة على الرسالتين الادبية وغير الأدبية ، نظرا لشموليته على كل خطاب يحيل على نقل الخبر . وتشاطَر مصطلحا فن الرسالة والرسالة الأدبية ، الشيوعَ مؤخرا للإحالة على الرسالة التي تهيمن فيها اللغة وآلياتها الفنية ، على ثنايا الخطاب التراسلي. غير أننا نرى أن مصطلح (فن الرسالة) أكثر شمولا ، لأنه معنيّ بالأبعاد الفنية للغة التراسل عموما ، سواء أكان أدبيا أم غير أدبي ، ولسنا معنيين هنا بالمفهوم الخاص لكلمة

---

(٢٥) ينظر: الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي : ١٤- ٢٤.

فن ، وإنما سنوضفها بمفهومها الشمولي ، على التوظيف الكتابي للممارسة الذهنية.

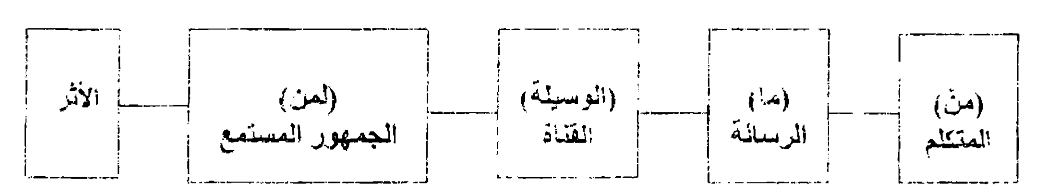
- **السمات المؤهّلة للتواصل :**

لقد طال مصطلحَ الرسالة في العصر الحديث تعميمٌ كبير ، على يد الاتجاه السيميائي في النقد ، حتى غدا أي تواصل يقتضي وجود رسالة ما ، بوصف أركان عملية التراسل متوفرة فيه . بشكل تجريدي موسع . ومن هذا المنطلق السيميائي ، فمن الأحرى أن يتجلى التواصل في فن الرسالة بصورة أكثر تكثيفا ، من الأنواع والأجناس الأدبية الأخرى لسببين ، الأول : لأن أركان عملية التراسل واضحة في فن الرسالة ، بشكل مجسّد عبر شخوص غالبا ما يكونون معلومين . لذا يمكن القول : إن الرسالة تعدّ تجسيدا أمينا لمخطّط الاتصال -- مرسِّل ، رسالة ، مرسَل إليه -- من دون الانحراف عنه . الثاني : إن التراسل يقتضي التناوب في الأدوار بين المرسِّل والمرسَل إليه ، مما يؤدي إلى أن يتحول (الاتصال) المنطلق من المرسِل الموجه إلى المرسَل إليه ، إلى (تواصل) بحكم التبادل التفاعلي بينهما .

وإذا بحقّ لنا أن نتساءل : هل العولمة لم تتساوق مع فن الرسالة سوى في عصرها -- عصر الثورة المعلوماتية التفاعلية -- عند تحولها لرسالة افتراضية رقمية ؟ أم أن فن الرسالة يحمل هذه الخصيصة ذاتيا ، وعلى مدى العصور ؟

في الحقيقة أن فن الرسالة يحمل خصيصة العالمية ذاتيا ، مما أهّله فيما بعد للعولمة ، بوصفها نتيجة طبيعية للبعد التواصلي المكثّف فيه.

وإذا أردنا أن نفهم البعد التواصلي المكثف للرسالة عموما ، التي يستقي منها فن الرسالة الأدبية تواصليته ، نقف عند مخطط الاتصال الذي وضعه أرسطو ، القائم على (المتحدث ، والقضية ، والكلام ، والمجتمع) [٢٦]. ولطبيعة قناة الاتصال أثر فاعل في مدى تحقق الإقناع من الرسالة أو عدمه ، المتمثل بـ (الأثر) ، وهو ما نجده لدى هارولد لاسويل ، بعد تطويره لأطراف عملية التواصل لأرسطو [٢٧] ، على نحو تتوسطه قناة الاتصال ، وتنتهيا بالأثر الدلالي :



وقد حازت هذه الترسيمة على رواج واسع الانتشار بين صفوف العلماء ، في ميادين المعرفة المختلفة ، نظرا لكونها انشغلت بالبعد الإجرائي للرسالة ، الذي يمنحها قيمتها التواصلية ، بشكل أكثر تكثيفا وتطورا ، الذي نجده يتساوق مع المعطيات النقدية الحديثة ، كما يتجلى لدى باختين على النحو الآتي [٢٨] :

---

(٢٦) نقلا عن : تأصيل الاتصال والإعلام : ٧- ٨ .

(٢٧) نقلا عن : م.ن. : ص.ن.

(٢٨) المبدأ الحواري دراسة في فكر ميخائيل باختين ، تزفيتان تودوروف ، ترجمة : فخري صالح : ٧٥.

الموضوع الملموس

المتكلّم ———— التلفظ ———— المستمع

علاقات التناص

اللّغة

أما رومان جاكوبسن ، فقد أورد ترسيمة الاتصال ، مستفيدا من عوامل التواصل اللساني لدى أرسطو . وكان للتطور الذي أحدثه فيها أثرٌ كبير في انبثاق اتجاهات نقدية جديدة ومتجددة ، تتمثّل بـ (الشعرية) وما بعدها[٢٩]:

سياق

مرسَل ...... رسالة ...... مرسَل إليه

اتصال(*)

سُنن

ومن الممكن توظيف هذا التطوير الذي أدخله ياكوبسن على ترسيمة عوامل التواصل اللساني ، في خدمة الرسالة قيد الرصد ، بوصفها تنخرط من الرسالة اللسانية بمفهومها الأعم . من خلال تجلي وظائف اللغة الست على النحو الياكوبسوني الآتي[٣٠] :

---

[٢٩] قضايا الشعرية ، رومان جاكوبسن ، ترجمة : محمد الولي ومبارك حنون : ٢٧.

(*) المقصود بـ (الاتصال) هنا : قناة الاتصال ، أو الوسيلة ، أو الوسيط.

[٣٠] قضايا الشعرية : ٣٣

مرجعية

إنفعالية　　　شعرية (جمالية)　　　إفهامية

إنتباهية

ميتالسانية

وجدير بالذكر هنا أن عبد الله الغذامي يستدرك على المخطط الياكوبسوني ، من منطلقاته النقدية الثقافية ، ليضيف وظيفة سابعة ، هي (الوظيفة النسقية) [٣١] ، التي سنوضحها في مبحث مستقل . فثمة أبعاد إقناعية ، تتوفر في الرسالة اللغوية عموما ، هي : النفسي ، والأسلوبي ، والاجتماعي [٣٢] [*] ، وإذا اعتمدنا على إضافة الغذامي للوظيفة النسقية ، فثمة بعد تاريخي أيضا. إلا أنه غالبا ما يشتغل بشكل عكسي للفعل الإقناعي ، لذا فهو مضمر ، أو من الممكن القول أن تحقيق الإقناع يقتضي إضماره . والأبعاد الثلاثة الأولى تآزرت لتجعل فن الرسالة تحديدا ، فنّا تواصليا بامتياز ، أما البعد الرابع فيهدم التواصل في تلك الأبعاد ، بوصفه تواصلا إيهاميا ، محققا تواصلا كشفيا من نوع خاص.

---

[٣١] ينظر : النقد الثقافي : ٦٤- ٦٦ ، وإعلان موت النقد الأدبي - النقد الثقافي بديلا منهجيا عنه ، عبد الله الغذامي ، ضمن كتاب : نقد ثقافي أم نقد أدبي : ٢٦- ٢٧.

[٣٢] حول هذه الأبعاد الثلاثة في الرسالة بمفهومها الأعم ، ينظر : من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، الدكتور معتصم بابكر مصطفى : ٣٥- ٤٦.

[*] علما أننا رجحنا توظيف لفظة (أبعاد) العربية ، بدلا من لفظة (إستراتيجيات) الواردة في الكتاب ، فضلا عن ترجيحنا (البعد الأسلوبي) ، بدلا من (إستراتيجية إنشاء المعاني) ، لأننا وجدناه أكثر دقة في إيضاح المقصود.

وبالاعتماد على ترسيمة ياكوبسن للوظائف الست ، واستدراك الغذّامي ، نرى أن الوظائف الرئيسة في إنجاز (فن الرسالة) هي : الانفعالية والجمالية والإفهامية والنسقية ، أما الوظائف الباقية فتندرج ضمنا بحكم الضرورة الإقتضائية. ويتجلى ذلك على النحو الآتي:

- **الوظيفة الانفعالية :**

ثمة تواصلية عالية تكمن في بروز البعد الذاتي المكثّف لفن الرسالة ، القائم على الوظيفة الانفعالية (التعبيرية) فيه ، وهي الوظيفة المتمحورة حول المرسِل ، فإن هذا البعد الذاتي في فن الرسالة إذن ، ذو طابع انفصالي اتصالي مزدوج ، من خلال قابليته للانفلات من ذات المرسِل ، والتناسخ والاستنساخ مع ذوات القرّاء ، مهما تعدّدوا أو اختلفوا ، مما يمنح كلّ قارئ للرسائل شعورا بأن المرسِل يعبّر عن ذاته بوصفه قارئا ، فالرسالة تبدو لحظة القراءة ، غير خاصة بمرسلها. مما يمنحها بعدا قرائيا متجددا مهما اختلف الزمان والمكان ، "لذلك بقيت هذه الرسائل تُناقش وتُقرأ إلى يومنا هذا"[٣٢].

فإننا نجد تأكيد ضرورة توفر الطابع الذاتي فيها ، بشكل أكثر عمقا واتساعا من سواها من الأنواع النثرية ، نظرا لكون الرسالة اتخذت طابعا ذاتيا بتقادم الزمان ، ممّا يجعل هذه السمة ركنا رئيسا يقوم عليه فن

---

[٣٢] الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، زينة عبد الجبار محمد المسعودي : ٦٧.

الرسالة ، لذا توصف الرسالة في المعاجم الحديثة بأنها "تتخذ من خصال النفس البشرية وأهوائها وأخلاقها وخيرها وشرها موضوعا لها"[٣٤].

من هنا نرى أن فنّ الرسالة يرتبط ارتباطا حتميا وثيقا بفن السيرة الذاتية ، نظرا لكونهما معا فنين ذاتيين ، يتوحد فيهما المرسِّل (الراوي) مع الكاتب ، لهذا كانت الصلة بينهما ضاربة في القدم ، فمن الصعوبة بمكان أن نجد سيرة ذاتية تخلو من الرسائل المرسَلة من الراوي المشارك في الأحداث ، إلى شخصيات السيرة . فالرسالة "تلقي الضوء على تجربة الأديب أكثر من أي مصدر سير ذاتي آخر"[٣٥]. لذا تحوّلت الرسائل في الأدب الحديث ، إلى أشبه بالمذكرات السير ذاتية ، نتيجة سببين :

الأول: تعدّ الرسالة مرتعا خصبا للمواثيق السيَر ذاتية ، التي من بينها توقيع كاتب الرسالة في خاتمتها ، إذ "يشير التوقيع إلى المتلفّظ"[٣٦] ، والتوقيع أهم المواثيق السير ذاتية في الرسالة الذاتية ، نظرا لتواتره الذي يكاد يكون قارًا ، وقيمته الميثاقية الإحالية ، فغالبا ما يحمل التوقيع اسم المرسِّل ، وتاريخ كتابة الرسالة ، كما أن إقران التوقيع بضمير المتكلِّم المتواتر على مدى الرسالة ، يشكّل إحالةً تلقائية لمرجع الضمير ، من خلال التوجيه القرائي الذي يمارسه التوقيع. أما السبب الثاني: فيتمثل فيما تحمله الرسالة

---

[٣٤] معجم المصطلحات العربية في اللغة العربية : ١٧٨.

[٣٥] التشكيل النصي - الشعري ، السردي ، السير ذاتي ، الأستاذ الدكتور محمد صابر عبيد: ٣٠١ ، وينظر : الرسائل الأدبية : ٨..

[٣٦] ينظر : السيرة الذاتية – الميثاق والتاريخ الأدبي ، فيليب لوجون ، ترجمة : عمر حلّي : ٣٣ - ٤٤.

من بعد ذاتي مكثف ، يكشف عن شخصية كاتبها ، وأبعادها الفكرية. فهي كما يرى أحد النقاد ، في معرض حديثه على رسائل السيّاب ، أنها تمثل ميثاقا خاصا بالشاعر ، وعامّا على صلة بالمرحلة الزمنية التي كان يعيشها أيضا[٣٧].

وقد اتخذ فن الرسالة منحًى مختلفا في أدب العصر الحديث من الناحية الذاتية ، فبعد أن هيمن الطابع الرسمي على الرسائل القديمة ، بلغت درجة عالية من التطور الفكري حديثا ، بعد أن تحوّلت الرسائل إلى أشبه بالمذكرات الشخصية ، حتى حازت على انتشار واسع النطاق. فترجمة الكاتب لسيرته هي إحدى بوابات عالميته ، لما يحمله الأدب من قيمة جمالية خالدة. فـ "في (الرسائل) – كما في (المذكرات الشخصية)– يقف كاتبها في مواجهة نفسه ، ومواجهة العالم أيضا. لذلك نستطيع ، بها ومن خلالها ، التعرّف على أطوار حياة الشاعر .. كما نتعرّف على ما اتخذ/ أو تبنّى من (مواقف)"[٣٨]. وقد وعى الأدباء هذه القيمة للرسائل ، حتى جمعوها بأنفسهم ، ومنها ما جمعها آخرون لهم.

ومن أهم التجليات الذاتية لفن الرسالة ، لجوء الشخصيات القصصية لكتابتها ، في (الرواية الرسالية) ، القائمة على الرسائل بشكل كلي. وقد دخلت الرواية الرسالية عالم أدب الطفل أيضا ، حتى ظهرت روايات تنتسب إليه ، تعتمد بشكل رئيس على كتابة الرسائل . وللرواية الرسالية خصوصيتها

---

[٣٧] ينظر : رسائل السيّاب ، ماجد السامرائي : ١١ ، والتحليل النفسي لأدب المراسلات بدر شاكر السياب وغسّان كنفاني أنموذجا ، الدكتور حسين سرمك حسن: ٥.

[٣٨] رسائل السيّاب : ١٢ ، ويُنظر : من أدب الرسائل : ٧ و ٩.

الرؤيوية من حيث تمركزها حول الذات ، مما ينعكس تعبيريا على "مقدرة الراوي في مقاربة الذات من جهة ، ومقاربة الموضوع من جهة أخرى ، على نحو تصبح معها الذات الراوية ناظرا ومنظورا إليها ، لأن تعدّد زوايا الرؤية هذه ، تتيح لها فرصة كبيرة لتأمل الذات والموضوع معا ، (...) كون الراوي هو الشخصية المركزية في النص"[٣٩].

لذا من الممكن عدّ الرسالة الذاتية عموما ، والرواية الرسائلية خصوصا ، أشبه بتيار وعي موسّع ، يختزل رؤيا الذات للعالم ، من خلال ما تسطّره من توثيق مكثّف للمشاعر والأحداث.

وقد مارس الطابعُ الذاتي لفن الرسالة ، دورا كبيرا في إغراء مَنْ لا يملك ملكة أدبية أيضا للكتابة فيه ، فقد تصدّر هذا الفن الفنون الأدبية جميعا للتعبير عن موضوعة (الحب) ، من خلال شيوعه بين المحبين ، حتى شغلت رسائلهم جانبا واسعا من فن الرسالة ، على مدى العصور ، فقد كانت وسيلة مهمة لتذليل التباعد بين المحبين ، الذين قد تفصل بينهم المسافات أو الأعراف قديما وحديثا. وقد أُلّفتْ في ذلك كتب في فن صياغة رسائل الحب ، الذي يحوي رسائل جاهزة أحيانا ، ولغة الحب لغة عالمية ، تكاد تتفق في مضامينها.

وهذا القدر العالي من الكشف الذاتي ، ناجم من كون الرسالة -بما تتصف به من سمات نوعية- تمنح مرسلها مساحة واسعة من حرية

---

[٣٩] مدينة الله- الرواية الرسائلية وفضاء التشكيل السردي ، الدكتور خليل شكري هيّاس: ٧٦.

التعبير[٤٠] ، فقد يلعب الانفراد مع الورق الأبيض ، دورا فاعلا في إغراء الذات الكاتبة ، للبوح بمكبوتاتها السرّية ، لتكتسب الرسالة بذلك طابعا خفيا ، يمثّل الحياة الخلفية للكاتب ، التي تقطن في الظل وراء كواليس المعلن ، لذا تملك الرسالة بعدا بوحيا مكثّفا. وقد اتفق على هذا البعد الأدباء والنقّاد معا ، وأبرز تجلٍّ لرأي الأدباء في هذا الموضوع قول نزار قبّاني ذي المسحة البوفونية: "الرسالة هي الإنسان.. وليس كلّ إنسان يعرف أن يكتب رسالةً.. إنها في نظري ورطة ومأزق ... وسبق لي أن قلت إن كتابة النثر هي فضيحة الشاعر.."[٤١]. والأمر كذلك لدى النقّاد أيضا ، مما شجّعهم على ترجيح مقاربة مراسلات الأدباء ، على وفق منهج التحليل النفسي ، الذي "يشتغل على ما هو مسكوت عنه وغائر في أعماق ظلمات اللاشعور"[٤٢]. إلا أنّنا نرى أن فن الرسالة كسواه من الفنون ، يمدّ المناهج النقدية المختلفة بمقاربات لا يمكن أن تُستنفد أو تُحدّد بمنهج بعينه.

ومما تجدر الإشارة له هنا أنه لا يمكن الاستئثار على قراءة كاملة للذات الكاتبة ، من دون أخذ الجانبين المخفي والظاهر بنظر الاعتبار ، على حدّ سواء ، من خلال المسكوت والمعلن معا ، ويتطلب الأمر عدم الاكتفاء برسالة واحدة ، وإنما تتبع سلسلة من المراسلات ، لتتكشّف من خلالها ذات المرسل ، كما في كتب مجاميع الرسائل. والأمر يكون أكثر وضوحا إذا كان

---

[٤٠] ينظر : جمالية العلامة الروائية الرواية العربية أنموذجا ، جاسم حميد جودة : ١٠١- ١٠٢.

[٤١] نقلا عن : رسائل حب بالأزرق الفاتح : ١٣.

[٤٢] التحليل النفسي لأدب المراسلات : ٧.

المرسَل إليه واحدا في تلك الرسائل جميعا ، مما يجعلها متسلسلة متكاملة وأكثر وضوحا في مغزاها. فثمة دور كبير لـ "الرسائل المتتابعة في رسم شخصية الكاتب ، وفي التعبير عن مراحل حياته ، وما يعتريها من أزمات"[٤٣]. فضلا عن ضرورة توفر رسائل طرفي التراسل ، من دون الاقتصار على رسائل أحدهما ، كما هو معتاد ، لغرض اتضاح الرؤية. أما في حالة الاعتماد على رسالة يتيمة ، أو رسائل معدودة ، لأحد الطرفين ، لا يكتمل فيها الموضوع المعروض ، أو يتكامل ، فإنها "لا تتمخض عن صورة شاملة ، تُبرز حياة كاتبها كاملة وتفسّرها ، مقتصرة في ذلك على تمثيل حياته ، وتتبّع أحاسيسه وعواطفه في المرحلة التي يمكن أن تسجّلها الرسالة ، أو مجموعة الرسائل"[٤٤].

وقد شاع في كتب النقد أن ثمة ذاتين للأديب : أدبية وحقيقية ، إلا أن هذا التعدّد للذات يتجلى بشكل مختلف وفعلي ، بأن تتعدد الذات الحقيقية ، في الرسائل المطروحة في شبكات الإعلام التلفازي والإذاعي ، بعد ظهور كمٍّ هائلٍ من القنوات الفضائية ، وفي الشبكة العنكبوتية ، والرسائل العامّة في شبكات المحمول التي ترسلها الشبكة لمشتركيها ، فتجعل المتلقي أمام رسالة يكاد يتلاشى فيها مرسلها الرئيس بين الكمّ الهائل من المتلقين ، الذين سيتحوّلون بدورهم إلى مرسلين مشاركين في إنتاجها ، بعد انفلاتها من قبضة مرسلها الأول ، لتتلقفها قنوات الإعلام ، كلٌّ من زاويته ، فيساهمون جميعا في إنتاجها إنتاجا ينسجم مع رؤاهم الخاصة ، الأمر الذي جعل الرسالة تفقد

---

[٤٣] الرسائل الأدبية : ٢٣٢.

[٤٤] تمظهرات التشكل السير ذاتي : ٢٠[illegible].

خصوصيتها التقليدية ، ليغدو المرسَل ذا طابع جماعي ، مما "يجعلنا نعيد النظر في مفهوم المؤلف الذي كرّسته ثقافة الكتاب ، (..) فلم يعد القارئ هنا هو المتلقي السلبي المستهلك ، كما أن المؤلف لم يعد هو المبدع المنتج المتحكم في نسيج النصوص الابداعية. لقد فقد سلطته وحجيّته ، لكن الأهم من ذلك أنه لم يعد ذاتا فردية ، وأن النص لم يعد يحمل توقيعا بعينه ، ولم تعد له هوية محدّدة"[45].

والأمر أكثر وضوحا في رسائل عالَم الشبكة العنكبوتية ، الذي يوصف أصلاً بكونه عالَما افتراضيا ، وفيه يتواصل عددٌ هائل من الأفراد ، قد لا يجمعهم أي تعارف حقيقي ، سوى الاجتماع على هذه الشبكة. لذا غدت المسألة أكثر تعقيدا في عصر التواصل التفاعلي ، إذ بدأت الرسائل تتخلّص من سلطة المرسِل ، الذي كان يماثل الراوي العليم في الرواية الكلاسيكية ، ليصير هو الآخر ذا وجود افتراضي ، شأنه شأن نصه المكتوب وقرّائه الافتراضيين ، فبمجرد دخول المرسِل عالم نصه الافتراضي يتحول إلى مرسِل افتراضي ، لدى قارئه الافتراضي. "مما يعني أن النص ليس نتاجا أحاديًا ، بينما هو نتاج مواقف متعددة ، فليس الكاتب وحده هو المنتج للنص ، إلى جانب التلقي ، إنما هذه الوسائط ومدى تطوّرها تتحكم في بناء النص على الحالة المتخيَّلة له ، لأن المؤلف وحده لم يعد يستطيع أن يقدّم النص ، وليس هو مؤلفه بمفرده"[46].

---

[45] ثقافة الكتاب وثقافة الشاشة ، عبد السلام بنعبد العالي : ١٤٧.

[46] الرؤى الفنية ومرجعيات المؤلف– النص الرقمي ، الدكتور أشرف لطفي الخريبي : ٢٥١.

لذا يمكن القول أنه إذا كان ثمة مبدع ورقي بحسب رولان بارت[٤٧] ، فثمة أيضا مبدع ألكتروني. إلا أن البعد الافتراضي يتضاعف لدى هذا الأخير ، ولاسيّما عند تعاون المرسِل مع مبرمِج في كتابة الرسالة ، ليكون لنص الرسالة مرسلان ، فيغدو المبرمِج قارئا ومرسلا لنصّ الرسالة في الآن ذاته ، الأمر الذي يؤدي إلى "تلاشي الحدود بين المبدع الحقيقي للنصّ ، وبين جمهور القرّاء المتلقين للنصّ . فالتعاون مع المبرمِج ، قد يعني مشاركته في العملية الإبداعية ، (...) ، وما هو مؤكّد بالفعل ، هو أن الحدّ الفاصل بين (الكاتب) و (القارئ) ، قد أصبح اكثر ضبابيّة"[٤٨].

ومن نافلة القول هنا ، أن نصّ الرسالة على الشبكة العنكبوتية ، يعدّ نصّا افتراضيا ، ناجما من غياب طرفي المراسلة غالبا. فالمرسِل يكتب نصّا لمرسَلٍ اليه غير موجود لحظة الكتابة . والمرسَل إليه يقرأ نصّا لمرسِل غير موجود لحظة القراءة. ومن الرسالة الافتراضية تتولّد كثيرٌ من الرسائل. يضاف إلى ذلك كون نصّ الرسالة نصّا كتابيا بالدرجة الأكبر . ليمنح كلٌّ من الافتراض والكتابة لنص الرسالة ، بعدا منفتحا على باحة التحدّد.

---

[٤٧] ينظر : التحليل البنيوي للسرد ، ترجمة : حسن بحراوي وبشير القمري وعبد الحميد عقار ٢٠٠٠ .

[٤٨] العصر الرقمي وثورة الوسيط الألكتروني - قراءة في تحولات أطراف المنظومة الإبداعية ، الأستاذ عمر زرفاوي بن عبد الحميد : ١١٤.

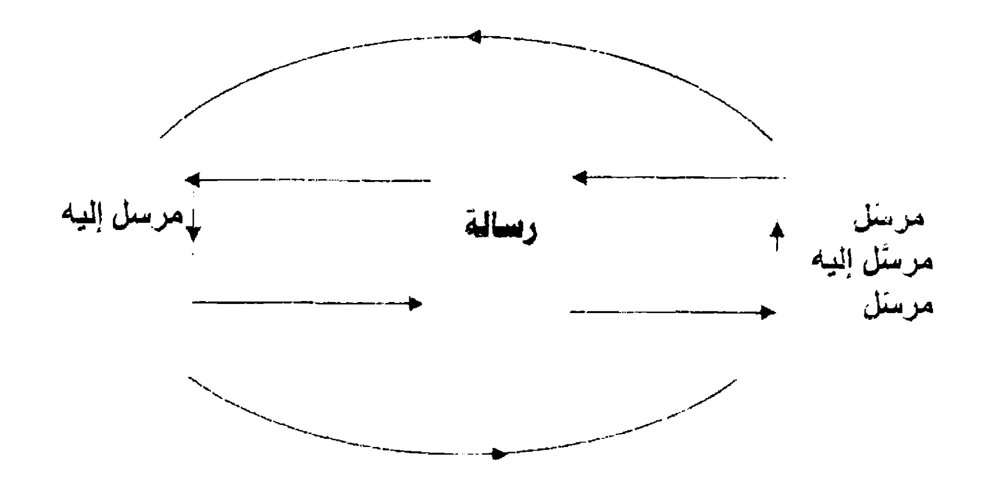
• **الوظيفة الإفهامية :**

إن أهم سمة أهّلت فن الرسالة الأدبية لأن يكون فنّا تواصليا عالميا ، وأحد مقتضيات العولمة ، يتمثل –أساسا– بالوظيفة الإفهامية للّغة ، المتمحورة حول المرسَل إليه . فهذا التمحور للوظيفة الإفهامية يتجلّى في فن الرسالة بشكل أكبر من سواه من الأنواع والأجناس الأدبية ، نظرا لتجسيد المرسَل إليه بشكل يكاد يكون عيانيا ، فضلا عن "خصوصية المتلقي للرسالة ، في كونه قارئا معيّنا يوجّه له الخطاب"[٤٩].

ودعت أهمية المرسَل إليه في فن الرسالة ، إلى أن يتجلى فيها عبر ثلاثة مستويات: خارجي يتمثل بالقارئ الملموس ، الذي يتموضع خارج النص ، وداخليان يتمثلان بالمروي له ، والقارئ الضمني. أما المرسَل إليه الخارجي ، فيعود حضوره المكثّف في فن الرسالة ، إلى ملازمة هذا الفن لصيغة التحاور ، التي يكون فيها المحاوَر شخصية واقعية خارجية ، الذي سيتحوّل بدوره إلى محاوِر ، بصورة ارتدادية ، عندما يتبادل المرسِل والمرسَل إليه الأدوار تباعا ، بشكل متناوب ، أبان التعاقب التحاوري لفن الرسالة ، ممّا يجعل عملية التواصل بينهما دورانية ، من حيث عدم استئثار أحدهما بعملية الإرسال من دون الآخر :

---

[٤٩] مدينة الله– الرواية الرسائلية وفضاء التشكيل السردي: ٧١ ، وينظر : الرسائل الأدبية: ١٢٤.



وهذا التناوب التحاوري الحاصل في تراسل فن الرسالة ، يؤهّل الرسالة لأن تكون فنا حجاجيا بامتياز ، فلا مراء "في أن الرّد هو السياق الطبيعي لكافة أشكال الكتابة الحجاجية ، إلا أنه ينحو في مقام الترسّل منحًى ذاتيا ، تتجلى فيه متانة الصلة بين المتكلّم والمخاطَب (..) ، فهو احتجاج غير معزول عن علاقة المتراسلين الخاصة"[٥٠] . وهذه الخصوصية في العلاقة بين طرفي التراسل ، ومتانة الصلة بينهما ، ترجّح أن يكون التحاور الحاصل في فن الرسالة أقرب إلى المحاورة منه إلى الحوار ، بوصف (المحاورة) تقتضي وجود مشاركين على الأقل ، لتبادل الكلام وفق ميكانزم التناوب في أخذ الكلمة . (..) وهذا التناوب كفيل بالحفاظ على النظام في المحاورة ، (...) وإلا فإنها ستكون ناقصة في حالة وقع خطأ في

---

[٥٠] ينظر : الرسائل الأدبية : ١٥٣.

الأدوار . ويتحقق هذا التناوب اعتمادا على قواعد الاتساق والانسجام"[51]. أي يقلّ في المحاورة وجود الصراع الذي نجده في الحوار ، الذي يؤدي إلى التداخل في الأدوار ، كأن يتكلم المتحاورون في وقت واحد[*]. وهو ما يذكرنا بتعريف فن الرسالة بوصفه "يقوم بمحادثة مكتوبة"[52].

لذا نرى أن فن الرسالة يتميّز عن فن المسرح ، في قيام الأول على المحاورة المنظّمة ، التي تحكمها ضوابط التراسل ، ويفترض فيها غياب الطرفين أحدهما عن الآخر ، نظرا لاعتمادها على الكتابة ، إذ "تفترض التبادلات الشفهية وجود الآخر ، في حين تتوجه التبادلات الكتابية إلى شخص غائب"[53]. اما المسرح فهو قائم على الصراع الدرامي ، مما يتطلب أن يكون تحاور الشخصيات مطبوعا -على الأغلب- بهذه الصفة ، مما يستدعي أن يكون التحاور فيه حوارا وليس محاورةً ، بوصف الحوار يقتضي الاختلاف والرغبة في الإقناع ، والتحاور بين الشخصيات المرسومة في المسرح لا يشترط التكاتب بينها ، بل هو غالبا ما يكون مشافهة ، مما يجعل درجة المواجهة أكبر .

أما فيما يخص المرسَّل إليه الداخلي ، فنتيجة لغياب المرسَّل إليه الفعلي لحظة الكتابة ، نتلمس حضوره عبر الحضور الفعلي الخارجي للمرسَّل إليه

---

(51) المحاورة – مقاربة تداولية : 81 - 82 .

(*) حول الفرق بين المحاورة والحوار عموما من دون التحديد في فن معين ، ينظر : المحاورة – مقاربة تداولية : 86 - 87

(52) تاريخ الأدب العربي : 41.

(53) المحاورة – مقاربة تداولية : 73 .

(القارئ الملموس) ، فهو ذاته يمثّل المرسَل إليه الداخلي ، الذي يزعم مرسِل الرسالة وجوده افتراضيا ، وهذا الاستحضار للقارئ في ذهن الكاتب لحظة الكتابة ، يحيلنا إلى مفهوم القارئ الضمني لدى آيزر تلقائيا[٥٤]. فالقارئ الضمني بالمفهوم السردي ، يختلف عن القارئ الحقيقي الذي من لحم ودم ، و"يقع خارج العملية السردية ، فإن القارئ الضمني يقع داخل العملية السردية ذاتها ، وهو في هذا يلتقي مع المروي له. إلا أن المروي له قد يمتلك حضورا مجسّدا وممسرحا في شكل شخصية قصصية حقيقية داخل العمل السردي ، بينما يظل القارئ الضمني شخصية متخيَّلة فقط داخل السرد"[٥٥].

فثمة تطابق بين القارئَين الملموس والضمني في فن الرسالة إذن ، عبر التطابق بين الخارج نصي والداخل نصي ، بخلاف الفنون الأدبية النثرية الأخرى ، التي يكون حضور القارئ الملموس غير متجلٍّ بهذا الشكل فيها ، نظرا لعدم تطابقه مع القارئ الضمني ، فهو ناتج في فن الرسالة إذن ، من الطابع الكتابي للرسالة ، ففي الكتابة ثمة بعدٌ عكسي لغياب ركني عملية التواصل الفعليين -المرسل والمرسل إليه- لحظتي الكتابة والقراءة معا ، من خلال استحضارهما بشكل أكبر منه في الكلام المحكي ، "لذلك لا نستطيع في حالة الرسائل اجتناب عناصر عملية النطق ، إن أي كلام كان ، لا يثير

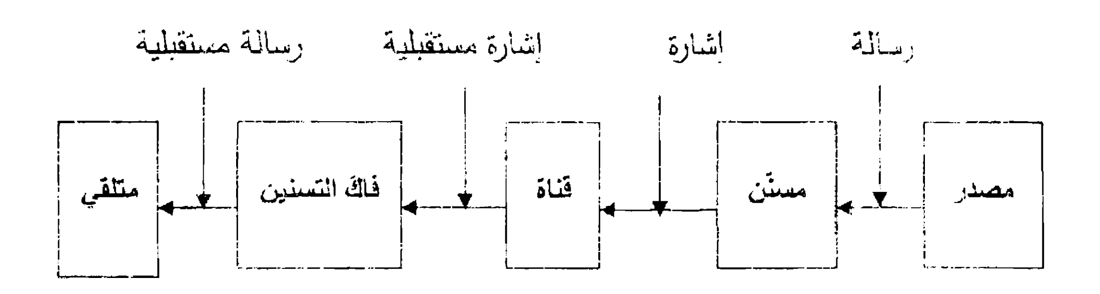
---

[٥٤] ينظر: الأصول المعرفية لنظرية التلقي ، ناظم عودة : ١٤٨.

[٥٥] الصوت الآخر- الجوهر الحواري للخطاب الأدبي ، فاضل ثامر : ١٣١. وينظر : مملكة الباري- السرد في قصص الأنبياء ، محمد كريم الكوّاز : ١١٤.

صورة مرسله (أو حتى متلقيه) ، بنفس الثراء الذي يثيره النص المكتوب ، (..) لأنه يفترض في مرسله ومتلقيه أن يكونا غائبين أو مجهولين"[٥٦].

ونجد أول تجلٍّ للقارئ الضمني في فن الرسالة لدى العالمين الأمريكيين: كلود شانون ووارين ويفر ، اللذين صاغا إنموذجهما التواصلي ، الذي طبقاه على رسالة التلغراف ، بما اصطلحا عليه (النظرية الرياضية للتواصل) ، إذ تطورت لاحقا لتُعمَّم على تقنيات التواصل الآلي الأخرى ، ثم على التواصل الإنساني في كل تجلياته[٥٧]:



إذ يحيل كلٌّ من الإشارة والرسالة المستقبليتين – في المخطّط أعلاه – على القارئ الضمني للرسالة ، المتشكّل مستقبليا في ذهن الكاتب المرسِل ، الذي ينجلي عبر استثمار إنعكاس مخطط التواصل على السرديات ، عند دخولها ميدان الفنون النثرية ، على يد لينتفليت[٥٨] ، التي استوحاها سعيد

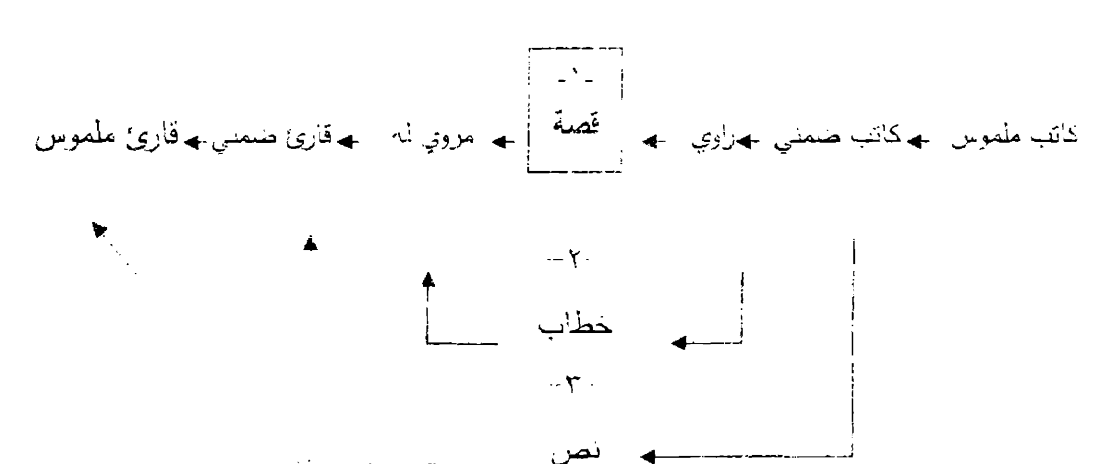
---

[٥٦] الأدب والدلالة : ١٨.

[٥٧] المحاورة– مقاربة تداولية : ٥.

[٥٨] ينظر : مقتضيات النص السردي الأدبي ، جاب لينتفليت ، ترجمة : رشيد بنحدو : ٩٧– ٩٨.

يقطين فيما بعد ، بشيء من الاقتضاب[٥٩] . واستكناه ترسيمتي لينتفليت ويقطين معا ، يوحي باختزالهما بشكل مزدوج ، تتجلّى فيه أطراف عملية التواصل كلها ، وعلى النحو الآتي[٦٠]:



هذا الكلام ينطبق على فن كتابة الرسالة عموما ، إذ "إن الاهتمام بمنزلة المخاطَب في عملية التواصل ، وبدوره في تكوين نجاعة الخطاب ظاهرة أساسية"[٦١] في فن الرسالة. إلا أن للقارئ الضمني نمظهرا داخليا يتجلى بصورة أكثر تكثيفا ، عندما يتحكم القارئ في مجرى الكتابة ، ويستأثر بمهمة توجيهها وجهة معينة.

---

[٥٩] ينظر: الكلام والخبر– مقدمة للسرد العربي ، سعيد يقطين : ٣١.

[٦٠] الإشارة الجمالية في المثل القرآني ، الدكتورة عشتار داود محمد: ١٢١.

[٦١] الرسائل الأدبية: ١٠١.

والملحظ اللافت للانتباه أنه كلما كان تجلي المرسَل إليه بشكل مكثّف في الرسالة ، اتجهت الرسالة إلى هيمنة مشاعيتها القرائية ، وربما رسميتها أيضا ، على حساب خصوصيتها الناجمة من طابعها الذاتي ، يضاف إلى ذلك مباشريتها في مخاطبة المرسل إليه. وثمة تمظهرات للرسالة يتجلى فيها المرسَل إليه بشكل صارخ ، وأكثر وضوحا من سواها ، نرصد فيها سمات المشاعية والرسمية والمباشرية ، آنفة الذكر أو إحداها:

ويمثّل (الإهداء) ، أحد أهم تجليات المرسَل إليه ، بوصفه رسالة عتباتية ميتا– نصية ، لتتنازعه قوتان تسهمان في صياغته قصديا . هما: الأدبية والإشهار ، مما يجعله يتسم بطابع مزدوج ، بين الخصوصية والمشاعية ، أو الذاتية والغيرية ، من خلال خصوصية المرسَل إليه ، ومشاعية الاستهلاك القرائي الخارجي. والطريف في الأمر أن هذا الازدواج يتطلب من المرسِّل استحضار قارئين ضمنيين متناقضين لحظة الكتابة.

وتعدّ (التوقيعات) من تجليات المرسَل إليه عتباتيا أيضا ، بوصفها رسالة ميتا– نصية ، ذات طابع رسمي ، يرسلها صاحب الشأن ، إلى من يهمه الأمر ، على هوامش الكتب الرسمية ، من الممكن أن تُصنَّف ضمن الموازي النصي ، الذي يحيل على نصه –المتن– كما يحيل المتن إليها. إذ تندرج التوقيعات ضمن ما اصطلح عليه جيرار جينيت التعليقات ، بخلاف ما كانت عليه قديما ، فقد كان يُنظر إليها بوصفها نصوصا مستقلة عن متونها. إلا أننا نرى أن التوقيع نوع من أنواع فن الرسالة ، يختلف عن الرسالة ذات البعد الذاتي على الأغلب ، برسميته الموشحة بختم أو توقيع في خاتمته ، الذي يكون بمثابة الميثاق السير لا ذاتي ، بخلاف الرسائل الذاتية التي يكون

اختتامها بالتوقيع ميثاقا سير ذاتيا. من هنا كان للتوقيع طابع رسمي مكثف ، بوصفه يمثل تخاطبا مؤسساتيا ، تلعب فيه السلطة دورا مهما ، بوصفها أحد طرفي المراسلة ، إذ "يكون فيه المتكلم ذا مرتبة فوق مرتبة المخاطَب ، ولكن موقعه من المراسلات هو موقع الرسالة الجوابية ، أو المراجعة من مراسلات المتناظرين في المرتبة"[٦٢]. لذا لا ينحسر تمظهر المرسَل إليه في الرسالة ، على التخاطب بين طرفين متوازيين في المرتبة ، فقد يكون خطابا فوقيا ؛ كما في التوقيع ، نظرا لكونه أحد تشكلات كتابة الهامش ، بوصفها كتابة تتسم بالـ "إشهادية على المتن والمركز ، عبر مجموعة من الشهود (..) ، يشترط في هؤلاء موقعا اعتباريا حقيقيا"[٦٣].

ومن الفنون ذات البعد التواصلي المباشر ، التي تتجسد في فن الرسالة: فن الخبر بمعناه الصحفي المقالي ، لا بمعناه القصصي التراثي ، إذ تسرد الرسائل -عادة- جملة من الأخبار ، التي يجهلها المرسَل إليه ؛ وفن الخبر فن موجه إلى القارئ بامتياز ، ابتداء من تسميته بـ (الخبر) ؛ التي تتطلب إخبارا للقارئ ، بأمرٍ يجهله.

ويتجسّد الطابع القرائي المشاعي المباشر بصورة واضحة ، في رسائل الكتابة الجدارية أو الملصقية ، المنتشرة -غالبا- على قارعة الطريق ، شريطة أن تتضمن في كتابتها صيغة الخطاب الرسالي ، من خلال استهلالها بما يشير إلى تجسيد المرسَل إليه: (إلى ...) ، أو ما شابه ذلك.

---

[٦٢] الرسائل الأدبية : ١١٨.

[٦٣] الغرافيتيا والكتابة ؛ الدكتور أحمد شراك: ٨٨ .

أما في العالم الافتراضي فالرسالة معرّضة تفاعليا لأن تفقد أحدى أهم سماتها ، وهي أن الرسالة بمفهومها التقليدي ذات طابع خصوصي ، "تكتفي بتعيين مرسل إليه تتوجه إليه الرسالة بطريقة شبه خفيّة لا تتكشف على سواه"[٦٤] ، أما الرسالة التفاعلية المنشورة على مواقع الشبكة العنكبوتية ، مطروحة في الطريق – إذا استفدنا من تعبير الجاحظ – فهي رسالة تفاعلية افتراضية ، قابلة للتشكل مع كل قارئ لها على الشبكة ، من دون تحديد قارئ معين لها. فالقارئ التفاعلي إذن جماعي ، والقراءة التفاعلية انتشارية ، وليست حطية تتابعية[٦٥].

- **الوظيفة الشعرية (الجمالية):**

أما الوظيفة الجمالية التي تتمحور حول الرسالة اللغوية ذاتها ، عبر "استهداف الرسالة بوصفها رسالة ، والتركيز على الرسالة لحسابها الخاص"[٦٦] ، فهي تهيمن على الرسائل التي تصنّف بوصفها أدبية ، والوظيفة الجمالية هي التي تؤهّل الأدب لأن يكون أدبا ، وهي التي تمنح الأدب عموما سمة التجدد ، من خلال دورها التمويهي ، الذي يجعله يتجدّد مع كلّ قراءة جديدة له ، وهذا ناجم من لغته الشديدة الخصوصية ، لا سيّما في تكثيفها العالي ، ولا مباشريتها ، وأبعادها التخييلية. ففي الرسائل غير

---

[٦٤] تمظهرات التشكل السير ذاتي : ١٥٢

[٦٥] لمزيد من التفاصيل حول القراءة التفاعلية عموما ، من دون التحديد بفن معين ، ينظر : العصر الرقمي وثورة الوسيط الالكتروني : ١١٩.

[٦٦] قضايا الشعرية: ٣١.

الأدبيـة تكـون الرسـالة مجـرد وسـيلة لغايـة مـا ، متمثلـة ببعـدها الإيصـالي الاتصـالي ، أمـا فـي الرسـائل الأدبيـة ، فالرسـالة -بحدّ ذاتهـا- تكـون هـي الغايـة ، نظـرا لهيمنـة الوظيفـة الجماليـة علـى الـوظيفتين الانفعاليـة التعبيريـة والإفهامية فيها ، وتآزرها معهما ، لتضفي الوظيفة الجمالية للرسالة بظلالها عليهمـا ، وعلـى الوظـائف الباقيـة ، الـذي يتحقّق فـي بنـاء الرسـالة - شـكلا ومضمونا- وهذا يكون أكثر تجليا في الرسائل التي تكون عالية الشعرية ، لدرجة غياب مرسَل إليه خارجي فيها(*).

وهذه الأهمية للبناء اللغوي لفن الرسالة ، ناجمة من كونه فنّا لغويا ، فمن الجدير بالذكر هنا أن البناء مهم في التحقّق الاجرائي للغة عموما ، بوصفها تحمل رسالةً ما عند تحوّلها إلى كلام ، إذ يعدّ أي كلام تتوفر فيه شروط التواصل رسالةً ، و "يمكن القول : إن الإقناع في أدبيات الإتصال يرتبط ببناء الرسالة وأسلوب تقديمها.. وعلى الرغم مما يشار إليه دائما من تأثيراتٍ لعناصر أخرى في عملية الاتصال ، إلا أن الرسالة وخصائصها تظل هي المتغيّر الأساس والحاسم فـي تحقيق هدف الإقناع ، فـي الحصـول علـى استجابات موالية"(٦٧). وإذا كان البناء اللغوي بهذه الأهمية في الرسالة اللغوية بمفهومها الكلامي العام ، خارج حدود فن الرسالة الأدبية ، فمن الأحرى الالتفات إليه في فن الرسالة الأدبية ، لسبب مهم يتمثل في كون فن الرسالة فنّا أدبيا ، وإذا كان لكل فن من الفنون مادّته الخام التي يقوم عليها ، فاللغة

(*) يندرج ضمن هذا النوع الشعري من الرسائل : رسائل حب بالأزرق الفاتح ، لمحمد صابر عبيد .

(٦٧) من أساليب الإقناع في القرآن الكريم : ٤٦.

هي المادة الخام للأدب عموما ، ومن البديهي أن يكون فن الرسالة من ضمنها. لذا فـ "إن الرسالة –مثل أي نص أدبي– تستند إلى جماليات الأداء اللغوي ، لإيصال دلالة ما ، قد تتضمن معاني عدة"[٦٨]. وبما أن البناء –كما هو معلوم– يتألّف من شكل ومضمون ، لذا فإن الجانبين معا يلعبان دورا مزدوجا في تحقّق التواصل الذي يحدّد قيمة الرسالة ، النابع من أمرين: مدى أهمية موضوعها ، وطريقة عرضه.

وقد اختلفت النظرة إلى الوظيفة الجمالية في النقد الثقافي ، الذي أفاد من معطيات النقد الحديث ، إلا أنه طرح نفسه بديلا عنه ، ليقول دعاته في هذه الوظيفة: "ولكننا مع التسليم بأدبية الأدب ، وجمالياته ومجازيته ، نريد أن نسأل سؤالا مصاحبا ، وهو : هل في الأدب شيء آخر غير الأدبية...؟ وهل يخبّئ الأدب من تحت جمالياته شيئا آخر غير جمالي...؟"[٦٩]. إذ يتفق هذا الاتجاه النقدي مع النقد الأدبي بوجود الوظيفة الجمالية ، وفي قدرتها التمويهية ، إلا أنه يختلف في وقوف المقاربة النقدية عند حدودها ، بل يذهب إلى تجاوزها ، من خلال تسخيرها في استجلاء وظيفة أهم لديهم ، هي الوظيفة النسقية ، التي تتحقق لا عبر التركيز على تمويهية الوظيفة الجمالية ، وإنما عبر الأبعاد الثقافية الكامنة وراء هذا التمويه.

ويعود السبب في هذه الانعطافة الإجرائية في زاوية النظر مؤخرا ، إلى "أن الرسالة[*] في العصر الحديث ، على أهميتها ، غدت أسيرة الوسيط الذي

---

[٦٨] مدينة الله – رسائل المكان وعذاب المرسل إليه ، الدكتور عمار أحمد : ٥٧.

[٦٩] إعلان موت النقد الأدبي: ٣١.

[*] المقصود هنا بـ (الرسالة) الرسالة بمفهومها اللغوي العام ، وليس فن الرسالة.

يثمّنهـا ويضـخّمها ، (علـى الـرغم مـن تفاهتهـا أو عـدميتها) ، أو يقزّمهـا ويقتلها ، (رغم جلال شأنها) ، إن الرسالة ، باعتبارها مدلولا ، تذوب كليةً في الوسيط الذي أصبح رسالة ودالا ومدلولا ، في الوقت نفسه"[٧٠]. وقد تعرّض فـن الرسـالة فـي العصـر الحـديث ، إلـى تغيـر طبيعتهـا نظـرا لتغيـر قنـاة الاتصال ، وتنوعها ، لذا يمكن القول : "إن الوسيلة تؤثر في طبيعة الرسالة شكلا ومضمونا"[٧١]. فعندما ظهرت أخيرا الرسالة التفاعلية في عالم الشبكة العنكبوتية ، تغيّرت زاوية النظر إلى الرسالة ، حتى تخطّت قناة الاتصال مرحلـة أن تـوازي الرسـالة مـن حيـث الأهميـة ، وإنمـا غـدت مسـاوية لهـا ، أو تتجاوزها أحيانا ، مما كان له أثره في قيمة الرسالة ، من خلال الفكرة التي تطبعها بها القناة إعلاميا ، وتريد ترويجها.

وهو ما يفضي بنا تلقائيا للكلام على قناة الاتصال .

- **الوظيفة الإنتباهية :**

تـرتبط الوظيفـة الإنتباهيـة بقنـاة الاتصـال ، بوصـفها الوسـيط الناقـل للرسـالة ، إذ تختلـف درجـة الانتبـاه ، بـاختلاف القنـاة ، ومـدى نجاعتهـا ومواءمتها للعصر ، لغرض استمالة المتلقي ، وشدّ انتباهه.

---

[٧٠] سـيميائية وسـائل الإعـلام- مارشـال مـاك لوهـان نموذجـا ، الـدكتور بودربالـه الطيّب : ٢- ٣.

[٧١] دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميّز ، الدكتور عبد الرحمن عزّي : ١٠٨.

وعلى الرغم من تواتر قناة الاتصال في النقد الحديث ، ولاسيما بعد شيوع نظريات التواصل ، إلا أنه تبقى لإشارة رومان ياكوبسن أهمية كبيرة ، بوصفها إلتفاتة تواصلية من عالِم ينتمي لخط البنيوية المنغلق على نصه ، في أوّج عصر البنيوية الزاهر حينها ، فضلا عن ما لقيته من اهتمام النقّاد الحداثيين الذين أتوا بعد ذلك ، إذ تقتضي الرسالة اللغوية لديه "اتصالا ، أي قناةً فيزيقية ، وربطا نفسيا بين المرسل والمرسل إليه ، إتصالا يسمح لهما بإقامة التواصل والحفاظ عليه"[٧٢].

وقد أعطى بعض دارسي الرسالة بمفهومها الاجتماعي العام ، أهمية كبيرة لقناة الاتصال ، تضاهي أهمية نص الرسالة ذاتها ، وقد تفوقها أحيانا . لأنها تحدّد نوع الرسالة ، وتتحكّم بمعناها ، وأثرها الدلالي. فقد أكّد مارشال ماكلوهان أن "الرسالة هي الوسيط أو (القناة)" [٧٣] ، أما نوربرت وينر فقد ذهب إلى أن المهم "في التواصل ليس الرسالة ولكن الشبكات أو (الوسائط) التي تحمل الرسالة"[٧٤].

وتتنوع قناة الاتصال باختلاف نوع الرسالة وزمانها ومكانها. لذا تتخذ قناة الاتصال تشكلات عدة ، بحسب نوعها ، ولكل من تلك الأنواع دلالته السيميائية في توجيه القراءة وجهة معينة ، من خلال ربط الخارج نصي بالداخل نصي. فثمة إذن بعد سيميائي مكثّف لقناة الاتصال ، سواء أكانت

---

[٧٢] قضايا الشعرية : ٢٧.

[٧٣] العصر الرقمي وثورة الوسيط الألكتروني: ١١٢. وينظر : دراسات في نظرية الاتصال : ١٠٨.

[٧٤] العصر الرقمي وثورة الوسيط الألكتروني : ١١٣.

مباشرة أم غير مباشرة ، إلا أن ذاك البعد مرتهن بالسياقين: النصي الداخلي ، والمقامي الخارجي. لذلك كان لقناة الاتصال أثر فاعل في بناء الرسالة ، شكلا ومضمونا – كما ذكرنا آنفا – فقد توحّدت الرسالة بالقناة في العصر الحديث ، لاسيما في النص التفاعلي الافتراضي ، لذا ثمة توحيد للنصين "التقني والكتابي ، من حيث المفردات ككلمة ، وأثرها في الذاكرة الجمعية ، وبين هذه الوسائط الجديدة نسبيا ، (..) بحيث لا يتحقق أي منهما بخصائصه الذاتية بمفرده ، بل يكون مشروطا بخصائص الآخر ، حيث لا يكون النص الرقمي ، عبارة عن كلمات فقط ، أو وسائط متعددة وفقط ، (..) بل بما له مواصفات تقنية ، ومواصفات كتابية ، تتحد كل منهما"[٧٥] ببعض.

وتتعدى أهمية قناة الاتصال في تأثيرها حدود الرسالة ذاتها ، لتطال أيضا طرفي عملية الاتصال – المرسل والمرسل إليه – محققة التواصل المرجوّ.

ومن الممكن تصنيف قناة الاتصال في فن الرسالة على ثلاثة أنواع رئيسة ، بحسب نوعها ، وعلى النحو الآتي:

- **أولا : بحسب القناة الحسّية:**

إن وجود الإنسان يتطلب وجود التواصل البشري بالضرورة ، الذي تعدّ الرسالة من أهم تجلياته ، لذا كانت الرسالة من أكثر الفنون عرضة للتنوع والتطور ، بحسب تنوع وسيلة الاتصال وتطورها بتقادم الزمان. فقد اتخذت

---

[٧٥] الرؤى الفنية ومرجعيات المؤلف – النص الرقمي : ٢٥١.

القناة تشكلات حسّية مختلفة منذ الإرهاصات الأولى لظهور الرسالة ، حتى يومنا هذا ، إذ "يمكن أن نميّز أي مرحلة تاريخية بطبيعة العلاقة التي حكمت الإنسان وحواسه"[٧٦]. وهذا نابع من تجاوز النظرة السطحية إلى الحواس والوقوف على أهميتها ، من خلال ارتباطها الجدلي بالإدراك الذي يشكّل الوعي ، من هنا كانت خطورة الحواس في تحديد الاتجاه الفكري ، ومقصديته الظاهراتية ، إذ "أن الحاسة في حد ذاتها تجربة تتم على مستوى الوعي ، وإن كانت شرط العالم الخارجي والداخلي للإنسان"[٧٧].

وقد تعرّضت الرسالة في تطوّرها عبر الزمان ، لتحوّلات حسية مختلفة ، فقد كانت – قبل ظهورها بالشكل المكتوب – توظّف أساليبا بدائية ذات طابع إشاري حسي ، "من خلال النيران والطبول وغيرها ، وجاءت تلك في فترات كان التواصل بين الإنسانية محدودا"[٧٨]. فقد هيمنت الرسائل السمعية والبصرية في مرحلة الاتصال الشفوي ، أما عندما تطوّرت وسائل الاتصال اتخذت الرسالة التشكلات الحسية الآتية:

أ. **القناة البصرية** : فعندما ظهرت الكتابة ، منذ فجر تأريخ البشرية ، انتقلت الرسالة إلى ساحة الرسالة المكتوبة ، والتأريخ –بالهمزة– كتابيّ بالضرورة ، لأنه يؤرّخ كتابيا ، لذا كان "أدب الرسائل من أقدم الفنون الأدبية ، عرفه الناس منذ تعلموا الكتابة"[٧٩] ، فثمة إذن اقتران متقادم ، بين

---

[٧٦] دراسات في نظرية الاتصال: ٣٣.

[٧٧] م. ن.: ٣٨ ، وتنظر: ٤١.

[٧٨] تأصيل الاتصال والإعلام : ٣١ ، وينظر : دراسات في نظرية الاتصال : ٣٥.

[٧٩] من أدب الرسائل : ٦.

فن الرسالة وقناة الكتابة تحديدا ، ومن المسلَّم به أن قراءة المكتوب "هي عملية إدراك بصري ، وإن كانت تشبه عملية الإدراك السمعي ، من حيث آلية التلقي عموما ، غير أنها تتميز عنها"[٨٠] ، ولا مراء لما لشكل الكتابة من بعد توجيهي قرائي ، لذا شاع اهتمام كاتبي الرسائل بتجويد خطوطهم ، والتفنّن في المظهر المادي للكتابة[٨١]. وهو ما تعزّز بشكل أكبر بعد دخول الطباعة على ميدان الرسائل ، مما نقلها إلى مرحلة جديدة ، أسهمت في انفراد القارئ مع نص الرسالة ، الناتج من غياب البعد التوجيهي لخط اليد أيضا.

فللمظهر الشكلي البصري إذن ، أثره الدلالي المختلف باختلاف القناة ، سواء أكان بخط اليد ، أم طباعةً ، فضلا عن لون الخط ، ونوعه ، ولغته ، وتنسيق الصفحة ، وشكل الحبر المستعمل ، أهو ظاهر أم خفيّ ، .. إلخ.

وفضلا عن المظهر الشكلي البصري للكتابة ، يندرج تحت تصنيف قناة الاتصال بصريا أيضا ، لون الورق ، سواء أكان ملموسا ، أم أرضية ملف على شاشة الحاسوب ، والصور والرسومات التي نجدها في المعايدات الورقية ، وصور الوسائط المتعددة في المحمول ، والصور والأشكال الموظَّفة في المراسلة عبر الشبكة العنكبوتية ، بشكل مباشر أم عبر ملف مرفق ، في مرحلة أكثر تقدما ، وينطبق عليها ما ينطبق على تلقي الصورة ، فـ "المجتمع

---

[٨٠] نظرية تراسل الحواس- الأصول الأنماط الإجراء ، الدكتور أمجد حميد عبد الله ، المركز العلمي العراقي ، بغداد ، ٢٠١٠: ٢١٧.

[٨١] ينظر : الرسائل الأدبية: ١٢٧.

المعاصر يعيش حضارة الصورة"[٨٢]. ولهذا النوع من الرسائل سلبياته ، إذا لم يتكامل مع الحواس الأخرى ، كما في الرسائل المعروضة في الوسائل السمعية- البصرية ، كما في الرسائل المعروضة في فن السينما ، على سبيل المثال لا الحصر ، بوصفها وسائل "باردة ، فلا تتضمن التفاعل الجدي ، ولا يبذل المتلقي جهدا يُذكر في تلقي الرسالة ، فالعين تبقى مشدودة نحو الصورة"[٨٣].

وفي التفاتة نادرة حول المظهر المادي لفن الرسالة الأدبية تحديدا ، نجدها لدى تودوروف يضرب فيها أمثلة على ذلك المظهر ، من بينها نوعٌ من الرسائل حقق شيوعا في فن الروئية ، يتمثل بالرسالة المبلّلة بالدمع ، التي تمنح الرسالة بعدا عاطفيا. أما الرسالة المحرّرة بالدم بدلا من الحبر ، فتمنح الرسالة بعدا ثوريا ، والرسالة المكتوبة بخط متعرّج ، فلها دلالة على اضطراب كاتبها ، والرسالة الكبيرة الحجم دلالة على الاهتمام بالمرسل إليه ، وحميمية العلاقة معه[٨٤].

ب. **القناة السمعية** : وتقف الرسالة السمعية إزاء البصرية من حيث الأهمية والانتشار ، وقد تفوقها ، إذ بيّن العلم الحديث أنه "يحتل الاستماع الحيّز الأكبر في زمن الإنسان ، (...) يترتب على ذلك أن الإنسان يملك وقتا إضافيا كي يتأمل في أشياء كثيرة أثناء الاستماع"[٨٥] ، من هنا تتجلى

---

[٨٢] دراسات في نظرية الاتصال : ٤٦.

[٨٣] م.ن. : ١٢٢.

[٨٤] ينظر : الأدب والدلالة : ١٥ ، وتنظر : ٢٩.

[٨٥] دراسات في نظرية الاتصال : ٤٥.

الأهمية القصوى للسمع في تحديد اتجاه الوعي ، على وفق طريقة الإدراك التأملي ، بناءً على مصطلح القصدية الظاهراتي ، "فإن سمع الفرد موجه نحو شيء ، وهذا الشيء يشكّل محتوى وعي الإنسان ، إذ لا يوجد هناك وعي من دون أشياء مقصودة ، تشكّل هذا الوعي"[86].

وقد اختلفت وسائل القناة السمعية ، بحسب تطوّر المجتمع ، وكان لكل وسيلة دلالتها التي تتوقف على الأثر الذي تطبعه في ذهن متلقيها ، نتيجة طبيعة الصوت ، والسياق المرافق له.

يتجلى هذا النوع من القنوات في الرسائل الصوتية ، سواء أكانت لفظية أم موسيقية أم رمزية. كما في الرسائل المسجّلة صوتيا ، والمعايدات الموسيقية ، ورسائل الوسائط المتعددة في المحمول ، والرسائل الصوتية المقروءة في المذياع ، وفي شبكات التواصل ، والملفات الصوتية المرفقة في صندوق البريد الألكتروني ، ... وسواها من الوسائل على الشبكة العنكبوتية ، التي قد تختلط بها القناة السمعية بالبصرية ، ومن الرسائل السمعية – البصرية أيضا ، الرسائل المعروضة على التلفاز أيضا ، لاسيما في النشرات الإخبارية ، على سبيل المثال لا الحصر. أما الرمزية فعبر شفرات صوتية مرسلة بأجهزة خاصة ، يفهمها المستعملون لها ، وهي تُستخدم لأغراض رسمية[*].

ج. **القناة اللمسية** : وتتمثل في البعد السيميائي للمظهر المادي للرسالة ، الذي يتجلى في نوع المادة المستخدَّمة لغرض الكتابة عليها ، من

---

(86) م.ن. : ٤١.

(*) المقصود شفرة (مورس) في التلغراف مثلا ، وفي سواه من الأجهزة المشابهة .

جلد أو ورق أو طين مثلا ، فضلا عن ملمس الورق أهو سقيل أم خشن ، أو ليّن أم ناعم أيضا. وهو أكثر القنوات الحسّية دلالة على الزمان والمكان ، فمثلا كون رسالة مكتوبة على رُقُم طينية يرجّح أنها مكتوبة في العراق ، في زمن متقدم جدا.

وقد أشار تودوروف إلى ما له مساس بهذه القناة ، عندما لفت الانتباه إلى ما يهدره القارئ من دلالة عند إغفال هذا المظهر ، إذ يرى أنه "في حالة الرسالة يتخذ هذا المظهر المادي شكل صفحة ورق تُكتب عليها الرسالة (..). وعندما ندرس الدلالة نتساءل إلى أي مدى نأخذ بحسابنا الملامح العارضة ، مثل الورق والحبر. والواضح -في الحالة المعاكسة- أن جزءا من معنى الرسائل سيبقى خافيا"[٨٧].

د. **القناة الشمّية** : وهذا النوع من القنوات يرد على نحو أقل ، من القنوات الحسية الباقية ، ويعود ذلك إلى أن ثمة ثلاثة مسالك حسية لإدراك اللغة : بصرية وسمعية ولمسية[٨٨]. لذا تمثل هذه المدركات الثلاثة جزءا من المظهر المادي للغة ، وليست خارجية طارئة عليها. من هنا نرى أن المظهر الشمّي خارجي مضاف على اللغة ، فضلا عن صعوبة توفره في تقانات التواصل التفاعلي . ويتضح هذا المظهر في الرسائل الورقية المعطّرة ، إذ يكون العطر مظهرا خارجيا مضافا على لغة الرسالة ، مما يضفي عليها بعده السيميائي ، الذي غالبا ما يكون له دوره في تصنيف الرسالة ، وإدراجها في

---

[٨٧] الأدب والدلالة: ١٤.

[٨٨] ينظر: اللغة والحواس ، الدكتور يحيى جبر:

http://blogs.najah.edu/staff/yahya-jaber/article/article-81

خانة الرسالة الرومانسية. ومن الممكن عدّ العطر في حدّ ذاته -بعيدا عن الرسالة الورقية- رسالةً ، إذا كان قصديًا.

- **ثانيا: بحسب الرسول :**

اقتضى ظهور الكتابة توظيف قناة اتصال جديدة ، تتمثل بـ (الرسول) ، الذي يضطلع بمهمة إيصال الرسالة ، الذي ينقسم بدوره على بشري وحيواني ، وعلى النحو الآتي:

أ. **بشري**: كالرسول قديما ، وساعي البريد حديثا ، فلاختبار رسول ما ، من دون سواه من البدائل على محور الاستبدال ، أثره على الرسالة ، سواء أكان رسولا فاعلا أم غير فاعل ، من خلال مكانته الاجتماعية ، وطريقة عرضه للرسالة ، إذ يدخل في ذلك نبره وتنغيمه الصوتيان ، والبعد الإشاري لهندامه ، وهيأته العامّة ، بكل ما يندرج تحتها من لغة الجسد ، إذ "تبعث حركات ومظهر الجسد رسائل متبادلة عن النوايا أو المقاصد"[89] ، وهو بهذا يكون متلقيا ومرسلا في الوقت ذاته ، بوصفه متلقيا لمضمون الرسالة التي يوصلها ، ومرسلا لها بأسلوبه الخاص أيضا.

فثمة أهمية كبيرة للرسول في الرسالة المكتوبة ، ولاسيما في ثقافة مثل الثقافة العربية ، التي يعدّ فيها السند دليلا على المتن ، ومدى وثوقيته ، أو ما يُصطلح عليه بالراوي والمروي ، حتى أصبحت شروط راوي الحديث ،

---

[89] الجسد والنظرية الاجتماعية ، كرس شلنج ، ترجمة : منى البحر ونجيب الحصادي: ١١٨- ١١٩.

معيارا لرواة الأخبار ، ومعيارا للقاص[٩٠] ، وللرسول الناقل للرسالة كما نرى أيضا. لذا قد يرتقي ناقل الرسالة إلى مرتبة (السَنَد) ، بوصفه يحمل أهمية مضافة على ما سبق ، تتمثل في نقل الرسالة من حيّز المكتوب إلى حيّز المنطوق.

وقد لا يكون لهذا الرسول دورٌ سوى نقل الرسالة ، متجردا من مهمة قراءتها ، وهو عالِم أو غير عالم بمضمونها. وقد يضطلع مرسل الرسالة بمهمة الإرسال ، ليكون هو رسول نفسه ، من دون اللجوء لوسيط ، وإنما بشكل مباشر ، وبطرق مختلفة ، وقد يلجأ إلى إرسالها عبر بريد ما. ولا مراء في أن الاستغناء عن الرسول ، يعطي القارئ فرصة أكبر في تأمل المكتوب ، ويفتح باب تأويل نص الرسالة ، من دون التوجيه القرائي للوسيط الناقل. ولكل حالة من هذه الحالات بعدها الدلالي المرتهن بسياقه.

وللرسول في العرف التراسلي حصانة ، مهما كان مضمون الرسالة التي يحملها ، وللرسائل ولاسيما بين الملوك والقادة ، قصص كثيرة في التاريخ البشري ، أودى فيها إهدار حصانة الرسول ، ليس بحياة أولئك الرسل حسب ، وإنما نجم عنه اندلاع حروب عاتية أيضا ، غيَّرت مجرى تاريخ الأمم على وجه المعمورة. فلم يكن اختيار الرسول مجانيا إذن ، وإنما ثمة ضوابط لاختياره[٩١].

---

[٩٠] ينظر : السردية العربية - بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ، عبد الله ابراهيم : ٥٣- ٥٨ ، وتنظر ص: ١٥٤.

[٩١] تراجع في ذلك وصايا أرسطو للإسكندر وسواها من الوصايا المنثورة في : كتاب رسل الملوك ومَنْ يصلح للرسالة والسفارة ، ابن الفرّاء ، تحقيق : صلاح الدين المنجد.

ب. حيواني :

فقد أوْكلت مسألة تغيير وسيلة الإرسال بعد ظهور الكتابة ، إلى الطير بدءً ، فهو المضطلع بمهمة نقل الرسائل المكتوبة بين أصقاع مكانية بعيدة نسبيا في ذلك العصر ، الذي تغيب فيه تماما وسائل التنقل السريعة ، مما انعكس على المراسلة التي كانت بتسخير الطير ، ومن أبرزها الحمام الزاجل ، حتى غدا رمزا للبريد . كما وُظف الهدهد أيضا ، حتى تحوّل فيما بعد رمزا لنقل الخبر ، أو لـ "الطائر – الرسول ، الوسيط بين العالَمين"[٩٢]. ففي قصة سليمان نجد أن لباقة الهدهد ونباهته ، جعلت من توظيفه ليكون وسيطا للتواصل الحضاري بين عالَمين مختلفين ، يحمل أبعادا دلالية مكثّفة ، أدت إلى التقريب بين حضارتين مختلفتين ، تتمثل في "كفاءة الإرسال ، وإدراك سليمان لأهمية الوسيلة ، ودورها لضمان وصول الرسالة"[٩٣]. وقوّة حجة الهدهد في قصة سليمان ، أدت إلى توظيفه في أحد أهم نتاجات الأدب الصوفي ، متمثلا بمنظومة منطق الطير الرمزية ، إذ انتخب فيها الطيور العارفون أحدهم ليكون مرشدهم ، فوقع اختيارهم على الهدهد ، فتجلّى منطق الطير في خطابه الطويل لهم ، الذي يرد فيه قوله : "إنني تحدّثت مع سليمان كثيرا ، (...) ولكن إن غبت عنه لحظة ، أرسل مَن يطلبني في كل مكان. وهو لا يصبر عني برهة ، فحسب الهدهد إلى

---

[٩٢] معجم الرموز الإسلامية ، مالك شبل ، ترجمة : إنطوان إ. الهاشم : ٣٣٧.

[٩٣] تأصيل الإتصال والإعلام: ١٣.

الأبد تلك المنزلة ، (..) كما أطلعني على أسراره الخفية ، فكل مَن كان مرغوبا من الرسول ، زَيَّنَ التاجُ مفرقه"[٩٤].

وهنالك في قصص التراث الشعبي العالمي لأدب الطفل ، ما يشابه توظيف الطير ليكون وسيلة للمراسلة ، لكن هذه المرة ليس على يد الهدهد ، أو الحمامة ، وإنما اللّقلق ، عندما يوهَم الطفل أن الأطفال يأتون للحياة على شكل (رسالة) مهداة من السماء ، يحملها اللّقلق بمنقاره . وهي فكرة مستقاة من قصة للكاتب الدانماركي هانس كرستيَن أندرسن ، الذي عاش في القرن التاسع عشر[٩٥].

- **ثالثا: بحسب القناة التقنية:**

وهذا النوع من التصنيف للقناة ، أكثر تصنيفات القناة تأثرا بتقادم الزمان ، إذ تتغير القناة تقنيا ، بحسب ما يناسب العصر ، لذا من الممكن كشف العصر من خلال الاطلاع على الرسالة ، "فالرسالة تمثل المرجع في ضبط العلاقة بين الثقافة ووسائل الاتصال"[٩٦].

ويتجلى ذلك فضائيا ، سواء أكانت القناة التقنية جويّة أم أرضية أم أثيرية. ويتجلى أيضا عبر القناة التقنية لإرسال الرسالة ، أهي عبر فاكس أم

---

(٩٤) منطق الطير ، فريد الدين العطّار النيسابوري ، دراسة وترجمة : بديع محمد جمعة : ١٨٥ ، وتنظر: ١٨٤ و ١٨٦.

(٩٥) لماذا نرى اللقلق يحمل الرضّع ، تشارلز بناتي ، منتديات الإحساء الثقافية: http://www.alhsa.org/archieve/showthread.php?t=126413

(٩٦) دراسات في نظرية الاتصال: ١٠٨.

تلكس أم تلغراف أم محمول أم عبر وسائل الإعلام ، سواء أكانت سمعية أم مرئية أم تفاعلية ، أم الرسائل المكتوبة بحبر اعتيادي ، أم بحبر سرّي ، على سبيل المثال لا الحصر.

ولدرجة تقدّم القناة أثرها في استقطاب أطراف عملية التراسل ، وتحديد نوع التواصل المتحقّق بينها. الذي يتجلى في تقنيات التواصل الحديث بشكل أكبر. لذا نتفق مع مَنْ يرى أن "طبيعة الوسيط هي من تحدّد طبيعة أطراف المنظومة الإبداعية"[٩٧].

ولتشخيص أكثر دقة للصلة الحتمية بين درجة تطوّر القناة التقنية ، وماهية التواصل المتحقق ، نبيّن أن ثمة ثلاث ثورات اتصال مرّت بها البشرية عبر تاريخها وصولاً إلى العصر الحديث ، لها أثرها في لغة الكتابة . فمن الخطأ الاعتقاد أنها ثورة اتصال واحدة حصلت في العصر الحديث وكفى .

فالثورة الأولى كانت بفعل اكتشاف الكتابة عام ٣٥٠٠ ق. م. والثورة الثانية بفعل اكتشاف المطبعة في القرن الخامس عشر. أما الثورة الثالثة ، فحصلت بفعل اكتشاف الحاسوب وبدء الاتصال التفاعلي ، في ستينيات القرن المنصرم[٩٨] ، بحسب ماكلوهان. وكل ثورة من تلك الثورات لها أساليبها التواصلية اللغوية الخاصة ، وسماتها المرتهنة بعصرها. الأمر الذي دعا كلا من كلانشي ووالتر ج. أونج إلى عدّ هذه الثورات (تكنولوجيات) -على حدّ تعبيرهم- و "من بين التكنولوجيات الثلاث تعدّ الكتابة أكثرها

---

[٩٧] العصر الرقمي وثورة الوسيط الألكتروني: ١١٣.

[٩٨] ينظر : دراسات في نظرية الاتصال: ١٠٧- ١٠٩.

جذرية ، فهي التي استهلت ما واصلته الطباعة والحواسيب"[٩٩] ، وكان هذا الرأي معتمدا بشكل رئيس ، على رأي أفلاطون الذي تكلّم على الكتابة بوصفها تكنولوجيا تُخرِج الإنسان عن طبيعته الإنسانية ، لأنها تكون بتوظيف آلة ما ، ليست في فضاء حقيقي[١٠٠].

غير أن الرسائل الورقية ، لم تتحسر بشكل كبير ، إلا في عصر متأخر ، بعد الثورة التفاعلية ، التي انحسرت معها الحاجة للبريد الاعتيادي ، وقد انتهت الرسالة الورقية نهايةَ مأساوية على يد رسائل (الجمرة الخبيثة) ، وشيوع رسائل الاتصال التفاعلي ، لتغدو الرسالة اليوم ، إحدى أبرز آليات العولمة بلا منازع ، باستثمار بعدها التواصلي ، وتحوّلها إلى رسالة لا سلكية ، تُرسَّل عبر الأثير ، لتختصر لا الزمان حسب ، عند تلقيها في وقت إرسالها مباشرة ، وإنما المكان كذلك ، مقرّبة بين أصقاع الأرض كافة ، ليتحوّل العالم إلى قرية صغيرة ، حتى أصبح من الممكن مراسلة أشخاص ليس ثمة سابق معرفة تجمع المرسِّل بهم ، ومن الممكن مواصلة المراسلة بإرسال وتلقي عدد هائل من الرسائل في مراسلة محادثة واحدة ، ومن الممكن كذلك أن يتم ذلك بين أكثر من شخص ، بل من الممكن توظيف هذا النوع من الرسائل لمخاطبة الإنسانية جمعاء ، كما في رسائل مواقع التواصل الاجتماعي.

---

[٩٩] الشفاهية والكتابية ، والتر ج. أونج ، تر: الدكتور حسن البنا عز الدين ، مراجعة : الدكتور محمد عصفور : ١٦٢.

[١٠٠] ينظر: الشفاهية والكتابية : ١٥٨- ١٦٢.

ويتجلى لنا من هذا العرض ، أهمية تطوّر القناة التقنية ، بطبيعة التواصل ، وعمقه ، ودرجة اتساعه.

- **الوظيفة النسقية (النسق المضمر لفن الرسالة) :**

لقد ذهب دعاة النقد الثقافي إلى أن ثمة نسقا مضمرا في كل كتابة ، تتمثّل فيما تؤديه الثقافة السائدة من سلطة تمريرية على الكاتب ، من دون أن يشعر ، فهي "تعمل عمل مؤلف آخر بصاحب المؤلف المعلن ، وتشترك الثقافة بغرس أنساقها من تحت نظر المؤلف ، (...) المبدع يبدع نصا جميلا ، فيما الثقافة تبدع نسقا مضمرا"[١٠١] ، فثمة إذن نسقان: جمالي تمويهي ظاهر ، ولا جمالي مموّه عنه مضمر.

وإن نظرة استطلاعية تختزل المراحل التي مرّ بها العرب في كتابتهم لفن الرسالة ، تحيلنا إلى ثلاث مراحل مرّ بها هذا الفن ، تبعتها ثلاث مراحل نقدية ، أو شبه نقدية. فمن اللافت للانتباه أن المعالجة النقدية لفن الرسالة ، اختلفت بين نقاد الرسالة القديمة ، عنها حديثا ، بشكل انحساري تراجعي ، مع استشرافنا لمرحلة رابعة ستتحقق قريبا.

فإذا قارنّا بين العصرين القديم والحديث ، نجد فن الرسالة قد ورد لدى الأدباء والنقّاد القدماء على نحو فيه اهتمام وتمييز ، ناجم من اهتمام الأدباء ، لدرجة أن النقّاد انقسموا قديما ، في مقاربتهم لمسألة أجناسية فن الرسالة ، على فريقين: فريق ذهب إلى عدّها نوعا رئيسا ضمن جنس النثر

---

[١٠١] اعلان موت النقد الأدبي : ٣٤.

الأعم[١٠٢] ، في الوقت الذي لم تُذكر معه أنواع أخرى ؛ كالحكاية التي من تجلياتها السيرة الشعبية[١٠٣] ، أو التذبذب في ذكر بعض الأنواع كالمقامة ، التي لم يتفق النقّاد على ذكرها دائما. أما الفريق الثاني فقد جعلها جنسا أدبيا مستقلا بذاته ، وليس مجرد نوع من أنواع النثر[١٠٤]. وعلى الرغم من أننا نجد التقسيم الأول أكثر منطقيةً ، نظرا لكون الجنس يتطلب استقلالية أكبر ، والرسالة بذاتها لا تحقّق هذه الاستقلالية عن الأنواع النثرية الأخرى ، بدلالة تداخلها معها نوعيا. إلا أننا نرى أن هذين التقسيمين يعبران عن الاهتمام العالي بهذا الفن قديما ، الذي لم يختلف حديثا ، إذ نجد نقّاد العصر الحديث يتفقون مع النقّاد القدماء في اهتمامهم بالرسالة القديمة بشكل أكبر من رسائل العصر الحديث. ويعود ذلك إذا ما تقصينا النسق المضمر لفن الرسالة قديما ، بحسب طروحات النقد الثقافي ، إلى أن النقّاد قديما وحديثا ، عدّوه أدبا رسميا يتعلق بشؤون الملك والسلطان ، مما أسفر عن اتسامه ببعض الخصائص ، تتمثّل في : أنه صورة من صور أدب النخبة ، وليس العامّة أولا ، ذي المضمون الجادّ وليس الهزلي ثانيا ، المعلوم السَّند أو الكاتب ثالثا ، واللغة الفنية الرصينة رابعا. وكل هذه السمات حرية بأن تُقدّم الرسالة القديمة على الحديثة ، في دراسات النقّاد قديمهم وحديثهم . نظرا لكون

---

[١٠٢] ينظر : جذور نظرية الأجناس الأدبية : ٤٣ و ٤٧ و ٥٦.

[١٠٣] حول تهميش السيرة الشعبية لكونها أدبا غير رسمي ، ينظر : السردية العربية : ١٥٤ ، وقال الراوي – البنيات الحكائية في السيرة الشعبية : سعيد يقطين : ٣١٢ ، والكلام والخبر : ٥٦.

[١٠٤] ينظر : جذور نظرية الأجناس الأدبية : ٥٢ و ٨٣ .

الرسالة القديمة ، تمثل متنا ثقافيا مقبولا ، بل ومحتفى به أيضا. بخلاف الحكاية التي لا نجدها في تقسيمات النقاد القدماء ، نظرا لغياب بعضٍ من هذه المقوّمات المتوفرة في فن الرسالة فيها.

أما المرحلة الثانية التي مرّ بها فن الرسالة ، فتتمثل بالقسم الأول من العصر الحديث ، منذ بدايات عصر النهضة ، حتى حصول الثورة التفاعلية. فثمة انحسار في مقاربة رسائل هذه المرحلة نقديا ، ويكمن النسق الثقافي المضمر المتسبّب في ذلك ، في: هيمنة الاستعمار الأجنبي على بداية هذه المرحلة ، ومن المعلوم أن مراسلات الحكّام وذوي الشأن كانت – نتيجة لذلك– أما بلغة غير عربية ، أو مترجَمة عن لغتها الأجنبية ، والأهم من هذا أنها تمثّل نسقا ثقافيا مرفوضا ، لكونها صادرة من المستعمِر.

ومن نافل القول هنا ، الإشارة إلى غياب توظيف الرسالة الورقية في مرحلة متقدمة من مراسلات ذوي الشأن في هذه المرحلة ، بعد شيوع تقنية (التلغراف) ، التي تضمن سرعة التراسل ، وهي تستخدم لغة خاصة ، قائمة على توظيف شفرة (مورس) ، وهي عبارة عن مجموعة من الخطوط والنقاط والفراغات[١٠٥] ، التي لا صلة لها بأية لغة لسانية ملفوظة.

وثمة نسق مضمر آخر ، يتمثل في شيوع نوع آخر من الرسائل غير الرسائل الرسمية ، في جانب من هذه المرحلة ، بعد انطلاقة الرومانسية ، وهيمنتها على المخيال الثقافي ، وهي الرسائل الشخصية بين المحبين ، التي

---

[١٠٥] ينظر : شفرة مورس:

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B4%D9%81%D8%B1%D8%A9%D9%85%D9%88%D8%B1%D8%B3

تندرج ضمن الأدب المحجوب ، الذي يسعى كاتبوه إلى تغييبه عن قصد ، لأسباب عرفية معروفة . لذا كان انحسار المقاربة النقدية ، لرسائل هذه المرحلة ، ناجما عن انحسار وجود المتن الرسالي أصلا ، اللّهم إلا بعض مراسلات الأدباء ، التي لم يتحرج كاتبوها من إطلاقها ، كما في رسائل جبران ومي زيادة ، على سبيل المثال لا الحصر.

أما المرحلة الأخيرة في مقاربة فن الرسالة ، فهي مرحلة الحداثة وما بعدها ، التي زامنت شيوع أنواع جديدة من الرسائل بحكم التقدم الاتصالي التقني ، والغريب في الأمر أنه على الرغم من ذلك ، فثمة انحسار للمقاربة النقدية لفن الرسالة في هذه المرحلة ، الذي لم يحصل إلا في عصر من الممكن أن يوصف بأنه (عصر الرسالة) بامتياز ، بعد أن اكتسحت كتابة الرسالة حياة الناس كلهم ، بشكل يومي ومكثّف!

والسبب في ذلك يعود إلى أن رسائل هذه المرحلة ، هي ليست رسائل غير مختصة بأدب النخبة حسب ، وإنما هي غير أدبية غالبا أيضا ، فهي تعاني من كل سمات المتون الثقافية المرفوضة ، على وفق معطيات النقد الأدبي ، من انحدار لغوي ، ومشاعية تجعلها مطروحة للجميع ، وما يصاحب ذلك من سلبيات. فقد وقعت رسائل الشبكة العنكبوتية والمحمول في الاضطراب ، وفقدت رصانتها التي كانت موجودة سابقا ، ولاسيّما في المرحلة الأولى ، لمّا كانت الرسالة فيها تمثّل أنموذجا أمينا للأدب الرسمي. لذا ارتأى النقّاد النأي عنها ، ليكون حضورها المكثف والعشوائي سببا في تغييبها ، بوصفها متنا ثقافيا مهمّشا.

ولتفصيل أكثر حول رصد الجانب السلبي ثقافيا في هذه المرحلة ، فثمة رأي يذهب إلى أن التقنيات الحديثة -ومنها التلفاز والحاسوب- قد أعادت الأدب إلى مرحلة الشفاهية الأولى ، لكن بصيغة جديدة أقلّ شعرية ، الأمر الذي نقل الكتابة من المرحلة التأملية إلى المرحلة البصرية ، ليكون القارئ بهذا ، قارئا اعتياديا ، بدلا من أن يكون قارئا إنموذجيا[١٠٦]. ولا مناص من الإشارة هنا إلى أن ثمة مَنْ يذهب إلى فصل الإتصال السمعي البصري - التلفازي مثلا - عن الإتصال التفاعلي ، بوصف الأول يمثّل (انحدار الحضارة) ، في حين يمثّل الثاني (عودة النصّ)[١٠٧].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التقدّم التقني وهيمنة القناة على الرسالة ، دعا إلى وصف الوسيط التقني بـ "أنه يمثل تلك الإمكانات والقدرات التقنية الجهنمية المسخّرة للتأثير على الإنسان ، والاستحواذ على ذوقه وجوارحه وأحاسيسه ووعيه وأفكاره وسلوكياته ، بهدف تشكيله تشكيلا جديداً ، يفقد معه هويته وإرادته وحريته وإنسانيته ، إنه الإنسان الآلي ، الإنسان المبرمَج من وسائل الإعلام"[١٠٨]. ولهذه التبعية الثقافية للتقنية ، جذورها منذ الإرهاصات الأولى لأدبيات الثورة الصناعية في القرن المنصرم ، التي تنبأ منظروها بما تجلى مؤخرا في وسائل الاتصال الحديثة ، عندما ذهبوا إلى "أن التقنية ستغمر كل ما هو ثقافي ، وتحوّل الثقافة أداةً في خدمة التقنية"[١٠٩] ،

---

(١٠٦) ينظر : هواجس الشعر ، ممدوح عدوان : ٦٦ و ٦٩.

(١٠٧) ينظر : دراسات في نظرية الاتصال : ١٠٩.

(١٠٨) سيميائية وسائل الإعلام : ٣.

(١٠٩) دراسات في نظرية الاتصال : ١٠٩.

بدلا من أن يكون العكس. وهو ما تجلى بشكل واسع في الرسالة المتناقلة عبر وسائل الإعلام الحديثة ، عبر الاتصالين السمعي- المرئي والتفاعلي ، حتى غدا الإعلام يمثل السلطة الرابعة ، التي نبّه إلى خطورتها أنشتاين ، عندما ذهب إلى أن ثمة ثلاث قنابل تهدّد مستقبل البشرية ، هي : النووية ، والديموغرافيــة ، والإعلاميــة[١١٠] ، ونتيجـة لخطـورة القنبلــة الإعلاميــة وحساسيتها بحسب ماكلوهان ، كان "مَنْ يتحكّم في وسائل الإعلام ، يتحكم في العالم"[١١١] بأجمعه .

وثمـة مَنْ يرى أن لذلك سلبياته التواصلية ، التي من أهمها: إبعاد الشخص عن قضاياه المحلية ، وإضعاف الروابط الاجتماعية ، من خلال قلة التواصل المباشر ، وهو ما سمي بـ (نهاية المحادثة) [١١٢].

ونستشرف مرحلة رابعة في النسق المضمر للمقاربة النقدية لفن الرسالة ، الذي قد يكون له أثرٌ عكسي هذه المرة ، يتسبّب ازدهار مقاربة هذا الفن ، الناجم من تحكّم الرسالة التفاعلية بمجرى الأحداث الأخيرة في الوطن العربي ، ولاسيما السياسية ، بحسب الوسط الثقافي الذي يتلقى الرسالة ، سواء أكان ذلك سلبا أم إيجابا ، إذ حقّق كثيرٌ من الرسائل التفاعلية المهمة ، ضجةً عالمية ، لتغدو معها لوحةُ المفاتيح ، لوحةَ تحكّم معبّأة بالإيعازات المتحكِّمة المضمَّنة في تلك الرسائل. فقد استشرى هذا النوع من الرسائل ، بصورة لها سلطتها وحضورها الراسخ ، لدرجة يصعب معها التغاضي عنه ،

---

(١١٠) ينظر : سيميائية وسائل الإعلام : ٢.

(١١١) م.ن. : ١٠.

(١١٢) ينظر : دراسات في نظرية الاتصال : ١١٨.

لاسيما مع شيوع نظريات الاتصال الحديثة في علم الاجتماع ، بمعيّة معطيات النقد الثقافي ، الذي يرى "أن كافة أنماط الاتصال البشري ، تضمر دلالات نسقية ، تؤثّر على كل مستويات الاستقبال الإنساني ، في الطريقة التي بها نفهم ، والطريقة التي بها نفسّر. والنصوص التي لا تُسمّى عادة بالأدبية ، هي الأكثر انفعالا مع الوظيفة النسقية ، من دون أن ينتفي ذلك عن النصوص الأدبية أيضا"[113]. فالمقاربة النقدية الثقافية إذن ، ليست حكرا على النصوص الأدبية الجمالية.

- **الرسالة التفاعلية وخصائص الكتابة الرَّقمية :**

تبقى الرسالة هي الفن الملازم للكتابة ، مهما اختلفت وسيلة تلك الكتابة ، مما يمنحها بعدين : عقلي وذاتي. لذا نرى أنه لا يجوز تعميم حكم (الشفاهية) آنف الذكر ، على كلّ رسائل التقانات الحديثة .

ونظرة أسلوبية فاحصة على الثورة الأخيرة ، تجعلنا نجد أن رسائل هذه المرحلة ، اصطبغت بصبغة العصر ، من الجانب الأسلوبي ، الذي يوصف بعصر السرعة ، مما كان له أثره على جانبها التواصلي المكثّف ، نظرا لكون الأسلوب الأدبي لفن الرسالة تتجاذبه "ثلاث قوى كبرى: سلطة الأثر الفردي ، وما تفرضه من تحرر في أساليب الإنشاء ، وسلطة الجنس الأدبي ، وما تقتضيه من تعاقد بين المتخاطبين ، في عصر أدبي معين ،

---

[113] النقد الثقافي : ٦٥.

وسلطة النظام الأدبي الذي تشترك أجناسه في أنماط الكتابة ، وإن اختلفت أجناس تحقيقه وإنجازه"(١١٤).

وتلك السمات التي تُميّز الرسائل التفاعلية ، تتمثل في: اختزالها ، ومباشريتها ، وغياب الديباجات القديمة ، والتركيز على الفكرة الرئيسة من دون مقدمات وخواتيم ، ومن دون الحاجة للأساليب البلاغية العالية. ولهذا إيجابياته وسلبياته ، فهي من ناحية صالحة لإدراك الجميع ، مما يسهّل عالميتها. فضلا عن توفيرها الوقت اللازم للكتابة والقراءة والفهم ، الذي يضاف إلى ما توفره التقنية الألكترونية من وقت. لكن هذا كان على حساب اللغة الأدبية ذات البعد الجمالي ، فكثيرا ما انحطّت إلى مستوى العاميّة ، وينطبق هذا الكلام على رسائل المحمول ومحادثات الشبكة العنكبوتية ، والكثير من الرسائل التي تبثّها وسائل الإعلام السمعية والمرئية ، التي باتت تعاني المشاعية غير المنظّمة. فإن اقتران الكتابة بالتقنية الحديثة فيما يسمى بـ (الكتابة التكنولوجية) ، كان له أثرٌ عكسي ، بوصفها "تشكّل كتابة تواصلية سريعة ، لا تخضع إلى قواعد تركيبية ولغوية صارمة ، إنها تتمنع بنوع من الحرية في التعبير ، بل إنها خطابات تقع في مفترق الطرق ما بين الكتابي والشفوي ، لأن همَّها الإستراتيجي هو التواصل ، بغض النظر عن صحة تراكيب الخطاب ولغته"(١١٥).

إلا أن ثمة ضوء منبعث من رسائل كل المواقع التي بالإمكان إرفاق ملف بها ، فمن الممكن أن تتجلى الإيجابيات الأسلوبية ، على حساب

---

(١١٤) الرسائل الأدبية : ٥٢٨.

(١١٥) الغرافيتيا والكتابة : ٩٠.

انحسار السلبيات ، بحكم المساحة الواسعة التي توفرها للكتابة ، والقدرة على التأمل ، الناجم من غياب الطرف الآخر أثناء الكتابة ، مما سيضفي بظلاله على الارتقاء بالكتابة إلى مثابة جمالية ، ذات بعد أدبي وفكري مكثّف ، لكن كل ذلك مرتهن بالخزين الثقافي للكاتب بالضرورة.

وتجدر الإشارة هنا ، إلى أن بعضا من تلك الرسائل ، يحمل السمات الأدبية المتكاملة ، وإذا كان الأدب الرقمي ، هو الأدب الذي يوظف المعلوماتية ، لذا فإن تلك الرسائل -كما نرى- تمثّل أحد تمظهرات (الأدب الرقمي) ، من خلال انسراب الرسالة الأدبية الرقمية من طريقين :

الأول : أن تكون الرسالة بذاتها عبارة عن قطعة أدبية متكاملة ، والثاني: أن يكون النص الأدبي ملفا مرفقا بالرسالة ، مع إمكانية توظيف التقانات المرئية والصوتية في الحالتين ، وهو ما وفّر فرص انتشار أكبر ، فـ "مهما يكن من نوع الموقع الضوئي ، فإن فرصة نشر الأدب والثقافة متاحة بصورة وأخرى في حرية ملحوظة ، وبصورة أكبر من الصحف الورقية"[116]. إلاّ أن المقاربات النقدية للأدب الرقمي ، لم تلتفت إلى تصنيف الرسالة الأدبية التفاعلية ضمنه ، على الرغم من أنها تقف في مقدمة الفنون الأدبية التي انحسرت ورقيا ، وتجلّت رقميا بشكل كبير ، حتى لدى الأدباء الذين مازالوا يفضّلون روح الورق في كتابة نصوصهم الأدبية.

وبهذا كانت الرسالة تجلّيا مكثّفا من تجليات التواصل ، ذات بعد كشفي عن الوسط الثقافي الذي ينحدر منه كاتبها.

---

[116] الأدب الرقمي أو الألكتروني ، الدكتور حلمي محمد القاعود . مجلة المجتمع :
http://magmj.com/index.jsp?inc=5&id=5431&pid=1206

- **المصادر والمراجع :**

١. الأدب الرقمي أو الألكتروني ، الدكتور حلمي محمد القاعود ، مجلة المجتمع :
http://magmj.com/index.jsp?inc=5&id=5431&pid=1206

٢. الأدب والدلالة ، ت. تودوروف ، ترجمة : الدكتور محمد نديم خشفة ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، ط١ . ١٩٩٦

٣. الإشارة الجمالية في المثل القرآني ، الدكتورة عشتار داود محمد ، إتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٥.

٤. الأصول المعرفية لنظرية التلقي ، ناظم عودة ، دار الشروق ، عمّان ، ط١ ، ١٩٩٧.

٥. إعلان موت النقد الأدبي– النقد الثقافي بديلا منهجيا عنه ، عبد الله الغذامي ، ضمن كتاب: نقد ثقافي أم نقد أدبي ، دار الفكر– دمشق ، دار الفكر العربي– بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤.

٦. الاقتضاء في التداول اللساني ، عادل فاخوري ، مجلة عالم الفكر ، مجلد ٢ ، عدد ٣ ، ١٩٨٩.

٧. تاريخ الأدب العربي ، حنّا الفاخوري . دار اليوسف ، بيروت ، ط١ ، د.ت.

٨. تأصيل الاتصال والإعلام -- نظره تأملية في بعض آيات القرآن الكريم ، الدكتور مختار عثمان صدّيق ، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، ع٤ ، أكتوبر ، ١٩٩٨.

٩. التحليل البنيوي للسرد ، رولان بارت ، ترجمة: حسن بحراوي وبشير القمري وعبد الحميد عقار ، ضمن كتاب: طرائق تحليل السرد ، اتحاد كتّاب المغرب ، الرباط ، ط١ ، ١٩٩٢.
١٠. التحليل النفسي لأدب المراسلات – بدر شاكر السياب وغسّان كنفاني أنموذجا ، الدكتور حسين سرمك حسن ، سلسلة الموسوعة الثقافية – ٣٠ ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٦.
١١. التشكيل النصي– الشعري ، السردي ، السير ذاتي ، الأستاذ الدكتور محمد صابر عبيد ، مؤسسة اليمامة ، الرياض ، ط١ ، ٢٠١٣.
١٢. التفاعل في الأجناس الأدبية – مشروع قراءة لنماذج من الأجناس النثرية القديمة ، بسمة عروس ، الانتشار العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠.
١٣. تمظهرات التشكل السير ذاتي– قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتية ، محمد صابر عبيد ، إتحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٥.
١٤. ثقافة الكتاب وثقافة الشاشة ، عبد السلام بنعبد العالي ، مجلة أبواب ، لبنان ، عدد ٢٩ ، ١ حزيران ، ٢٠٠١.
١٥. جذور نظرية الأجناس الأدبية في النقد العربي القديم ، الدكتور فاضل عبّود التميمي ، المجمع العلمي العراقي ، ط١ ، ٢٠١٢.
١٦. الجسد والنظرية الاجتماعية ، كرس شلنج ، ترجمة : منى البحر ونجيب الحصادي ، دار العين ، الإسكندرية ، ط١ ، ٢٠٠٩.

١٧. جمالية العلامة الروائية- الرواية العربية أنموذجا ، جاسم حميد جودة ، أطروحة دكتوراه ، قسم اللغة العربية ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، إشراف : الدكتور ابراهيم جنداري جمعة ، ٢٠٠٢.
١٨. دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميّز ، الدكتور عبد الرحمن عزّي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨.
١٩. دفاعٌ عن المقالة الأدبية ، الدكتور فائق مصطفى ، مطبعة آرابخا ، كركوك ، ط١ ، ٢٠٠٨.
٢٠. الرؤى الفنية ومرجعيات المؤلف- النص الرقمي ، الدكتور أشرف لطفي الخريبي ، ضمن كتاب: المرجعيات في النقد والأدب واللغة ، مج١ ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، ط١ ، ٢٠١٠.
٢١. الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم- مشروع قراءة شعرية ، صالح بن رمضان ، دار الفارابي ، تونس ، ط٢ ، ٢٠٠٧.
٢٢. رسائل حب بالأزرق الفاتح ، محمد صابر عبيد ، دار كلمات ، حلب ، ط١ ، ٢٠٠٦.
٢٣. رسائل السيّاب ، ماجد السامرائي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٤.
٢٤. الرسائل الفنية في العصر الإسلامي حتى نهاية العصر الأموي ، غانم جواد رضا ، دار التربية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٨.

٢٥. الرسائل الفنية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، زينة عبد الجبار محمد المسعودي ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٩.

٢٦. السردية العربية -- بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٠.

٢٧. السيرة الذاتية- الميثاق والتاريخ الأدبي ، فيليب لوجون ، ترجمة: عمر حلّي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت- الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٤.

٢٨. سيميائية وسائل الإعلام - مارشال ماك لوهان نموذجا ، الدكتور بودرباله الطيّب ، محاضرات الملتقى الوطني الثالث - السيمياء والنص الأدبي ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، ٢٠٠٤.

٢٩. الشفاهية والكتابية ، والتر ج. أونج ، ترجمة: الدكتور حسن البنا عز الدين ، مراجعة: الدكتور محمد عصفور ، سلسلة عالم المعرفة - ١٨٢ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت ، ط١ ، د.ت.

٣٠. شفرة مورس ، الموسوعة الحرّة:
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B4%D9%81%D8%B1%D8%A9_%D9%85%D9%88%D8%B1%D8%B3

٣١. الصوت الآخر- الجوهر الحواري للخطاب الأدبي ، فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٢.

٣٢. العصر الرقمي وثورة الوسيط الألكتروني- قراءة في تحوّلات أطراف المنظومة الإبداعية ، الاستاذ عمر زرفاوي بن عبد الحميد ، مجلة المخبر ، جامعة بسكرة- الجزائر ، العدد ١ ، ٢٠٠٩.

٣٣. علم الإشارة- السيميولوجيا ، بيير جيرو ، ترجمة : منذر عيّاشي ، دار طلاس ، دمشق ، ط١ ، ١٩٨٨.

٣٤. علم اللغة العام ، ، فردينان دي سوسير ، ترجمة: الدكتور يوئيل يوسف عزيز ، دار آفاق عربية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٥.

٣٥. الغرافيتيا والكتابة ، الدكتور أحمد شرّاك ، مجلة الموقف الأدبي ، دمشق ، عدد ٤١١ ، تموز ، ٢٠٠٥.

٣٦. قال الراوي- البنيات الحكائية في السيرة الشعبية ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء- بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧.

٣٧. قضايا الشعرية ، رومان جاكوبسن ، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٨٨.

٣٨. كتاب التعريفات ، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣.

٣٩. كتاب رسل الملوك ومَنْ يصلح للرسالة والسفارة ، ابو علي الحسين بن محمد المعروف بابن الفرّاء ، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٣.

٤٠. الكلام والخبر- مقدمة للسرد العربي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط١ ، ١٩٩٧.

٤١. اللغة والحواس ، الدكتور يحيى جبر :

http://blogs.najah.edu/staff/yahya-jaber/article/ article-81

٤٢. لماذا نرى اللقلق يحمل الرضّع ، تشارلز بناتي ، منتديات الإحساء الثقافية:

http://www.alhsa.org/archieve/showthread.php?t=126413

٤٣. المبدأ الحواري- دراسة في فكر ميخائيل باختين ، تزفيتان تودوروف ، ترجمة : فخري صالح ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٢.

٤٤. المحاورة- مقاربة تداولية ، الدكتور حسن بدوح ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، ط١ ، ٢٠١٢.

٤٥. مدينة الله- رسائل المكان وغياب المرسل إليه ، الدكتور عمار أحمد ، ضمن كتاب : مغامرة التجنيس الروائي سؤال الجنس والنوع ، إعداد: الدكتور محمد صابر عبيد ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، ط١ ، ٢٠١٢.

٤٦. مدينة الله- الرواية الرسائلية وفضاء التشكيل السردي ، الدكتور خليل شكري هياس ، ضمن كتاب: مغامرة التجنيس الروائي سؤال الجنس والنوع ، إعداد : الدكتور محمد صابر عبيد ، عالم الكتب الحديث ، إربد ، ط١ ، ٢٠١٢.

٤٧. معجم الرموز الإسلامية ، مالك شبل ، ترجمة :.إنطوان إ. الهاشم ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠.

٤٨. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وكامل المهندس ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٤.

٤٩. مفهوم النص– دراسة في علوم القرآن ، الدكتور نصر حامد ابو زيد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط٤ ، ١٩٩٨.
٥٠. مقتضيات النص السردي الأدبي ، جاب لينتفليت ، ترجمة: رشيد بنحدو ، ضمن: طرائق تحليل السرد ، إتحاد كتّاب المغرب ، الرباط ، ط١ ، ١٩٩٢.
٥١. مملكة الباري– السرد في قصص الأنبياء ، محمد كريم الكوّاز ، الانتشار العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨.
٥٢. من أدب الرسائل ، ناجي جواد ، ج١ ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ط١ ، ١٩٧٧.
٥٣. من أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، الدكتور معتصم بابكر مصطفى ، كتاب الأمة– العدد ٩٥ ، السنة ٢٣ ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، ط١ ، ٢٠٠٣.
٥٤. منطق الطير ، فريد الدين العطّار النيسابوري ، دراسة وترجمة: بديع محمد جمعة ، دار الأندلس ، بيروت ، د. ط. ، ٢٠٠٢.
٥٥. النص القرآني من الجملة إلى العالم ، وليد منير ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧.
٥٦. نظرية تراسل الحواس– الأصول الأنماط الإجراء ، الدكتور أمجد حميد عبد الله ، المركز العلمي العراقي ، بغداد ، ٢٠١٠.
٥٧. النقد الثقافي– قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، عبد الله محمد الغذّامي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء– بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠.
٥٨. هواجس الشعر ، ممدوح عدوان ، دار ممدوح عدوان ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٦.

فَعَّالِيَّةُ اللُّغَةِ!
وَصَنْعَةُ زهيرِ بنِ أَبي سُلمى
في مُعَلَّقَتِهِ

الدكتور طارق امين ساجر الرفاعي

كلية الآداب -- الجامعة العراقية

الملخص :

١- بعد تحليلي بردة كعب بن زهير موضوعيا وبلاغيا تبين أن الصنعة فيها تفوق أضعافا صنعة أبي تمام المشهور بالصنعة عند تحليلي لقصيدته فتح عمورية ، مع ان كعبا لم يشتهر بالصنعة ، فلفت ذلك انتباهي إلى ان تلك الصنعة تشاطر اللغة فيها الاديبَ ، فشطر منها الشأن فيه للبليغ والشطر الآخر يعود إلى قدرة اللغة في إحكام تراكيبها وسعة دلالاتها وتنوع مفرداتها ، وتبين ذلك من الفارق الكبير بين انواع وعدد أوجه البلاغة بين القصيدتين ، وتتميز اللغة العربية في ذلك على باقي اللغات ، فطرحت لذلك أسئلة في نهاية البحث على أهل الاختصاص عن النص البليغ المتميِّز شعرا أو نثرا: هل ان ذلك يعود إلى البليغ البارع فحسب ؛ أم ان اللغة تشاطره تلك القدرة ؟ وما علاقة ذلك بالطبع والصنعة ؟ وما هي معايير ومنهجية شعراء الجاهلية في صنعتهم؟.

٢- وعلى ضوء ذلك قمت بتحليل معلقة زهير في هذه السلسلة باعتباره امام الصنعة في العصر الجاهلي ؛ فتبين أنه أكبر صنعة من ولده كعب ومن أبي تمام ؛ على الرغم من بعده عن الكلفة في التصنيع التي يتعهدها ويوغل فيها أبو تمام ، وذكرنا أن هناك من صنوف البلاغة ما تعمده عند النظم ، والقسم الآخر ما تعهدته اللغة ؛ مما يدل على مشاطرتها للأديب في انشاء النص المتميز ؛ ويؤكد فعاليتها في هذا المجال ، وأوردنا في آخر البحث حقائق تؤكد على أن هناك معايير ومنهجية لدى النخب المثقفة في العصر الجاهلي يتداولونها عند انشاء النصوص المتميزة كالمعلقات مثلا ؛ أو عند نقدها وبيان أوجه القوة والضعف فيها.

المقدمــة :

في خاتمة بحثي السابق الموسوم (أهو الطبع والصنعة ؟ ام فعّالية اللغة ؟ ! في بردة كعب بن زهير)(*) طرحت أسئلة على الباحثين في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث ، إذ تبين بعد المقارنة بينه وبين نتائج البحث الذي سبقه الموسوم (من الأوجه البلاغية في قصيدة فتح عمورية)(**) أن الصنعة عند كعب بن زهير كانت أكثر زخما وإفراطا من أبي تمام على الرغم من غلبة الطبع عنده ؛ فكانت الأسئلة :

١- أإن الشأن لعظمة هذه اللغة ؛ بسبب وفرة مفرداتها ؛ ومرونة تراكيبها وإحكامها وسعة دلالاتها ؛ وقدرتها على مواكبة الأديب ورفده على مقدار طاقاته وإبداعاته ؛ وإن غالب هذه الأوجه البلاغية يأتي طوعا من غير قصد منه ؟

٢- ام إن الشان للاديب البليغ الذي يكيِّف اللغة ويطوّعها ويثَقّفها ويتنخّل مفرداتها على وفق براعاته ومؤهلاته وأذواقه وسعة أُفقه وحدة ذكائه ...؟

٣- وما علاقة ذلك كله بالطبع والصنعة عند فحول شعراء الجاهلية وصنوهم من المولَّدين ؟

٤- وما هي معايير شعراء الجاهلية المتوقعة لتلك الصنعة ؟

ووعدنا بمزيد من البحوث في هذا المضمار لهذه المدرسة الجاهلية لتسليط مزيدا من الضوء عليها خدمة للمعرفة ولغة القرآن الكريم وها نحن نشرع بالبحث الجديد على هذا المنوال ونحلل معلقة زهير بن أبي سلمى

(*) نشر في مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد العدد (١٠٧) لسنة ٢٠١٤.

(**) نشر في مجلة مداد الآداب كلية الآداب – الجامعة العراقية العدد (٨) لسنة ٢٠١٤ . علما قام منسق المجلة بنقل تسلسل (١) لبيت المطلع وجعله للبيت الثاني وترك المطلع من غير تسلسل ، وبذلك أخلّ في كافة تسلسلات الابيات واحدث الخلاف بينها وبين محتوى الملحق الخاص بجرد صنوف البلاغة فيها .

أستاذ الصنعة الجاهلي ، موضوعيا وبلاغيا لتزداد الفكرة وضوحا في ضوء النتائج التي سنتوصل إليها .

اعتمدت أربعة مصادر لبحث هذه المعلقة وهي :

١- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) ورمزت إليها بالحرف (أ) .

٢- أشعار الشعراء الستة الجاهليين ليوسف بن سليمان بن عيسى الأندلسي المعروف بالأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ) ورمزت إليها بالحرف (ب) .

٣- شرح المعلقات السبع للقاضي أبي عبدالله الحسين بن أحمد الزوزني (ت ٤٨٦ هـ) ورمزت إليها بالحرف (جـ) .

٤- شرح القصائد العشر للخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) ورزمت إليها بالحرف (د).

اخترت الأبيات المذكورة في (أ ، د) لقدم الأولى ولتوافق الاخيرة معها في الغالب ، وأشرت في الحاشية الى ما خالفهما في (ب ، ج) وحرصت على إعطاء المعنى العام ؛ ومعاني المفردات غير المألوفة ؛ من خلال هذه الشروح مصادر البحث ، وبذلت الجهد للتحري عن أوجه البلاغة من المعاني والبيان والبديع ما امكنني ذلك ؛ سوى ما يتعلق بالخبر والانشاء لإمكان تحديد ذلك من العموم ولتقليص مجال البحث ؛ كذلك تركت ذكر تعاريف الأوجه البلاغية خلاف ما تعودت عليه في البحوث السابقة ؛ إذ يمكن للباحث ان يستفيد مما ذكرته فيها ؛ او الرجوع الى كتب البلاغة للتعرف عليها .

أما سبب نظم زهير بن أبي سلمى معلقته ؛ فانه كان في مدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان وقيل خارجة بن سنان اللذين دخلا في الصلح بين عبس وذبيان في الحرب بينهما التي أنهكتهما وتحمّلا ديّات القتلى من الطرفين فتوافقا وأقسما على الصلح .

إنّ هذه القصيدة من البحر الطويل الذي يتميز بسعته وكثرة استعماله ودورانه في أشعار العرب ؛ وذكر له حازم القرطاجنّي أوصافا متعددة إذ يقول في موضع : ((أوزان الشعر منها متناسب تام التناسب متركّب التناسب متقابله متضاعفه وذلك كالطويل والبسيط - ثمّ وضّح هذهِ المصطلحات وأضاف - فالأعاريض التي بهذهِ الصفة هي الكاملة الفاضلة))[1] ... ثم يواصل شغفه بالبحر الطويل والبسيط فيقول : ((فالعروض الطويل تجد فيه أبدًا بهاء وقوة وتجد للبسيط سباطة وطلاوة))[2] ونقل الشيخ جلال الحنفي ما ورد في كتاب تبسيط العروض لنور الدين صمّود قوله : ((ويقال إن العرب كانت تسمي الطويل الرّكوب لكثرة ما كانوا يركبونه في أشعارهم))[3] ونقل عن صفاء الدين خلوصي قوله : ((ومن محسنات الطويل أنه تام لا يكون مجزوءا ولا مشطورا ولا منهوكا ... وهذا سبب تسميته بالطويل))[4] وذكر ما ورد عن الحنفاوي في حواشيه على شرح الخزرجية قوله :

---

[1] ١ منهاج البلغاء : ٢٥٩.

[2] ينظر منهاج البلغاء : ٢٦٨ - ٢٦٩.

[3] العروض تهذيب واعادة تدوينه : ١٤٣.

[4] العروض تهذيب واعادة تدوينه : ١٥٥.

((والطويل والبسيط اللذين هما أشرف من سائر البحور لطولهما وحسن ذوقهما وكثرة دورهما في أشعار العرب))[٥] .

اما وزنة فهو :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن   فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

ان نوع قافية القصيدة هو (المتدارك) لتوالي حركتين فيها ، أما رويها فهو (الميم) المكسورة فالقصيدة ميمية التي يستهلها بقوله :

١ - أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَـةٌ لَمْ تَكَلَّمِ   بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ[٦]

المعنى :

في عبارة البيت الحذف والتقدير : أمن دمن أم أوفى دمنة .....، والدمنة آثار الناس وما سوّدوا بالرماد وغيره ... ، لم تكلَّم اي : لم تبن ، وقيل المراد لم يتكلم أهلها ، بحومانة وهي المكان الغليظ المنقاد وقيل القطعة من الرمل ، والدراج والمتثلّم موضعان بالعالية منقادان ، فقد جرّد الشاعر من نفسه شخصا يسائله بقوله : لماذا ولا أثر من هذه الآثار في الدرّاج والمتثلّم وهي منازل الحبيبة أم أوفى لم تكلّمه أو تجبه عن مصيرها او مصير أهلها وماذا جرى لهم ، وفي ذلك نعي لفقد أهلها يبعث على الحسرة والألم والحزن

---

[٥] العروض تهذيب واعادة تدوينه : ١٦٤ .

[٦] ورد في (ب ، جـ ، د) الدَّراج فالمتثلَّم ،

الدمنة : اثار الناس او البعر والسرجين ، الحومانة ، : المكان الغليظ المنقاد او القطعه من الرمل ، الدراج والمتثلّم : موضعان بالعالية .

ولم يخص هذين الموضعين إلاّ لما لهما من خصوصية تمّيز ساكنيها في ذلك الزمان .

وفي البيت (التجريد) إذ جرد الشاعر من نفسه شخصا يخاطبه . وفيه (التصريع) بقوله : (لم تكلم، فالمتثلّم) . و(الحذف) في قوله : (أمن أم أوفى) للمضاف فالأصل : أمن دمن أم اوفى دمنة . و (التخصيص) بتقديم الجار والمجرور ، وتقديم ماله الصدارة وهنا الاستفهام بقوله : (أمن ..) و (بحومانة) . وفيه (الجمع) بقوله : (بحومانة ثم جمع موضعي الدراج فالمتثلّم) وربما قصد في قوله : (بحومانة الخ) الاشارة الى شرف الأماكن (كناية) على شرف مكانة أهل الحبيبة . وفيه (التقييد) بالنفي في قوله : (لم تكلم) .

٢- ديارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا　　　مَرَاجِعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ[٧]

المعنى :

البيت وصف للموضعين في البيت قبله ، بان فيهما ديار لتلك الحبيبة عامرة بأهلها بالرقمتين احداهما قرب المدينة والاخرى قرب البصرة ، [٨] وانهما في ظهورهما وجمالهما كالوشم الذي أعيد ورُجّع في

---

[٧] ورد في (ب ، جـ) ودار ، وورد في (ب ، جـ ، د) مراجيع . الرقمتان : موضعان ، مراجع : اعادة عمله ، وشم : ان يثقب ظاهر الذراع بابرة ونحوها ثم يحشى بالكحل والنؤور ليخضرّ ، النواشر : عصب الذراع من ظاهرها وباطنها ، معصم : موضع السوار أسفل الرسغ .

[٨] ينظر (أ) : ٢٣٨ و (د) : ١٠٣ ، ما ورد عن الاصمعي .

عصب الذراع من باطنها وظاهرها ليكون أَشدّ وضوحا وأكثر نصوعا وجمالا .

وفيه (التشبيه المركب) إذ شّبه ديار الحبيبة الموضعين المشهورين المذكورين في ظهورهما وبروزهما ، بالوشم البارز الناصع الجميل المغروز في الأذرع البيض فيزيدها جمالا – المشبه به – ووجه الشبه منتزع من متعدد . وفي بروز تلك الديار ووضوحها لارتفاع بنائها (كناية) عن كرم أهلها وعلوّ منزلتهم . وفيه (التقييد) بالنواسخ في قوله (كأَنها) .

٣- بِهَا العِيْنُ والآرامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ[٩]

المعنى :

الضمير في (بها) عائد الى ديار الحبيبة ، اي ان ديارها لسعة أرزاقها وكثرة نباتها تكثر فيها البقر والظباء وانها لكثرتها تختلف امام الناظرين فهذه مقبلة وتلك مدبرة وهذه صاعدة وتلك نازلة ، واما أولادهن فينهضن لأجل الارضاع الى أمهاتهن من كل مكان كن يقمن فيه لكثرتهن .

وفي البيت (التخصيص) بتقديم الجار والمجرور بقوله : (بها) . و (المجاز المرسل) في قوله : (العِيْنُ) إذ عبر بها عن البقر لسعة عينها ، فتجوَّز بلفظ البعض عن الكل . و (الجمع) في قوله : (يمشين

---

[٩] ورد في (جـ ، د) : والارءام .

العين : البقرة لسعة عينها ، الآرام : ظباء بيض خوالص البياض ، خلفة : مختلفات ، اطلاؤها : اولادها الواحد طلا وهو من ساعة يولد الى نصف شهر ، مجثم : الموضع الذي يجثم فيه اي يقام فيه .

خلفه) بالنسبة للعين والآرام . و (الوصل) بقوله : (وأطلاءها...) . وفي قوله : (بها .... خلفة) (كناية) عن الخصب ووفرة النبات ، لدوام ظهور البقر والظباء للعيان لكثرتها . وفي قوله : (وأطلاؤها .... مجثم) (كناية) عن كثرتها وبركتها فهي تأتي من كل مكان للإرضاع . وفيه (التقييد) بالنعت بقوله : (العين) والعطف بقوله : (والآرام وأطلاؤها) .

٤ – وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً فَلأيًا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ[١٠]

المعنى :

وقفت بدار الحبيبة أتأمل من بعد عشرين سنة ، وعرفتها بعد إبطاء وجهد وعسر ، بسبب درس رسومها وغلبة الوهم حتى أشكلت علي .

وفي البيت (التقديم والتأخير) في قوله : (فلأيا عرفت الدار) بتقديم الحال لأيا على قوله : عرفت الدار ، وفي العبارة (الحذف) أي : فبعد لأي عرفت الدار . و (المطابقة) في قوله : (عرفت ، توهم) . وفيه (التفريع) في قوله : (بعد توهم) إذ فرّع من معاناته حتى عرف الدار ؛ معاناته في توهمه حتى أشكلت عليه .

٥ – أَثَافِيَّ سُفْعًا فِي مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ وَنُؤْيًا كَجِذْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ(١١)

---

(١٠) الحجة : السنة ، فلأيا : بعد إبطاء وجهد وعسر .

(١١) أثافيّ : واحدتها أثفيّة : وهي الحجارة التي تحمل عليها القدر . السفع : السود ، المعرس : الموضع الذي يكون فيه المرجل . المرجل : كل قدر يطبخ فيها من حجارة او حديد أو خزف ، النؤي : حاجز يجعل حول الخباء يمنع من السيل ، جذم الحوض : بقيته ، لم يتثلم : ذهب أعلاه ولم يتثلم باقيه .

المعنى :

أثافي منصوب بـ (عرفت) في البيت قبله ، وهنا يصف ما بقي من الدار بانه حجارات سود التي ينصب عليها القدر في موضع القدور ، وبقايا حاجز يرفع حول البيت من تراب من الخارج لئلا يدخل الماء عليه ، وهو كبقية حوض قد ذهب أعلاه ولم يتثلم باقيه . وبذلك يكون قد أنجز وصفا دقيقا لما بقي من رسوم أطلال الحبيبة .

وفي البيت (تشبيه المفرد بالمركب) فالمشبّه قوله : (نؤيا) ، والمشبّه به قوله : (كجذم الحوض لم يتثلّم) ووجه الشبه منتزع من متعدد . وفيه (التقييد) بالنعت في قوله : (سفعا) ، والعطف في قوله : (ونؤيا) والنفي في قوله : (لم يتثلّم) . ويتصف البيت بـ (ائتلاف اللفظ مع المعنى) وهو تناسب دلالات الألفاظ فيه للمعاني .[12]

٦ - فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا   أَلاَ انْعَمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمِ[13]

المعنى :

بعد التأكد من رسوم الدار ومعرفة انها دار الحبيبة ، جرد من أهلها أناسا يخاطبهم بقوله : عسى أن تكونوا في صباح نعمة وسرور وسلامة ، إذ إنه عند مخاطبة الربع كان المقصود أهلها ومنهم الحبيبة .

---

[12] ينظر خزانة الادب للحموي : ٨٧٦ .

[13] ورد في (جـ ، د) (انعم) .

الربع : المنزل في الربيع ثم كثر استعماله فقيل لكل منزل ، الا انعم : كن في نعمة.

وفي البيت (التجريد) إذ جرَّد من ساكني الطلل سابقا أُناسا يكلمهم بمخاطبته لما بقي من منزلهم والمقصود أهلها بقوله : (قلت لربعها .... الخ البيت) . (والاستتباع) بقوله : (واسلم) . و(التكرار) بقوله : (لربعها ، الربع) بقصد النسيب والشغف بأهلها . (والتقيد) بالعطف بقوله : (واسلم). و (الإلتفات) من الغيبة الى التكلم بقوله : (فلما عرفت .... قلت...) .

٧- تَبَصَّرْ خَلِيْلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ[١٤]

المعنى :

يحث خليله للنظر حوله كونه مشغولا بالبكاء على أطلال الحبيبة ، بقوله : أنظر هل ترى نساء في هوادجهن تسير في أطراف موقع الماء أو أعلى منه لعل الحبيبة تكون احداهن .

وفي البيت (الالتفات) من التكلم الى الخطاب بقوله : (تبصر ...). وفيه (تجاهل العارف) للتظاهر بالحرص على لقاء الحبيبة التي لا يرى الاّ آثارها ولا يراها ؛ فيحث الاخرين الى التبصّر معه بقوله : (تبصر ...) آملا على الرغم من اليأس أن يقول له أحدهم هاهي !. و (تخلص) بقوله : (تبصر خليلي) من الوقوف على الاطلال الى وصف الرحلة ببعض شطر البيت بلطف وسلاسة وهو الغاية عند علماء الأَدب .

---

[١٤] ظعائن : جمع ظعينة وهي المرأة في هودجها ، العلياء : موضع او ما ارتفع من الارض ، جرثم : ماءة من مياه بني اسد .

٨- جَعَلْنَ القَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزْنَـهُ   وَكَمْ بِالقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرِمِ[١٥]

المعنى :

تلك الظعائن جعلن جبل القنان الذي فيه الماء وهو لبني اسد في مسيرها عن يمين هو وحزنه ، وهذا القنان يكثر فيه من لا ذمّة له ولا عهد ، وفيه من يحفظ الحرمة والعهد ، وفي ذلك إشارة الى المخاطر التي قد تتعرض لها تلك الظعون التي ربما فيها حبيبته ، أو يتعرض هو للهلاك ان طلب تلك الظعون .

وفيه (الالتفات) من الخطاب الى الغيبة بقوله : (جعلن ...) . وفيه (الجمع) بقوله : (وكم بالقنان ... الخ) . و (الطباق) في قوله : (محل و محرم) . و(التكرار) بقوله : (القنان ، بالقنان) لطول الفاصلة . وفيه (الحذف) بقوله : (القنان) للمضاف والاصل جبل القنان ، وفيه (التعريض) بقوله : (وكم بالقنان ... الخ) فالمعنى القريب : ان في هذا الجبل من أهل الشر وأهل الخير ، والمعنى البعيد أنه أو ظعن الحبيبة رّبما يتعرض للهلكة على يد الموجودين من أهل الشّر فيه . وفي البيت (التقييد) بالعطف في قوله : (وحزنه ، وكم .... ، ومحرم) .

---

[١٥] ورد البيت في (ب) : تسلسل (١٢) .

القنان : جبل لبني أسد ، حزنه : الحزن الموضع الغليظ ، المُحِل : من لا عهد له ولا ذمة ، المحرِم : من له حرمة الذمة والعهد .

٩- وَعَالَيْنَ أَنْماطا عِتاقا وَكِلَّةً وِرادَ الحَواشي لَوْنُها لَوْنُ عَنْدَمِ [١٦]

المعنى :

وعالين معطوف على جعلن ، اي رفعن على الهوادج أثواب صوف كريمة ، وأستارا رقيقة حمراء الحواشي لونها لون ثمر نبات العندم الأحمر . وفي ذلك وصف لأكسية الهوادج وأنها تدل بهذا الوصف على ثراء أهلها وعلوّ مكانتهم .

وفي البيت (مراعاة النظير) في قوله : (لونها لون عندم) إذ راعى في هذا ما سبق من قوله : (وِراد الحواشي) فكلاهما أحمر اللون ، (والتكرار) في قوله : (لونها ، لون) و (التقييد) بالنعت بقوله : (عتاقا ، وراد .. الخ) ، والعطف بقوله : (وعالين ، وكلة) . وفي وصف الأنماط والكلة (كناية) عن ثراء أَهلها ورفيع مكانتهم بقوله : (انماطا ، عتاقا ، وكلة وِراد .... الخ) . وفي قوله : (وعالين) (الوصل) مع البيت قبله .

١٠- ظَهَرْنَ مِنَ السُّوْبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ عَلَى كُلِّ قَيْنِيٍّ قَشِيْبٍ وَمُفْأَمِ[١٧]

---

[١٦] ورد في (ب ، جـ)

عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وكِلَّةٍ . وِرادٍ حَوَاشِيْهَا مُشَاكِهَةِ الدَّمِ

النمط : ثوب صوف يطرح على الهودج ، عالين : رفعن ، عتاقا : كراما ، وَكِلَّة : الستر الرقيق يتوقى به من البعوض ، وراد : جمع ورد وهو الاحمر ، عندم : ثمر نبت لا ساق له أحمر .

[١٧] ورد في (ب) تسلسل (١٣) وفي (جـ) تسلسل (١٥)

ظهرن : خرجن ، السوبان : اسم واد ، جزعنه : قطعنه ، القينيَ : رحل منسوب الى بني القين وهم حي من اليمن ، القشيب : الجديد ، المفأم : الواسع .

المعنى :

يصور مسير موكب الظعون وهيئته بأنه برز وظهر من بداية وادي السوبان ثم قطعه وتجاوزه ؛ وهم على رحال يمانية واسعة يطلق عليها قيني ، تعلوهم المهابة ويسودهم الترف وهم فوق تلك الرحال الناصعة التي تدل سعتها على ضخم أجسام النساء وكمال عافيتهن .

وفي البيت (الفصل) بقوله : (ظهرن ...) إذ إن العبارة في هذا البيت بمنزلة البدل من العبارة في البيت قبله ؛ التي يصور فيهما هيئة موكب تلك الضعائن ومسيرها ، وفصل لكمال الاتصال بينهما . وفيه (المطابقة) في قوله : (ظهرن : برزن ، وجزعن : قطعن) . (ومراعاة النظير) في قوله : (قشيب ومفأم) التي تتناسب مع قوله : (كل قيني) المشهور بهذه الصفات . و (الاستتباع) بقوله : (ومفأم) زيادة في المدح . وفي البيت (التقييد) بالنعت بقوله : (قشيب ومفأم) والعطف بقوله : (ثم جزعنه ، ومفأم) .

١١- وَوَرَّكْنَ فِي السُّوبَانِ يَعْلُوْنَ مَتْنَهُ   عَلَيْهِنَّ دلُّ النَّاعِمِ المُتَنَعِّمِ[١٨]

المعنى :

ووركن معطوف على (ظهرن) في البيت قبله ، أي : خلّف الظعائن وادي السوبان وراءهن ؛ أو ان النساء بقين متوركات على أوراك

---

[١٨] ورد في (ب) تسلسل (٩) وفي (ج) تسلسل (١٠)

ورَّكن : ركبن أوراك ركائبهن ، أو خلفت الابل الموضع وراء أوراكها ، المتن : ما غلظ من الارض وارتفع ، دلُّ الناعم : دلال النعمة وطيب العيش ، المتنعم : تكلف النعمة .

الركائب ، والركب يعلو متن السوبان الغليظ المرتفع في الجهة الأُخرى منه ، وعلى الرغم من هذه المتاعب والجهود فانه يبدو على تلك النسوة آثار الدلال والنعمة أو التظاهر بذلك لما يرين في أنفسهن من علوّ الشأن ورفيع المنزلة .

وفي البيت (الوصل) في قوله : (ووركن ...) بالعطف على جملة البيت قبله بقوله: (ظهرن ...) . وفي قوله : (وورّكن ، عليهن دلٌّ ...) (كناية) على ترفههن وتنعمهن وعلوّ منزلتهن . و (التخصيص) بتقديم الجار والمجرور بقوله : (عليهن دل ..) . والمطابقة في قوله : (الناعم : النعمة ، المتنعم : المتظاهر بالنعمة) . و(التقييد) بالعطف بقوله (وورَّكن) .

١٢- كَأَنَّ فُتَاتَ العِهْنِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ وَقَفْنَ بِهِ حَبُّ الفَنَا لَمْ يُحَطَّمِ[١٩]

المعنى :

يصور هنا موكب الظعن عند توقفه ونزول النسوة منه لأَجل الاستراحة أو الطعام و الشراب ، وما يزيّن هوادجهن من قطع الصوف الأحمر حولها الذي يشبِّهه بحب الفنا السليم ، والفنا شجر ثمره حبّ أحمر وفيه نقط سود ، وقيل هو عنب الثعلب ، وإنْ تحطم كان باطنه أبيض ، ولذلك قيّده بأنه غير محطم حتى يشابه قطع الصوف الحمراء .

وفي البيت (التشبيه المرسل) فالمشبّه قوله : (كأن فتات العهن) والمشبّه به قوله : (حب الفنا لم يحطم) . و (الاعتراض) في قوله :

---

(١٩) ورد في (ب ، جـ ، د) : في كل منزل ، نزلن ، وورد في (ب) تسلسل (١٤) وفي (جـ) تسلسل (١٣) ، الفتات : اسم لما انفت من الشئ اي تقطع وتفرق ، العهن : الصوف ، الفنا : شجر ثمره حب أحمر وفيه نقط سوداء وقيل عنب الثعلب .

(في كل موقف وقفن به) . وفي البيت (الايغال) في قوله : (لم يحطم) . وفيه (الملحق بالجناس – المشتق) بقوله : (موقف ، وقفن) . وفيه (المبالغة) في الكثرة في تشبيهه قطع الصوف بحب الفنا . وفيه (التقييد) بالنواسخ في قوله : (كأن ..) ، وبالنفي في قوله : (لم يحطّم) .

١٣- بَكَرْنَ بُكُورًا وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ فَهُنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ فِي الْفَمِ[٢٠]

المعنى :

سرن مبكرات وقت السحر الأعلى باتجاه وادي الرّس ، وهو واد لبني أسد فيه النخل والماء ، وإن مسيرهن لا يخطئ في هذا الوادي كما لاتخطئ اليد الفم ، بمعنى أنها طريق سالكة معلومة .

وفي البيت (الملحق بالجناس – المشتق) في قوله : (واستحرن – بسحرة) . و (التشبيه التمثيلي) في قوله : (فهنَّ ... الخ) فالمشبه : هيئة سيرهن ودخولهن وادي الرس لا يخطئنه بقوله : (فهن ووادي الرس) والمشبه به : هيئة اليد التي تقصد الفم لا تخطئه بقوله : (كاليد في الفم) ووجه الشبه منتزع من متعدد . وفي قوله : (فهن ... الخ) (كناية) عن وضوح معالم الطريق وأنه مسلوك . و (مراعاة النظير) في قوله : (بكرن بكورا ، استحرن بسحرة) فكلا الجملتين متوافقتين تفيدا التبكير والإسراع ، وفيه (اللف والنشر) بقوله : (فهن ..الخ) فاللف في قوله : (فهن ووادي

---

[٢٠] ورد في (ب ، جـ) تسلسل (١١) وورد في (ب ، جـ ، د) كاليد للفم بكرن : سرن بكرة ، استحرن : خرجن وقت السحر ، بسحره : السحر الاعلى ، وادي الرس ، ماء ونخل لبني أسد .

الرس) والنشر في قوله (كاليد في الفم) . وفيه (التقييد) بالعطف بقوله : (واستحرن ، ووادي) وبضمير الفصل بقوله : (فهن) .

١٤- فَلَمَّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقًا جِمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحَاضِرِ المُتَخَيِّمِ[٢١]

المعنى :

عندما حضرت تلك الظعائن الماء ، كان ما تجمع منه صافيا لم يرده أَحد قبلهن فيكدره ، فشعرن بالسرور والأمان وقررن الاقامة بعض الوقت حوله وكأَنهن في خيام الاقامة الدائمة في وطنهن.

وفي البيت (التسهيم) إذ إن صفاء الماء وكثرته في شطر البيت بقوله : (فلما .... جمامة) كان سببا ودليلا في إقامتهن حوله في قوله : (وضعن .. الخ) . وفي قوله : (وضعن ... الخ) (كناية) عن الاقامة ووضع عصى الترحال ، ويكون ايضا (مثلا) فيضرب لمن قرر الاقامة بعد طول السفر ، وفيه كذلك (التدبيج) إذ قصد بهذه الكناية الشعور بالامان وكأنهن في موطن اقامتهن الاصلية . و (الايغال) في قوله : (المتخيم) إذ يتم المعنى بدونها عند التعبير عن الاقامة بقوله : (وضعن عصي الحاضر) . و (التقديم والتأخير) في قوله : (زرقا جمامه) فالاصل : جمامة زرق .

---

[٢١] ورد في (ب) تسلسل (١٥)

زرقا : صافيا ، جمامة : ما خرج من البئر وتجمع ، المتخيم : الذي يتخذ خيمة .

١٥- وَفِيْهِنَّ مَلْهَىً لِلَّطِيْفِ وَمَنْظَرٌ أَنِيْقٌ لِعَيْنِ النَّـاظِرِ المُتَوَسِّمِ[٢٢]

المعنى :

في هؤلاء النسوة وفي الموضع الذي أقمن فيه ، مجال للَّهو والمتعة لمن كان حسن الذوق والهيئة ، ففيهن محاسن تثير الإعجاب لمن كان لديه نظر الخبير المتفرس الذي يبحث عن سمات الجمال والأَناقة .

وفي البيت (التقديم والتأخير) في قوله : (وفيهن ملهى) فالأصل ملهى فيهن . و (مراعاة النظير) في قوله : (ملهى للطيف ، ومنظر أنيق لعين ...) . و (الايغال) في قوله : (المتوسم) لان المعنى يتم بدونه . و (الجمع) في قوله : (وفيهن ملهى ... ومنظر) . وفيه (التقييد) بالنعت بقوله : (أنيق ، المتوسم) ، والعطف بقوله : (ومنظر) وضمير الفصل بقوله : (وفيهن) .

١٦- سَعَى ساعيا غَيْظِ بن مُرَّةَ بَعْدَمَا تَبَزَّلَ ما بَيْنَ العَشِيْرَةِ بالدَّمِ[٢٣]

---

[٢٢] ورد في (ب) تسلسل (١٠) وفي (جـ) تسلسل (١٢) وورد في (ب) : الصديق .

الملهى : اللهو وموضعه ، اللطيف : الحسن المنظر ، الانيق : المعجب ، المتوسم : المتفرس .

[٢٣] لم يرد هذا البيت في (جـ)

غيظ بن مرة : حي من غطفان ، منه هذان الرجلان الساعيان في الصلح ، تبزل : تشقق .

المعنى :

سعى في الصلح ساعيان من حي غيظ بن مرة من غطفان ، وهما الحارث بن عوف وهرم بن سنان ، وقيل خارجة بن سنان ، سعيا فيه بعدما تشقق ما بين العشيرة من الإلفة والمودة ؛ بالدم والقتل والثارات والحقد . فكان الصلح بين قبيلتي عبس وذبيان إثر حرب داحس والغبراء ، وتحمّلا ديّات القتلى .

وفي البيت (الاقتضاب) إذ انتقل من وصف الرحلة الى واقعة الصلح وهو الغرض الرئيس من القصيدة من غير تمهيد وهو نوع من أنواع التخلص . وفيه (الملحق بالجناس – المشتق) بقوله : (سعى – ساعيا) . و (الاعتراض) بقوله : (ما بين العشيرة) . وفيه (الاستعارة التمثيلية) بقوله : (تبزل ... الخ) إذ شبه هيئة الخلاف والفرقه والتشقق الذي حصل بين القبيلتين ؛ بهيئة الجسم الذي جُرِّح وتقطعت أوصاله وسالت دماؤه وتعطلت قواه ، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية ، والقرينة المانعة قوله : (مابين العشيرة) ووجه الشبه منتزع من متعدد . وفي البيت (الافتنان) إذ ورد في شطر البيت أسباب الصلح وفي عجزه أسباب القطيعة .

١٧ – فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ ٱلَّذي طَافَ حَوْلَهُ   رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ[٢٤]

---

[٢٤] ورد في (جـ) تسلسل (١٦) .

المعنى :

حلفت بالكعبة التي طاف حولها مَنْ بناها من رجال قريش وجرهم ، وجرهم قبيلة من اليمن تزوج فيهم نبي الله اسماعيل (عليه السلام) فغلبوا على الكعبة والحرم بعد وفاته (عليه السلام) وضعف أمر أولاده لقلّتهم ، ثم استولى عليها بعد جرهم خزاعة الى أن عادت الى قريش ، وقريش اسم لولد النَّضر بن كنانة .

وفي البيت (الالتفات) من الغيبة الى التكلم . وفيه (التلميح) بقوله : (رجال ...الخ) إذ فيه إشارة إلى قصة المصاهرة بين نبي الله اسماعيل (عليه السلام) وجرهم وعلاقة ذلك بخدمة الكعبة المشرفة . و (الجمع) في قوله : (بنوه ...الخ) . (والتقديم والتاخير) بقوله : (طاف حوله رجال) والاصل طاف رجال حوله . وفيه (التقييد) بالعطف بقوله : (وجرهم).

١٨- يمِينا لنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُما على كُلِّ حالٍ مِنْ سَحِيْلٍ وَمُبْرَمِ[٢٥]

المعنى :

يمينا منصوب بـ (أقسمت) في البيت قبله ، اي : اقسمت بالكعبة يمينا إنكما نعم السيدان ، فأنتما جديران بحلّ وإصلاح ما سهل من الخطوب ، وما اشتد منها .

---

(٢٥) السحيل : خيط واحد لا يضم اليه اخر ، والمبرم : يفتل خيطين حتى يصيرا خيطا واحدا .

وفي البيت (الالتفات) من التكلم الى الخطاب بقوله : (وجدتما ...) . و (التقديم والتاخير) بقوله : (نعم السيدان وجدتما) فالاصل : وجدتما نعم السيدان (والجمع) في قوله : (من سحيل ومبرم) ؛ وفيه أيضا (الاستعارة التصريحية) إذ شبه الأمر الهين بالسحيل ، والأمر الجلل بالمبرم ، واستعار اسمي المشبه به للمشبه .

١٩- تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا تَفَانَوْا وَيَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ[٢٦]

المعنى :

تمكنتم من بلوغ مَنْ بقي من عبس وذبيان فتلافيتموهم الى السلامة ، بعد ان أستفحل الامر بينهما وسارا في طريق التقاتل الى النهاية ؛ حتى ضُرب فيهم المثل المعروف بأنهم نشروا بينهم عطر منشم . ((قالوا منشم امرأة عطارة فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها ليتحرموا به ثم خرجوا الى الحرب فقُتلوا جميعا فتشائمت العرب بها)) [٢٧] فضُرب مثلا في الشتاؤم .

وفي البيت (الجمع) في قوله : (عبسا وذبيان) . و (الافتنان) إذ جمع بين أسباب السلامة في شطر البيت ، وبين أسباب الهلكة في عجزه . وفيه (التلميح) في قوله : (وبقوْا بينهم عطر منشم) إذ فيه الاشارة الى قصة المراة منشم المذكورة ، وفيه أيضا (الاستعارة التمثيلية) إذ

---

[٢٦] ورد في (ب ، جـ ، د) ودقوا بينهم ، وورد في (جـ) تسلسل (١٨) .

تدراكتما : تلافيتما ، بقوا : نشروا . عطر منشم : مثل يضرب في شدة التشاؤم وانتشار الشر في القوم .

[٢٧] شرح القصائد العشر للتبريزي : ١١٢ .

استعير هذا المثل – وبقوا بينهم عطر منشم -- تشاؤما للقتال المستشري بين عبس وذبيان ، فحالهم هذا مشبه والمثل مشبه به ، فحذفت هيئة المشبه ، واستعير لها هيئة المثل المشبه به المنتزعة من متعدد على سبيل الاستعارة التمثيلية.

٢٠– وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلَمِ[٢٨]

المعنى :

وقد حكمتم بأنَّ إدراك الصلح إنْ كان ممكنا ببذل المال لديات القتلى والجرحى ؛ والتوفيق بين الاراء بالقول المعروف والحكمة ؛ فاننا نفعل ذلك حتى إنجاز الصلح واطفاء نار الحرب .

وفي البيت (المزاوجة) بين جهود الصلح في الشرط بقوله : (إنْ ندرك .... القول) ونهاية الحرب في الجزاء بقوله : (نسلم) أي : تنتهي الحرب ونسلم من أوزارها . و (الجمع) بقوله : (بمال ومعروف من القول) ولا يتم الصلح بغيرهما . و (الاكتفاء) في قوله : (نسلم) إذ إن هذه القافية متعلقة بمحذوف لا حاجة لذكره لدلالة لفظ البيت عليه ليكون : نسلم من الحرب .... وفي البيت (التقييد) بالشرط في قوله : (إنْ ندرك ... الخ) ، والنعت بقوله : (واسعا) ، والعطف بقوله : (وقد ، ومعروف) . وفيه (رد العجز على الصدر) بقوله : (السلم) في حشو الصدر ، والتقفية بقوله : (نسلم).

---

[٢٨] ورد في (ب) من الامر ، وورد في (جـ) تسلسل (١٩) .

السلم : بكسر السين وفتحها الصلح ، واسعا : ممكنا .

٢١ - فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ   بعيدَيْنِ فِيْهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ[٢٩]

المعنى :

مازال يخاطب السيدين الجليلين مادحا بقوله : إنكما أصبحتما من السلم والصلح في مرحلة النهاية الموفقة المباركة ، وعلى الرغم من انكما لم ترتكبا اثما او قطيعة بحق أحد ، فقد أنفقتما أموالا كثيرة لإصلاح ذات البين .

وفي البيت (مراعاة النظير) في شطره فهما على خير ، وفي عجزه بأنهما لم يعقا او يأثما . و (المبالغة) في تكرار المدح في عجز البيت . و (التذييل) بقوله : (مأثم) فالعقوق من الإثم وكلاهما ذنب . وفيه (التقييد) بالنواسخ بقوله : (فأصبحتما) ، والعطف بقوله : (ومأثم) .

٢٢ - عظِيمَين فِي عُلْيَا مَعدٍّ هُدِيْتُمَا   وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزا مِنَ المَجْدِ يَعْظُمِ[٣٠]

المعنى :

عظيمين تابع لبعيدين ، اي : وأصبحتما عظيمين في أرفع مكانة في قبائل معد بصنيعكما ، فزادكم الله هدى وبارك فيكما ، ثم أتبع ذلك بحكمة : إن من عمل المكارم وحرص على القيم وبذل أمواله ووقته لأجلها ، فهو كمن استباح لنفسه كنزا عظيما من المجد والرفعة ، وبذلك تعظم منزلته ويعلو شأنه .

---

[٢٩] ورد في (جـ) تسلسل (٢٠) .

العقوق : قطيعة الرحم ، المأثم : الاثم وهو الذنب .

[٣٠] ورد في (ب) معد وغيرها ، وورد في (جـ) تسلسل (٢١)

عليا : أرفع ، معد : وهو ابن عدنان جد القبائل النزارية ، ومنها الممدوحان .

وفي البيت (رد العجز على الصدر) بقوله : (عظيمين) و التقفية بقولـه : (يعظـم) . وفـي قولـه : (ومـن يسـتبح ... الـخ) مـن (المثـل السـائر) . و (مرعـاة النظيـر) بـين شـطر البيـت وعجـزه . وفيـه (حسـن التعليـل) فـي قولـه : (ومـن يسـتبح ... الـخ) إذ قدّم لأجل الوصـول الـى الرفعـة والعظمـة اسـتباحة أموالـه لمسـتحقيها ، وفيـه ايضـا (المزاوجـة) بـين الشـرط بقولـه : (ومـن ... المجـد) والجـزاء بقولـه : (يعظـم) . وشـبه هيئـة الأموال التي أنفقاها في الصلح والمنزلة التي وصلا إليها ؛ بهيئة من استباح لنفسـه كنـزا عظيمـا مـن المجـد والرفعـة بقولـه : (ومـن .... الـخ) واسـتعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق (الاستعارة التمثيلية) .

٢٣– وَأَصْبَحَ يُحْدى فِيكُمُ مِنْ إفالِها مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إفالٍ مُزَنَّمِ[٣١]

المعنى :

واصـبح يسـاق فـيكم مـن صـغار الابـل عطايـا متواليـة الـى أوليـاء المقتولين وهـي مـن كـرام الابـل المزنمـة ، اي : المعلّمـة بتلـك الدلالـة لتاكيـد كرمها .

وفي البيت (التكرار) بقوله : (من افال) . و (الايغال) بقوله : (مزنم) للمبالغة في ان عطايا السيدين من كرام الابل . وفيـه (التقييد)

---

(٣١) ورد في (ب ، جـ) فاصبح يجري فيهم من تلادكم ، وفي (د) واصبح يحدى فيهم من تلادكم ، وورد في (حـ) تسلسل (٢٤) .

يحدى : يساق ، افال : الصغار من الابل بنات المخاض وبنات اللبون ؛ الواحد افيل وافيلة للانثى ، مزنم : التزنيم علامة تجعل على ضرب من كرام الابل على ظاهر الأذن ، شتى : متفرقة ؛ او متوالية ، المغانم : النوافل اي العطايا .

بالنعت بقوله : (شتى ، مزنم) . و (التقديم والتاخير) بقوله : (واصبح ... مغانم) بتاخير اسم اصبح ، فالاصل ، وأصبحت مغانم شتى تحدى .

٢٤- تُعَفَّى الكُلُومُ بِالمِئينَ فَأَصْبَحتْ يُنَجِّمُهَا مَنْ لَيْس فِيْهَا بِمُجْرِمِ[٣٢]

المعنى :

تمحى الجروح والقتول بالمئين من الابل التي تحسب وترسل أقساطا من السيدين الكريمين الى ذوي القتلى وهما لم يجرما بحق أحد ، فتزول بذلك الأحقاد والثارات .

وفي البيت (الالتفات) من الخطاب الى الغيبة بقوله : (تعفى ...). وفيه الاستعارة بقوله : (تعفّى الكلوم بالمئين) وفي تشديد الفاء المبالغة ، إذ شّبه هيئة ترك الثارات وزوال الأحقاد ؛ بهيئة برء الجراح وزوال اثرها عند استلام الديات من الابل ؛ واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق (الاستعارة التمثيلية) . وفي قوله : (ينجمها ... الخ) (كناية) عن السيدين الجليلين ، إذ إنهما تحملا الديات الالاف من الابل يرسلونها أقساطا لمستحقيها دون ان يجرموا بحق احد بل حقنا للدماء ومحوا للاحقاد . وفي البيت (التقييد) بالنواسخ بقوله : (فاصبحت ، ليس) .

٢٥- يُنجّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غرامَـةً وَلَمْ يُهَرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلْء مِحْجَمِ[٣٣]

---

[٣٢] ورد في (جـ) تسلسل (٢٢)

التعفية : المحو وإزالة الأثر ، الكلوم : الجراح ، ينجمها : يدفعها أقساطا .

[٣٣] ورد في (جـ) تسلسل (٢٣)

الغرامة : ما يلزم اداؤه من دية وغيرها ، المحجم : كأس الحجام .

المعنى :

يؤدي هذان السيدان الديات من الابل أقساطا لضخامة عددها الى مستحقيها ، وهذا الأداء واجب الوفاء لأنه جرى في ضوء اتفاق الصلح ، على الرغم من انهم لم يريقوا دما من أحد ولو ملء كأس الحجّام .

وفي البيت (التكرار) بقوله : (قوم لقوم) لاختلاف المتعلق . و (التقديم والتاخير) بقوله : (ولم يهريقوا .... محجم) فالاصل : ولم يُهريقوا ملء محجم بينهم ، ويمكن ان يكون البيت (كناية) على شهامة ومروءة السيدين الكريمين ... وفيه (التقييد) بالعطف والنفي بقوله : (ولم ...) .

٢٦- ألاَ أبْلِغِ الأَحْلاَفَ عَنِّى رِسالَة وَذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلَّ مُقْسَمِ

٢٧- فَلاَ تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي صُدُورِكُمْ لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

٢٨- يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخرْ لِيَوْمِ الحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ[٣٤]

المعنى :

وجَّه الشاعر رسالةً الى الأحلاف وهم أسد وغطفان وقيل معهم طيئ الذين تعاهدوا أن يكونوا يدا على عيرهم مع ذبيان على حرب عبس ، و (هل) هنا بمعنى قد[٣٥] ، والمعنى أبلغ ذبيان وأحلافها بأنكم أقسمتم بكل عظيم على الصلح ، فلا تضمروا الغدر وتكتموه فإن الله يعلمه ، ويعاقبكم

---

(٣٤) ورد في (ب) فمن مبلغ ، وفي (ب ، جـ) ما في نفوسكم ، وورد في (جـ) التسلسل (٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧) .

الحلف : أن يكون معهم يدا على غيرهم .

(٣٥) ينظر (ب) : ٢٨٢ .

عليه يوم الحساب أو يُعجِّل عقابكم . وهذا من مظاهر الايمان بالبعث واليوم الآخر . وتلك من بقايا دين نبي الله ابراهيم (عليه السلام) عند المتحنفين .

وفي الأبيات (الاستطراد) إذ خرج من مخاطبته السيدين الجليلين الى مخاطبة الأحلاف المتخاصمين ونصحهم بقوله : (ألا أبلغ الأحلاف ...) ، وفيها أيضا (الالتفات) من الغيبة الى الخطاب . وفيها (الملحق بالجناس – المشتق) بقوله : (أقسمتم – مقسم) . و (الجناس المضارع) في قوله : (يؤخر – يدخر) . و (المزاوجة) بقوله : (ومهما يُكتم اللهُ) في الشرط و (يعلم) في الجزاء . وفي قوله : (فلا تكتمن ... ليخفى) (كناية) على الغدر ونقض العهد . وفيه (التقسيم) بقوله : (يؤخر ... الحساب – او يعجَّل ... الخ) . و (التجريد) في قوله : (ألا أَبلغ) إذ جرَّد من المخاطبين شخصا ليبلِّغ ما يريد إيصاله للمتخاصمين . و (المذهب الكلامي) في قوله : (فلا تكتمن ... ليخفى) فدلل عدم جدوى ذلك بقوله : (ومهما ... الخ) . و (السجع) في قوله : (يؤخَّرْ ... فيدَّخرْ) . وفيها (الاقتباس) من شريعة سيدنا ابراهيم عليه السلام بقوله : (يؤخر ... الخ) لان هذا المعنى من كلام النبوة . و (حسن التعليل) بقوله : (فلا .... صدوركم) وعلل ذلك بقوله: (ليخفى) فحسن تعليلة وفيها (التقييد) بالعطف في قوله : (وذبيان ، أو يعجل) والشرط بقوله : (ومهما ...) والنفي بقوله : (فلا تكتمن). وفيها (المطابقة) بقوله : (ليخفى – يعلم ، يؤخر – يعجل) .

٢٩- وَمَا الحَرْبُ إلاَّ مَا عَلِمْتُمْ وذُقْتُمُ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ

٣٠- مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً وَتَضْرَ إذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضْرَمِ

٣١- فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا   وَتَلْقَحْ كِشَافا ثمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ[٣٦]

المعنى :

أوجز الكلام بقصر ما عُلم عن أهوال الحرب وأوزارها على ما خبروه وذاقوه منها ، وان الحديث عنها من الحقائق المعروفة ، وانها متى نشبت كانت مذمومة الأحوال والوقائع ، واذا أُضرمت ازدادت ضراوة واشتعالا ، ونتائجها وخيمة تسحقكم كطحن الرحى للحبوب ، وتتوسع وتتشطر كحمل الابل تباعا دون فاصلة ثم تلد أتواما .

وفي الأبيات (ايجاز القصر) بالنفي والاستثناء بقوله : (وماالحرب الا ما علمتم وذقتهم) . و (الاطناب بالتكرار) بقوله : (تبعثوها تبعثوها) للتاكيد . (والجناس المطرّف) بقوله : (تضر ، تضرم) و (الجناس المطرّف او المزّدف) بقوله : (تعرك ، عرك) الاولى سحق الحرب للبشر والثانية الطحن للحبوب . و (الطباق) بقوله : (تلقح ، تنتج) . وفي قوله : (وما الحرب .... وذقتم) (كناية) عن التحذير من الغدر والرجوع إليها والى اوزارها . وفي قوله : (وما هو ... المرجم) (كناية) عن ان بلاءها حقيقة لا لبس فيها ، وفي الشطر والعجز هذين (مراعاة النظير) لحصول التناسب بين مضمونيهما و (رد العجز على الصدر) في قوله :

---

[٣٦] ورد في (ب) اذا اضريتموها ، ثم تحمل فتتئم

المرجّم : الغير محقق الوارد بطريق الظن ، وتضر : الضَرى : شدة الحرب واستعار نارها . عرك : طحن ، بثفال : خرقة او جلدة يبسط تحت الرحى ليقع عليها الطحين والباء بمعنى مع ، تلقح : تحمل الولد ، كشاف : اذا حمل على الناقة كل عام ، تنتج : تولد ، تتئم : تلد توأمين .

(وتضر) والتقفية بقوله : (فتضرم) . وفي قوله : (وتضر .... فتضرم) (التسهيم) لان ضرَّها وضرمها دليل انهم ضرَّموها . (والمشاكلة) في قوله : (فتعرككم عرك الرحى) . و (المماثلة) في قوله (متى تبعثوها تبعثوها ، وتضر اذا ضريتموها). واستعار لتوسع ساحة الحرب وسرعة انتشارها قوله : (وتلقح ... الخ) (استعارة تصريحية تمثيلية) منتزعة من متعدد إذ إن دوام الحمل وولادة التوائم دليل التشطر والتوسع وهذا ماشبه به الحرب ونتائجها ، وفيه أيضا (المبالغة) . وفي قوله : (فتعرككم .... بثغالها) (التشبيه البليغ) فقوله : فتعرككم مشبه ، وعرك الرحى بثقالها مشبه به . وفي الأبيات (التقييد) بالنعت بقوله : (المرجم ، ذميمة) والعطف بقوله (وما ، وذقتم ، وماهو ، وتضر ، فتعرككم ، وتلقح ، ثم تنتج ، فتتئم) وضمير الفصل بقوله : (هو) والشرط بقوله : (متى .... ، اذا) والنفي بقوله : (وما الحرب ، وما هو) .

٣٢- فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

٣٣- فَتُغْلِلْ لَكُمْ مَا لا تُغِلُّ لأَهْلِهَا قُرَىً بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيْزٍ وَدِرْهَمِ[٣٧]

المعنى :

في البيتين العطف على ما سبقه من كلام ، إذ بيَّن إن من أوزار الحرب إيجاد غلمان يطغى عليهم السوء والشؤم ، وشبههم بعاقر ناقه ثمود

---

[٣٧] غلمان اشأم : غلمان شوم وشر ، أحمر عاد : أحمر ثمود ، وهي عاد الاخيرة الذي عقر الناقة واسمه قدار بن سالف ، تغلل : تعطي الغلال ، قفيز : ضرب من المكاييل .

وهي عاد الاخيرة ، ثم أشار الى أنها تطول سنينها ، وتهكّم بهم بقوله : إنها لا تاتيكم بالغلل التي تأتي بها قرى العراق لاهلها من القفيز والدرهم ؛ بل تأتيكم بالجوع والجرحى والقتلى . أو انها تاتيكم بالديات . وفي كل ما تقدم حثّ منه على عدم الغدر والتمسك بالصلح .

وفيه (التشبيه المرسل) في قوله : (غلمان أشأم كلهم) المشبه ، والمشبه به قوله : (كأحمر عاد) وهو عاقر الناقة واسمه (قدار بن سالف) وقد ذكرت الأداة في التشبيه . وفي قوله : (ثم ترضع فتفطم) (كناية) عن طولها وصعوبة انكشافها وفيها يفنى بعضكم بعضا . وفيه (المطابقة) بقوله : (ترضع – تفطم ، تغل – لا تغل) وفي قوله : (فتنتج .... عاد) (التسهيم) مع البيت قبله إذ إن هذا المعنى دليل لما تقدم عليه ، وفي قوله : (فتغلل ... الخ) (التسهيم) أيضا لأن المعنى فيه دليل لما تقدم عليه . وفي قوله : (تغل لأهلها ... ودرهم) (الجمع مع التقسيم) ، فالجمع قوله : (تغل لأهلها) والتقسيم قوله : (من قفيز ودرهم) . و (القول بالموجب) بقوله : (فتغلل ... الخ) إذ ذكر ان الحرب تغلل لهم ولم يحدد ذلك ، وأثبت أنه لا يكون كما تغلل قرى العراق لأهلها من القفيز والدرهم . وفيه (الاقتباس) بقوله : (أحمر عاد) مما بقي من شريعة نبي الله ابراهيم (عليه السلام) ؛ ويمكن أيضا أن يكون في ذلك (التلميح) لان فيه إشارة الى قصة عاقر ناقة ثمود . وفيه (التقييد) بالعطف بقوله (فتنتج ، ثم ترضع ، فتغلل ، ودرهم) والتوكيد بقوله : (كلهم) والنفي بقوله : (لا تغل) .

٣٤- لِحَيٍّ حِلالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ   إذَا نَزَلَتْ إحْدَى اللَّيَالِي بِمِعْظَمِ[٣٨]

٣٥- كِرَامٍ فلا ذُو الضِّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ   وَلا الجَارِمُ الجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ[٣٩]

٣٦- رَعَوْا ظِمْأَهُمْ حَتَّى إذَا تَمَّ أَوْرَدُوا   غِمَارا تَسَيَّلُ بِالسِّلاحِ وَبِالدَّمِ[٤٠]

٣٧- فَقَضَّوْا مَنَايَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا   إلَى كَلاءٍ مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَخَّمِ[٤١]

المعنى :

عاد من الاستطراد في البيت (٢٦) الرسالة التي وجهها الى الأحلاف ، ودخل في مضمون مسيرة السيدين في الصلح ، وذلك أن سعيهما وبذل الأموال للديات في البيت (١٦) بقوله : سعى ساعيا ... كان لحي حلال ، وصفه بكثرة البيوت المتقاربة الذي يدل على كثرة ديات القتلى وهذا الأمر يمنع الناس إذا دهمتهم الليالي من النوائب والدواهي ، ثم يصفهم بأنهم كرام لا يدرك ذو الحقد ثأره منهم ، ولا يخذلون من جنى عليهم من جيرانهم

---

[٣٨] ورد في (ب) تسلسل (٤٦) وفي (جـ) تسلسل (٤٤) وورد في (جـ ، د) اذا طرقت ، وفي (ب) اذا طلعت .

[٣٩] ورد في (ب) تسلسل (٤٧) وفي (جـ) تسلسل (٤٥) وورد في (ب) ذو الوتر يدرك وتره لديهم ولا الجاني.

[٤٠] ورد في (ب) تسلسل (٤٠) وفي (جـ) تسلسل (٣٩) وورد في (ب ، د) رعوا ما رعوا من ظمئهم ثم اوردوا وفي (جـ ، د) تفرى بالسلاح وفي (ب) بالرماح .

[٤١] ورد في (ب) تسلسل (٤١) وفي (جـ) تسلسل (٤٠) .

الحي الحلال : كثير العدد ، المعظم : الخطب العظيم ، الضغن : العداوة ، التبل : الثأر ، الجارم الجاني ، ذو الجرم . مسلم : مخذول ، الظما : ما بين الوردين ، غمارا : جمع غمر وهو الماء الكثير ، قضوا : احكموا واتمموا ، صدروا : ضد أوردوا ، مستوبل متوخم : الذي لا يستمرأ .

وحلفائهم ، بل يمنعونه . ثم يصفهم بانهم تمتعوا بالسلم كما ترعى الابل بين الشربين ، ثم عادوا وأوردوا أنفسهم غمار الحرب التي تسيل دماؤها بالسلاح . فقضى بعضهم على بعض قتلا ؛ ثم أقلعوا عنها الى أمر استوخموا عاقبته ؛ فبعد أن كانوا أشداء مهابين صاروا يأخذون الديات لقتلاهم .

وفي الابيات (الألتفات) من الخطاب الى الغيبة بقوله (لحي حلال ... الخ) . و (التقديم والتأخير) بقوله : (يعصم الناس أمرهم) فالأصل : يعصم أمرُهم الناسَ . و (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (إذا ... الخ) والجزاء بقوله : (يعصم الناس أمرهم) لأن إذا ظرف الزمان للمستقبل يتضمن معنى الشرط . وفي قوله : (اذا نزلت ... بمعظم) (مجاز مرسل) سميت هذه الليالي ووصفت بصفة ما يقع فيها من الدواهي ، تعبيرا بوصف الزمان بصفة ما يشتمل عليه . وفي قوله : (كرام .... بمسلم) (الجمع مع التفسيم) فالجمع بقوله : كرام ، والتقسيم بقوله : (فلا .... تبله ، ولا بمسلم) . وفيه (مراعاة النظير) بين قوله : (الضغن – التبل ، الجارم – الجاني) (والمطابقة) بقوله : (يُدرك ، بمُسلَم) بمعنى ينال ، ويخذل . وفي قوله : (رعوا ظمأهم) (مجاز مرسل) بالتعبير عن المكان وهو المرعى ، بصفة ما يشتمل عليه من الفترة بين الشربين من الزمان ، وفيه أيضا (الكناية) عن السلام واستقرار الحياة المؤقت في الحروب . واستعار قوله : (أوردوا ... وبالدم) إذ شبه هيئة الانزلاق في أهوال الحروب التي تسيل بالدماء والسلاح ، بهيئة ورود المياه الجارفة التي تكسح ما تجري عليها ، وحذف المشتبه به وترك من لوازمه قوله : (غمارا تسيل) (استعارة تمثيلية) منتزعة من متعدد . و (التذييل) بقوله : (وبالدم) .

و (المطابقة) في قوله (رعوا – اوردوا ، ظمأ – غمار) . و (الافتنان) في قوله : (رعوا ... تم) ما يدل على السلام والطمأنينة ، وقوله (أوردوا .. وبالدم) ما يدل على الحروب وأوزارها ، وفيه أيضا (التفريع) إذ فرّع من وصفه لهم بانهم (رعوا ... تم) وصفهم بانهم (أوردوا ... وبالدم) . و (التفريع) في قوله : (فقضوا ... الخ) إذ فرّعَ من وصفهم بقوله : (فقضوا .... بينهم) وصفهم بأنهم (أصدروا ... متوخم) . و (الايغال) بقوله : (متوخَّم) . وشبه هيئة ذوي القتلى بانصرافهم الى أخذ ديات قتلاهم بعد أن فجعوا بقتل بعضهم بعضا ، بهيئة الابل التي صدرت الى كلاء مستثقل متوخَّم لا يُستمرا أكله ، بقوله : (فقضوا .. متوخم) وحذف المشبه واستعار له المشبه به (استعارة تمثيلية) منتزعة من متعدد . وفي الابيات (التقييد) بالنعت بقوله : (حلال ، كرام ، غمارا ، مستوبل ، متوخم) والعطف بقوله : (ولا الجارم ، وبالدم ، ثم اصدروا) . وفي قوله : (كلاء مستوبل متوخم) (التلميح) إذ ان في قوله هذا اشارة الى المثل السائر (كلأ وبيل وماء وبيل) .

٣٨- لَعَمْري لَنِعْمَ الحَيُّ جَرَّ عَلَيْهِمُ ‏ ‏ ‏ ‏ بِمَا لاَ يُواتِيهِم حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمِ[٤٢]

٣٩- وَكَانَ طَوَى كَشْحا عَلَى مُسْتَكِنَّة ‏ ‏ ‏ ‏ فَلاَ هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمِ[٤٣]

---

[٤٢] ورد في (ب) تسلسل (٣٤) وفي (جـ) تسلسل (٣٣).

[٤٣] ورد في (ب) تسلسل (٣٥) وقوله : (ولم يتجمجم) ، وفي (جـ) تسلسل (٣٤) .

٤٠ - وَقَالَ سَأَقْضِي حَاجَتِي ثُمَّ أَتَّقِي عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِيَ مُلْجِمِ[٤٤]

المعنى :

أقسم الشاعر إن أهل هذا الحي نعم الناس ، ولكن حصين بن ضمضم جنى عليهم بما لا يوافقهم ، إذْا إنه أخفى في نفسه بعد الصلح الغدر ثأرا لأخيه ، ولم يظهر ذلك حتى يُتَّقى أو يتردَّد فيه موافقه للصلح ، وقال في نفسه سأَقضي حاجتي بقتل قاتل أخي أَو قتل كفؤ له ، ثم أجعل بيني وبين عدوي ألف فارس على خيل ملجمة .

وفي الابيات (التلميح) بالاشارة الى قصة الحصين بن ضمضم بقوله : (جر ... ضمضم) وفيه (الاستطراد) إذ خرج من مدح أهل الحي الى قصة الحصين بقوله : (لنعم ... الخ) . وفيه (الحذف) بقوله : (الحي) فالاصل : أهل الحي . وفيه (الجمع مع التقسيم) فالجمع في قوله : (وكان ... مستكنة) والتقسيم في قوله : (فلاهو ابداها ، ولم يتقدم) . و (المطابقة) في قوله : (طوى ، أبداها) وفي قوله : (طوى كشحا على مستكنة) تشبيه هيئة من أَضمر السوء وأَخفاه ولم يبحه لأحد ، بهيئة من وضع شيئا يريد أَن يخفيه في مكان لا يصل اليه أحد ؛ وحذف المشبه واستعار المشبه به للمشبه (استعارة تمثيلية) منتزعة من متعدد وفيه

---

[٤٤] ورد في (ب) تسلمن (٣٦) وفي (جـ) تسلسل (٣٥)

جر عليهم : جنى عليهم . يواتيهم : يوافقهم ، طوى كشحا : الكشح منقطع الاضلاع اي الجنب وطوى كشحه اي اضمر في صدره ، مستتكة : الاستكنان الاستتار ، ابداها : اظهرها ، ملجم : ملجم فرسه .

أيضا (كناية) عن الغدر واضمار السوء . وفيه (التفريع) بقوله : (وقال سأقضي حاجتي) ثم فرّع بقوله (ثم ... ملجم) . و (حسن التعليل) في قوله : (سأقضي .. ملجم) إذ علّل قضاء حاجته من الثار واتقاء ضرر عدوه ، لوجود ألف فارس يدفعون عنه . و (مراعاة النظير) في قوله : (سأقضي حاجتي ، ثم أتقي عدوي) . و (التقييد) بالنعت في

قوله : (ملجم) والعطف في قوله : (ولم يتقدم ، وقال ، ثم اتقي) وضمير الفصل بقوله : (هو) والنواسخ بقوله : (وكان) والنفي بقوله : (لا يؤاتيهم ، فلا هو ، ولم يتقدم) .

٤١- فَشَدَّ وَلَمْ يُنْظِرْ بُيوتا كثيرةً لدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَها أُمُّ قَشْعَمِ[٤٥]

٤٢- لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السِلاحِ مُقَاذِفٍ لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ[٤٦]

٤٣- جَرِيءٍ مَتَى يُظْلَمْ يُعَاقِبْ بِظُلْمِهِ سَرِيْعا وَإِلاَّ يُبْدَ بِالظُّلْمِ يَظْلِمِ[٤٧]

---

(٤٥) ورد في (ب) تسلسل (٣٧) فشد ولم تفزع بيوتٌ كثيرةً . وفي (جـ) تسلسل (٣٦) فشد فلم يُفزع ، وفي (د) ولم يُنظره .

(٤٦) ورد في (ب) تسلسل (٣٨) السلاح مقذَّف ، وفي (جـ) تسلسل (٣٧) السلاح مقذَّف ، وفي (أ) شاكي البنان.

(٤٧) ورد في (ب) تسلسل (٣٩) وفي (جـ) تسلسل (٣٨)

فشد : الشدة الحملة . ينظر : يؤخر ، أم قشعم : المنية او الحرب الشديدة ، شاكي : سلاحة ذو شوكة ، مقاذف : غليظ اللحم أو يقذف به الى الوقائع، لبد : جمع لبدة وهي الشعر المتراكب على زبرة الاسد ما بين الكتفين ، لم تقلم : تام السلاح حديده ، جرئ : شجاع .

المعنى :

فحمل حصين على قاتل أخيه ولم يؤخّر إقدامه كثرة الحشود في هذه البيوت الكثيرة ، في موضع نزلت فيه المنية وألقت رحلها ، اي في موضع حانت فيه المنية فقتله ، والقاتل أسد تام السلاح تتقاذفه الحروب متكامل القوى حادّ الشكيمة ، شجاع سريع ردة الفعل لا يُؤخِّر عقاب من ظلمه ، وإنْ لم يتعرض له أحد بظلم ، أظهر للناس قدراته وعظيم بلائه ليهابوه وليس بقصد التجاوز عليهم ، وهذه الصفات عُني بها حصينا ، وتلك صفات رجل الصحراء الذي يواجه الحياة بجسده .

وفي قوله : (فشد ... كثيرة) (كناية) عن عدم مبالاته بجميع مَنْ حوله من أجل الثأر لاخيه ، وفيه أيضا (المبالغة) . وفي قوله : (لدى ... قشعم) (مثل) وفيه شبَّه هيئة حلول أوان المنية ودواعي الموت ، بهيئة نزول المسافر من رحلة في موضع ليستقر فيه ، بجامع حلول أوان الشيئ في كلٍ ، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق (الاستعارة التمثيلية) . (والتقديم والتاخير) بقوله : (ألقت .. الخ) والاصل ألقت أم قشعم رحلها . وفي قوله : (لدى أسد) (استعارة تصريحية) إذ شبّه الحصين الشجاع بالاسد ، وفي قوله : (شاكي السلاح مقذف) (الاستعارة المجردة) لذكره ما يناسب المستعار له ، وفي قوله : (له لبد ... تقلم) (الاستعارة المرشحة) لذكره ما يناسب المستعار منه ، وفي اجتماع التجريد والترشيح تسمى (استعارة معادلة).[٤٨] وفيه

---

[٤٨] ينظر جهود العلماء القدماء والمحدثين : ٤٣ .

(المواردة) إذ توارد زهير بقوله : (اظفاره لم تقلم) مع أوس بن حجر بقوله[٤٩]:

لعمرك انا والاحاليف هؤلا ٭ لفي حقبة أظفارها لم تقلّم

وفي قوله : (أظفاره لم تقلم) (كناية) عن جاهزيته للقتال . وفيه (المزاوجة) بين عدم الظلم في الشرط بقوله : (والا يُبد بالظلم) والظلم في الجزاء بقوله : (يَظلم) وفيه (رد العجز على الصدر) بقوله : (يُظلَم ، يظلمه) والتقفية بقوله : (يظلم) . وفيه (التقييد) بالعطف بقوله : (فشد ، ولم ، والا) والشرط بقوله : (وإلا ...) والنفي بقوله : (ولم ينظر ، لم تقلم ، لا يبد) .

٤٤ - لعمْرُكَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رماحُهُمْ ٭ دَمَ ابْنِ نَهِيكٍ أَوْ قَتِيْلِ المُثَلَّمِ[٥٠]

٤٥ - وَلا شَارَكَتْ فِي المَوْتِ فِي دم نَوْفَلٍ ٭ وَلاَ وَهَبٍ منها وَلا ابْنِ المُحَزَّمِ[٥١]

٤٦ - فَكُلا أرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ ٭ صَحِيْحَاتِ أَلْفٍ بَعْدَ أَلْفٍ مُصَتَّمِ[٥٢]

---

[٤٩] ديوان اوس بن حجر : ١٢٠ .

[٥٠] ورد في (ب) تسلسل (٤٢) . وفي (جـ) تسلسل (٤١) .

[٥١] ورد في (ب) تسلسل (٤٣) ولا شاركوا في القوم ... وهب منهم ، وفي (جـ) تسلسل (٤٢) المخزم ، وفي (د) في الحرب ... المحزم .

[٥٢] ورد في (ب) تسلسل (٤٤) يعقلونهم ... علالة ، وفي (جـ) تسلسل (٤٣) صحيحات مال طالعات بمخرم ، وفي (د) علالة الف .

جرت : جنت من الجريرة ، يعقلونه : عقلت القتيل وديته ، وسميت الدية عقلا لأنها تعقل الدم عن السفك اي تحقنه وتحبسه ، مصتم : المصتم اي التام .

المعنى :

أُقسم بحياتك إن رماحهم لم تجن عليهم دم ابن نهيك وقتيل المثلّم ، ولا شاركت تلك الرماح في قتل نوفل ولا وهب ولا ابن المحزم ، لأنهم قُتلوا قبل هذه الحرب ، فلما شملتهم هذه الحرب أدخلوا كل قتيل فيها وطالبوا بدياتهم حتى اصطلحوا ، والمقصود بالبراءة من الدماء السيدان الكريمان اللذان أصبحا يؤديان الدية شهامة عن كل قتيل بإبل صحيحات ألفا بعد الف تامات العدد الى أوليائهم .

وفي الابيات (الالتفات) من الغيبة الى الخطاب بقوله : (لعمرك ...) والعودة من الاستطراد بقصة الحصين بن ضمضم في البيت (٣٨) . وفيها (التقديم والتاخير) في قوله : (ماجرّت عليهم رماحهم) فالأصل : ماجرّت رماحهم عليهم ؛ وكذلك في قوله : (فكلا أراهم أصبحوا) فالأصل : فأرى كلا أصبحوا . وفي قوله : (قتيل المثلّم) (كناية) عن القتيل الذي قتل به . وفي قوله : (لعمرك ... رماحهم) (كناية) عن براءتهم من الدماء وشهامتهم . و (الحذف) في قوله : (يعقلونه صحيحات) فالأصل : يعقلونه ابلا صحيحات . و(الجمع) في قوله : (دم ابن ... المثلم ، دم نوفل ... المحزم) . و (الايغال) بقوله : (مصتّم) . وفيها (التقييد) بالعطف والنفي بقوله : (أو قتيل ، ولا شاركت ، ولا وهب ، ولا ابن ...) والنواسخ بقوله (أراهم .. أصبحوا) .

٤٧ - وَمَنْ يَغصِ أَطْرَافَ الزِّجَاجِ فَإِنَّهُ   يُطِيعُ العَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ[٥٣]

المعنى :

هذا البيت والتي تليه من الحكم والأمثال التي عنى بها الشاعر إسداء النصح والتذكير، ومعنى البيت ان الذي لا يرضى بالصلح ومثَّله بالزجاج اسفل الرماح التي تعرض عند عدم القتال ، فانه سيلقى الأَسنة الحادة في أعلى الرماح فيُجرح أو يموت .

وفيه (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن يعص ... الزجاج) والجزاء بقوله : (فانه ... الخ) . و (المطابقة) بقوله : (يعص – يطيع ، أطراف – عوالي ، الزجاج – كل لهذم اي الأسنة) . وفي قوله : (كل لهذم) (كناية) عن الاسنة الحادة . و (التسهيم) بقوله : (ومن ... الزجاج ، فانه ... الخ) واستعار قوله : (ومن ... الخ البيت) لمن لا يقبل الامر الصغير فيضطر الى قبول الامر الكبير ، إذ شبّه هيئة الذي لا يقبل الصلح وتورط في الحرب وأوزارها ، بهيئة من أعرض عن أزجة الرماح فوقع بأسنتها الحادة فهلك ؛ واستعار المشبه به للمشبه على طريق (الاستعارة التمثيلية) ووجه الشبه منتزع من متعدد . وفيه (التذييل) بقوله : (رُكِّبت كل لهذم) . وفيه (التقييد) بالشرط بقوله : (ومن يعص ... فانه) .

---

[٥٣] ورد في (ب) تسلسل (٥٦) وفي (جـ) تسلسل (٥٥) ، وفي (د) مطبع
الزجاج : جمع زج وهو أسفل الرمح ، العوالي : جمع عالية وهي أعلى الرمح ،
اللّهذم : الحاد كالسيف والناب والسنان في أعلى الرمح .

والبيت (مثل) من الأمثال السائرة وهو من (الكلام الجامع) لشموله على الحكمة والنصيحة ، وفيه (الالتفات) من الخطاب الى الغيبة .

٤٨- وَمَنْ يُوفِ لا يُذْمَمْ وَمَنْ يُفْضِ قَلْبُهُ إلَى مُطْمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَمِ[٥٤]

المعنى :

من يوف بعهده فله الثناء الجميل ، ومن يتوجّه قلبه الى بِرٍّ يطمئن الى خالصه وانه في موضعه فلا يتردد فيه .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن يوف) والجزاء بقوله : (لا يذمم) ، وكذلك في قوله في الشرط (ومن يفض ...البرّ) والجزاء بقوله : (لا يتجمجم) . و (المطابقة) بقوله : (يفض اي بتقدم ، ويتجمجم أي يتردد) . وفيه (التقييد) بالعطف والشرط بقوله : (ومن يوف ، ومن يفض) وبالنفي بقوله : (لا يذمم ، لا يتجمجم) والبيت من (الكلام الجامع) لشموله على الحكمة والنصيحة . وفي قوله : (ومن يوف لا يذمم) (مثل) .

٤٩- وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَه وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ[٥٥]

---

[٥٤] ورد في (ب) تسلسل (٥٧) وفي (جـ) تسلسل (٥٢) ومن يهد .

يوف : اي بعهده ، يفض : يصير ، يتجمجم : يتردد .

[٥٥] ورد في (أ) ومن يبغ اطراف الرماح ينلنه – ولو رام ان يرقى ، وورد في (ب) تسلسل (٥٥) المنية يلقها ، وورد في (جـ) تسلسل (٥٣) وان يرق اسباب .

هاب : المهابة هي الإجلال والمخافة ، أسباب السماء : نواحيها ، والسبب كل شئ يتوصل به الى غيره ، رام : طلب .

المعنى :

ومن خاف الإقدام على المواطن التي تكون سببا للموت ، فان الموت يلاقيه فياخذه ؛ ولو تحرى نواحي السماء فسلكها ليهرب منه فانه سيقع فيه ويناله .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن ... المنايا) والجزاء بقوله : (ينلنه) . و (الاكتفاء) بقوله : (ولو .... بسلم) ولا يتم المعنى الا بقوله : ينلنه ، وحذف من القافية لدلالة باقي لفظ البيت عليه . وفيه (المماثلة) بقوله : (ومن هاب أسباب ، ولو رام أسباب) . و (المطابقة) بقوله : (هاب ، رام) . و (الغلو) في قوله : (ولو .... بسلم) لأن ذلك من المستحيل وقوعه عقلا وعادة في زمن الشاعر . وفيه (التذييل) بالشرط بقوله : (ومن ...) . والبيت (مثل) من الامثال السائرة . وهو أيضا من (الكلام الجامع) لتضمنه الحكمة .

٥٠- وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَ عَنْهُ ويُذْمَمِ[٥٦]

المعنى :

من أعطاه الله المال والجاه ولم يبرّ بهما أهله وقومه ، ذمّوه واستغنوا عنه فكانت عليه وبالا .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن ... قومه) والجزاء بقوله : (يستغن ..الخ) . وقوله : (ومن ... ويذمم) من (الكلام الجامع) لشموله على الحكمة والوعظ . وهو (مثل) من الامثال السائرة . وفيه (التسهيم) في قوله : (ومن ... قومه) والدليل عليه قوله : (يستغن

---

[٥٦] ورد في (ب) تسلسل (٥٣) وفي (جـ) تسلسل (٥١) .

عنه ويذمم). و (الايغال) في قوله : (ويذمم) . وفيه (التقييد) بالعطف بقوله : (ومن ، فيبخل ، ويذمم) وبالشرط بقوله : (ومن ...) .

٥١- وَمَنْ لايَزَلْ يَسْتَرحِلُ النّاسَ نفْسَهُ ولا يُعْفِها يَوْمًا مِنَ الذَّمِّ يَنْدَمِ[٥٧]

المعنى :

ومن تعود أنْ يُحَمّلَ الناس أعباء الحياة وتكاليفها عنه ويُثقّل عليهم ، ولا يمنع نفسه ويدع هذا الخلق الذميم ؛ فانه سيندم من كثرة الذين يذمونه وينتقصونه . وإن مما ورد عن سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قوله : ((مَنْ يَتَكَفَّلُ لي ألاّ يسْأل النّاسَ شيئا وأتكفلُ لَهُ بالجنّة ؟ فقال ثوبان : أنا)) فكان لا يسأل أحدا شيئا ؛ فربما سقط سوط ثوبان وهو على بعيره فما يسأل أحدا ان يناوله حتى ينزل إليه فيأخذه.[٥٨] وهذا الأدب النبوي في هذا الحديث ما يوافق أهل الذوق واللطف والعزة والإباء من الناس ويوافق كذلك مضمون هذا البيت . وربما كان ذلك مما بقي لهم من شريعة نبي الله ابراهيم عليه السلام .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن ... نفسه) والجزاء بقوله : (يندم) . وفيه (التسهيم) بقوله (ومن ... يوما) والدليل عليه قوله : (من الذم يندم) . والبيت من (الكلام الجامع) لتضمنه

---

[٥٧] ورد في (ب) تسنشن (٠ ٦) يستحمل الناس – ولا يغنها يوما من الدهر يسأم ، ولم يرد في (جـ) وورد في (د) يوما من الذل .

يسترحل : استرحله اي سأله أن يرحل له ، لسان العرب : رحل ، يعفها : عفا يعفو اذا ترك حقا ، لسان: عفا .

[٥٨] التاج الجامع للاصول : ٢ / ٣٦ رواه أبو داوود بسند صالح .

الحكمة والنصيحة ، وفيه (التقييد) بالعطف بقوله : (ومن ، ولا يعفها) والشرط بقوله : (ومن) والنواسخ بقوله : (لا يزل) والنفي بقوله : (لا يزل ، ولا يعفها) .

٥٢- وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسِبْ عَدُوا صديقَهُ وَمَنْ لا يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لا يُكَرَّمِ[٥٩]

المعنى :

كان ولاء العرب في الصحراء للقبيلة ، والقبائل عبارة عن كتل بشرية تتحرك مجتمعة وراء الماء والكلأ ، وكذلك القتال للغزو او الدفاع عن النفس ، فمن يترك قومه الذين هذه صفاتهم ويذهب مع قوم اخرين ، لا يدري ما جرى بينهم وبين قومه في سالف العهود يختلط عليه الامر ، فربما حسبهم أصدقاء واستنصحهم وفي واقع الأمر هم من الأعداء . ثم انتقل الى حكمة أخرى وهي : ان الذي يريد أن يكرمه الناس ويحترموه عليه أنْ يتّحلّى بمكارم الأخلاق فيتصف بالمروءة والكرم والحلم والأناة والشجاعة والامانة والتواضع ....

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن يغترب) والجزاء بقوله : (يحسب عدوا صديقه) ، وكذلك بين الشرط بقوله : (ومن لا يكرّم نفسه) والجزاء بقوله : (لا يكرَّم) . و (التسهيم) بقوله : (ومن يغترب) دليل على قوله : (يحسب عدوا صديقه) ، وكذلك بقوله : (ومن لا يكرِّم نفسه) دليل على قوله : (لا يكرَّم) . وفيه (المطابقة) بقوله : (عدوا ، صديقه) و (الجناس المحرَّف) بقوله : (يُكرِّم ، يكرَّم) بين من يكرم

---

[٥٩] ورد في (ب) تسلسل (٥٨) وفي (ج) تسلسل (٥٧) ومن لم يكرم ... لم يكرم ، وفي (د) لم تكن .

الناس أو يكرموه . وفيه (التقييد) بالشرط والعطف بقوله : (ومن يغترب ، ومن ..) والنفي بقوله : (لا يكرَّم ، ولا يكرَّم) . و (الكلام الجامع) في كل من صدر البيت وعجزه لاحتواءها على الحكمة والنصح .

٥٣- وَمَنْ لا يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسلاحِهِ يُهَدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ[٦٠]

المعنى :

من لم يمنع حرماته ويكف شر الأَشرار عنها ويردعهم بسلاحه ، فان عرضه يُنتهك وماله يُسلب ، ومَنْ لان للناس وكف بأسه عنهم ظلموه واستضاموه وركبوه ، ولا يقصد في قوله : (لا يظلِم) التجاوز على الغير بل الضعف الممقوت باللين والمسامحه المطلقة كما بّينا .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن لا .... بسلاحه) والجزاء بقوله : (يُهدم) ، وكذلك بين الشرط بقوله : (ومن لا يظلم الناس) والجزاء بقوله : (يظلم) . و (الكلام الجامع) في كلٍ من صدر البيت وعجزه لاحتوائهما على الحكمة والنصح . و (التسهيم) في قوله : (ومن لا يذد ... بسلاحه) والدليل عليه قوله : (يهدّم) ، وكذلك في قوله : (ومن لا يظلم الناس) والدليل عليه قوله : (يُظلم) . و(الايغال) بقوله : (بسلاحه) زيادة في التأكيد لأَن المعنى يتم بدونها . وفي قوله : (ومن لا يذد ... يهدّم) (مثل) شبه هيئة الرجل الذي لا يدفع الاشرار ويردعهم عن ماله وعياله بسلاحه فيُنتهكوا ، بالرجل الذي لا يدفع الإبل عن

---

[٦٠] ورد في (ب) تسلسل (٥٤) ورد في (جـ) تسلسل (٥٦) .
الذود : الكف والردع .

الحوض الذي جمع فيه الماء فتدهمه وتهدمه ، واستعار المشبه به للمشبه (استعارة تمثيلية تصريحية) منتزعة من متعدد ، وفي قوله : (ومن لا يظلم الناس يظلم) (مثل) وفيه (الكناية) عن الخنوع والاستسلام كما تقول النصارى من لطم خدك الأيسر فأدر له الأيمن وقدر تكرر هذا المعنى في البيت (٤٣) . وفيه (التقييد) بالعطف والشرط النفي بقوله (ومن لا يذد ، ومن لا يظلم) .

٥٤- وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأْ بِمَنْسَمِ[٦١]

المعنى :

هذا البيت تعقيب على قوله : (ومن لا يظلِم الناس يُظلَم) في البيت قبله ، إذ دعا الى التوسط بين الشّدة واللين ، اي فلا تكن صلبا فتكسر ولا ليّنا فتعصر ، فلا بد من مدارات الناس والترفق في معاملتهم والانسجام معهم في عموم متطلبات الحياة ، وإلاّ فانهم يقهروه ويغلبوه ويذلّوه وربما قتلوه .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن ... كثيرة) والجزاء بقوله : (يُضرَّس .... بمنسم) . وفيه (التسهيم) في قوله : (ومن .... كثيرة) والدليل عليه قوله : (يضرّس ...بمنسم) . والبيت من (الكلام الجامع) لاحتوائه على الحكمة والنصيحة . وفيه (التذييل) بقوله : (ويوطأ بمنسم) جملة مؤكّدة لسابقتها وتشتمل على معناها . وفي قوله :

---

[٦١] ورد في (ب) تسلسل (٥١) لا يصانع ، (وورد في (جـ) تسلسل (٤٩)
يصانع : يترفق ويداري ، يضرس : يمضغ بضرس ، بمنسم : المنسمان الظفران في صدر خف البعير .

(يضرس ... بمنسم) (مثل) شبّه فيه هيئة الذي لم يخالق الناس في معاملته معهم بخُلق حسن فإنهم يذلوه ويقهروه وربما قتلوه – فلا بد لكل قوي من هو اقوى منه – شبه قهرهم له بهيئة الذي يُمضغ بين الأنياب ثم يوطأ بمنسم خف البعير فيهلك ، واستعار المشبه به للمشبه (استعارة تمثيلية تصريحية) منتزعة من متعدد . وفي البيت (التقييد) بالشرط بقوله : (ومن ...) والعطف : (ومن ، ويوطا) والنفي بقوله : (لم يصانع) .

٥٥– وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْروفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ[٦٢]

المعنى :

من يبذل الإحسان والمعروف للناس وقاية لعرضه ، فانه يحتشم ويصان ويثنى عليه . ومن لا يتجنب ما يخدش مروءته كالبخل والدناءة والخسة والفحش فانه بذلك يتسبب بشتمة وذمه وانتقاص الناس منه .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن يجعل ... عرضه) والجزاء بقوله : (يفره) ، وكذلك بين الشرط بقوله : (ومن لا يتق الشتم) والجزاء بقوله : (يُشتم) . وفيه (الكلام الجامع) في كلٍ من الشطر والعجز . وفيه (التسهيم) بقوله : (ومن يجعل ...عرضه) والدليل عليه قوله : (يفره) ، وكذلك بقوله : (ومن لا يتق الشتم) والدليل عليه قوله : (يشتم) . وفيه (التقييد) بالشرط والعطف بقوله : (ومن يجعل ، ومن لا) وبالنفي بقوله : (لا يتق) .

---

[٦٢] ورد في (ب) تسلسل (٥٢) ، وفي (جـ) تسلسل (٥٠) .

يفره : يتمه ولا ينقصه بشتم ، لسان : وفر ، عرضه : نفسه او حسده او هو موضع المدح والذم من الرجل .

٥٦- سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ عاما لا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ[٦٣]

المعنى :

مللت ما تجيء به الحياة من المشاق والشدائد ، ومن عاش ثمانين عاما ملَّ الكِبَر وعواقبه من الضعف والأَمراض والعجز وإعراض النساء وضعف خدماتهن .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن يعش ... عاما) والجزاء بقوله : (يسأم) . وفيه (التسهيم) بقوله : (ومن يعش ..عاما) ونتيجة ذلك قوله : (يسأم) . وفيه (رد العجز على الصدر) بقوله : (سئمت) والتقفية بقوله : (يسأم) . و (الاعتراض) بقوله : (لا أبالك) . وفيه (الالتفات) من الغيبة الى التكلم بقوله : (سئمت) وفيه (التقييد) بالشرط بقوله : (ومن ...) والنفي بقوله : (لا أبالك) .

٥٧- رَأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عَشْوَاء مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِيء يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ[٦٤]

المعنى :

شبه المنايا وهي تصيب الناس بالناقة العشواء التي تسير ليلا وهي لا تبصر . فالذي أصابته أهلكته ، ومن أخطأته سلم ، وهكذا المنايا لا تأتي

---

[٦٣] ورد في (ب) تسلسل (٤٨) وفي (جـ) تسلسل (٤٦) وورد في (ب ، جـ ، د) ثمانين حولا

سئمت : مللت ، التكاليف : المشاق والشدائد ، لا ابالك : كلمة جافية يراد بها هنا التنبيه والإعلام .

[٦٤] ورد في (ب) تسلسل (٤٩) وورد في (جـ) تسلسل (٤٨) ،

خبط -- الضرب باليد ، عشواء : تانيث الاعشى ، والعشواء : الناقة التي لا تبصر ليلا ، يعمر : التعمير طول العمر

الى الهرم أو الى الذي أنهكه المرض والعجز فحسب ، وإنما قد تأتي الى الفتى قبل الشيخ العاجز ، أو الى القوي المعافى قبل المريض المتردي .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (من تصب) والجزاء بقوله : (تمته) وكذلك بين الشرط بقوله : (ومن تخطئ) والجزاء بقوله : (يعمّر) . وفيه (التسهيم) بقوله : (ومن تصب) والدليل عليه قوله : (تمته) وكذلك بقوله : (ومن تخطئ) والدليل عليه قوله : (يعمر) . وفيه (حسن التعليل) بقوله : (رأيت ... عشواء) وعلل ذلك بقوله : (من تصب ... يعمر) . و (الايغال) في قوله : (فيهرم) . وفي قوله : (رأيت المنايا خبط عشواء) (مثل) شبه فيه هيئة المنايا التي قد تصيب الفتى السليم فتهلكه ، وتخطئ الشيخ العليل فيطول عمره ويهرم ، بهيئة الناقة التي تسير ليلا ولا تبصر ما أمامها وهي الناقة العشواء ، فمن أصابته أهلكته ومن أخطأته بقي سالما ، واستعار المشبه به للمشبه (استعارة تمثيلية تصريحية) منتزعة من متعدد ، وفيه (التقييد) بالشرط بقوله : (ومن تصب ، ومن تخطئ) والعطف بقوله : (ومن تخطئ ، فيهرم) . وفيه (الكلام الجامع) لتضمنه النصيحة في استحضار الموت على الدوام وملازمة فعل المعروف .

٥٨- وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مَنْ خَلِيقَةٍ وَلَوْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ[٦٥]

---

[٦٥] ورد في (ب) تسلسل (٥٩) وفي (جـ) تسلسل (٥٨) وورد في (جـ ، د) وإن خالها ...

الخليقة : الطبيعة او الخُلقُ ، خالها : ظنها .

المعنى :

ان الانسان اذا تخلَّق بالأخلاق الذميمة وتطبَّع بها وخشي أنْ يطَّلع عليها الناس فأَخفاها وظن انهم لا يعلمونها ، هَيأ الله لها الأسباب فأظهرها وعلمها للناس .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومهما ... الناس) والجزاء بقوله (تعلم) وفي البيت (المساواة) [٦٦] لعدم امكان الاستغناء عن اية مفردة فيه لاستيفاء المعنى . وفيه : (المطابقة) في قوله : (تخفى ، تعلم) . وفيه (الكلام الجامع) لدعوته الى نبذ الرياء وملازمة الإخلاص ، لان عمل السوء مهما أخفاه عامله ظهر الى الناس وعلموه . و (التسهيم) بقوله : (ومهما ... الناس) ونتيجة ذلك قوله : (تعلم) . وفيه (التقييد) بالشرط والعطف بقوله : (ومهما ... ، ولو ...) والنواسخ بقوله : (تكن ، خالها) ، وفيه (الالتفات) من التكلم الى الغيبة في قوله : (ومهما تكن ...) .

٥٩- وأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ   ولكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِي[٦٧]

المعنى :

يدعي علم يومه وما مضى من الأَيام ، ويُظهر عجزه عن معرفة ما سيقع في الأيام القادمة ، وفي ذلك معاكسة لما نهج عليه الكهّان من ادعاء علم ما سيكون في مستقبل الايام بالاستعانة بالجن ، وأحسن ختام قصيدته

---

[٦٦] خزانة الادب الحموي : ٢ / ٩٢٦ .

[٦٧] ورد في (ب) تسلسل (٥٠) واعلم علم اليوم .. وفي (جـ) تسلسل (٤٧) .

بهذا البيت وذلك بان حكمه ونصائحه ومعارفه التي أسداها الى مجتمعه هي حقائق بعيدة عن الكهانة والكهّان .

وفيه (التقسيم) بقوله : (في اليوم والامس ... ما في غد) وفيه (الحشو) بقوله (قبله) لامكان الاستغناء عنه بقوله والامس . وفي البيت (الالتفات) من الغيبة الى التكلم بقوله : (واعلم ...) . و (المطابقة) بقوله : (أمس ، غد) . و (التنكيت) في قوله : (ولكنني .. عمي) وهذا معلوم بالضرورة لكنه ذكره استنكافا من الكهان أو تبرئة لنفسه من خرافاتهم وادعاءاتهم . وفيه (التقييد) بالعطف بقوله : (وأعلم ، والامس ، ولكنني) وفيه (الانسجام) قال ابن حجة الحموي في خزانته : ((المراد من الإنسجام أنْ يأتي – لخلوه من العقادة – كانسجام الماء في انحداره ، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أنْ يسيل رقة ، ولعمري إن طيور القلب ما برحت على أفنان هذا النوع واقعة ، وبمحاسنه الغضة بين الاوراق ساجعة ، وأهل الطريق الغرامية ، هم بدور مطالعه وسكان مرابعه ، فانهم ما أثقلوا كاهل سهولته بنوع من أنواع البديع ، اللهم إلاّ أنْ يأتي عفوا من غير قصد ، وعلى هذا اجمع علماء البديع في حدّ هذا النوع ... ومنه ما جاء في لطف الإنسجام قول زهير بن أبي سلمى في معلقته :

٤٩- ومن هاب اسباب المنايا ينلنه	ولو رام أسباب السماء بسلم
٥٠- ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله	على قومه يستغن عنه ويذمم
٥٢- ومن يغترب يحسب عدوا صديقه	ومن لا يكرم نفسه لا يكرم
٥٣- ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه	يهدم ومن لايظلم الناس يظلم
٥٤- ومن لا يصانع في أمور كثيرة	يضرس بانياب ويوطأ بمنسم

٥٥- ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

٥٦- سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم

وأحسن ختامها في الانسجام بقوله :

٥٩- واعلم ما في اليوم والامس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي

انتهى كلام ابن حجة رحمه الله[٦٨] .

وأرى أن (حسن الختام) لا يكون في البيت الأخير فحسب ، بل يبدأ بالبيت (٤٧) وإلى ختام القصيدة ، وذلك لانه استفتح القصيدة بذكر أم أوفى والدمن والديار والآرام والأطلاء والاثافي والمعرس التي تعرف بها على ديار الحبيبة وبدأ بالسلام عليها بعد معرفتها وكأن أهلها فبها الى البيت السادس ، وتخلص في البيت السابع من الوقوف على الأطلال الى وصف الرحلة ومشاقها ووصف موكب الحبيبة ومظاهر الأبهة والترف والجلال والجمال عليها ، واناقة الحبيبة ووسامتها التي تسر الناظرين ؛ الى البيت الخامس عشر . ثم تخلص بطريقة الاقتضاب من وصف الرحلة الى الدخول بالغرض من القصيدة وهو الصلح بين قبيلتي عبس وذبيان اثر حرب داحس والغبراء ، التي تحمَّل فيها ديات القتلى للطرفين الكريمان الجليلان الحارث بن عوف وهرم بن سنان وقيل خارجة بن سنان وهما من حي غيظ بن مرة من غطفان ، فوصف دماء القبيلتين ومدح السيدين اللذين قاما بالصلح ، وأورد الامثال والنصائح لحثهم على التمسك بالصلح ؛ ووصف الجمال والنوق التي تساق للطرفين بالمئات وفاء من أهل الصلاح الذين لم يهريقوا دم احد .

---

[٦٨] ينظر : خزانة الادب للحموي : ٤٠٠-٤٠٢ .

وأرسل الى الأحلاف المتصارعة يوصيهم بعدم الغدر ونقض الصلح وخوَّفهم عقاب الله في الدنيا والاخرة يوم الحساب للغادرين ، وصور لهم الحرب وأوزارها ، وما تأتي به من المصائب التي يبقى أثرها مدة طويلة ، وذكرلهم واقعة الحصين بن ضمضم مثالا للغدر وسرعة مبادرة الأخيار لاصلاح ما فسد ، وذكر توالي الاف الابل عقائل للصلح وانتهى ذلك بالبيت السادس والاربعين ، وبدأ بالبيت السابع والاربعين الى نهاية القصيدة بالحكم والنصائح التي تدل على انه استقاها مما بقي مع الاحناف في الجاهلية من دين نبي الله ابراهيم (عليه السلام) لاسيما وإنه خوّف الغادرين في الابيات السابقة من العقاب في الاخرة بيوم الحساب ، وهذه المناسبة كانت فرصة مواتية للشاعر لأن يوصل حكمه ونصائحه الى هؤلاء الاجلاف الذين شيمتهم الغزو والقتل والثأر لعلهم يرعوون ويستقيمون .

وما أحسنه من ختام حكيم لقومه وأجاد في اختتام حسن ختامه في البيت الاخير إذ أعلمهم انه ليس من الكهنة ولا من العرّافين الذين يدعون معرفة الغيب وما سيقع في قابل الايام وفي هذا اخلاص النية من الشاعر في تقديم نصائحه الى متلقيها ، وتجرده من أنانيته ليجعلها اكثر قبولا واسترسالا في قلوبهم .

ولحسن الختام أهمية بالغة عند علماء الادب إذ إنه آخر ما يقرع الأسماع ويبقى في الاذهان قال ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ) : ((وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة واخر ما يبقى منها في الاسماع وسبيله ان يكون محكما ، لا تمكن الزيادة عليه ولا يأتي بعده أحسن منه ، وإذا كان أول

الشعر مفتاحا له وجب ان يكون الاخر قفلا عليه)) [٦٩] وأما حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) فيقول : ((فأما ما يجب في المقاطع على ذلك الاعتبار وهي أواخر القصائد ، فان يتحرى ان يكون ما وقع فيها من الكلام كاحسن ما اندرج في حشو القصيدة [٧٠] .... وينبغي ان يكون اللفظ فيه مستعذبا والتأليف جزلا متناسبا فان النفس عند منقطع الكلام تكون متفرغة لتفقد ما وقع فيه غير مشتغلة باستئناف شئ آخر))[٧١] ووصفه الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) بقوله : ((إنه اخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس ، فان كان مختارا كما وصفنا جبر ما عساه وقع فيما قبله من التقصير ، وان كان بخلاف ذلك ربما انسى محاسن ما قبل)) [٧٢] وقال ابن حجة (ت ٨٣٧ هـ) : ((لا بد ان يحسن فيه غاية الاحسان ، فانه اخر ما يبقى في الأسماع ، وربما حفظ من دون سائر الكلام)) [٧٣] .

بنية القصيدة بشكل عام

- أرى أن زهيرا وضع خطته قبل بناء القصيدة في ثلاثة أُطرٍ هي :

١- كتل المعاني التي تتألف من :

أ- المقدمة الطللية .

ب- الرحلة وأوصافها وما جرى فيها .

---

[٦٩] العمدة : ١ / ٢٣٩ .

[٧٠] منهاج البلغاء : ٢٨٥ .

[٧١] منهاج البلغاء : ٣٠٦ .

[٧٢] ينظر الايضاح : ١٢١-١٢٤ .

[٧٣] خزانة الأدب : ٢ / ٤٩٣ .

جـ- الغرض من القصيدة .

د- حسن الختام وما حواه من حكم وعِبر ونصائح .

٢- اختيار الألفاظ الجزلة السهلة الفخمة الواضحة وتعمُّد بعض أوجه البلاغة .

٣- استخدام أدوات الربط بين كتل المعاني والألفاظ ؛ كحسن التخلص والاستطراد والالتفات ، فضلا عن الروابط بالألفاظ بين أبيات القصيدة لتكون كتلة واحدة .

ولغرض بيان تطبيق هذه الخطة وانسجام مضمونها مع الألفاظ المناسبة لها في بناء هذه القصيدة نبين ذلك بما يأتي :

أ- المقدمة الطللية : وتبدأ بمطلع القصيدة بقوله : (أمن أم أوفى .. ثم ذكر ديارها الدراج فالمتثلم) .

- وربط البيت (٢) بالأول بقوله : (ودارٌ لها بالرقمتين هما الدراج فالمتثلم في البيت الأول .

- وربط البيتين (٣،٤) بالثاني بقوله : (بها العين ... ، وقفت بها ...) الضمير في بها يعود الى قوله : (ودار لها ...)

- وربط البيتين (٥،٦) بالثاني بوصفه الدار بقوله : (أثافي ...) والإشارة اليها بقوله : (فلما عرفت الدار ...) ثم التحية الى الدار بعد اطمئنان النفس بين أطلاله ، وتمني السلامة له بقوله : واسلم . وبذلك تتجلى روابط الألفاظ بالألفاظ والمعاني بالمعاني في سبك متلاحك متماسك بلطف ويسر وتلك لوحة الإفتتاح .

ب- ثم انتقل في البيت (٧) الى الرحلة فتخلص به من لوحة الافتتاح ودخل في مضمون الرحلة بقوله : (تبصَّر خليلي) بكل سلاسة ولطف ويجزء من شطر البيت وهو قمة مايصبو إليه البلاغيون في التخلص ، والتفت فيه من التكلم الى الخطاب وتلك روابط هذا الإنتقال .

- ربط الأبيات من (٨-١٥) بالبيت السابع مفصّلا فيها وصف الرحلة ، إذ إنه خاطب من معه في البيت(٧) بإجالة النظر في أطراف موقع الماء أو أعلى منه الى الظعائن ؛ لعل الحبيبة تكون فيها . وفي البيت(٨) جعل افتراضه للظعائن واقع حال وأخذ يصف مسيرها بعد أن التفت من الخطاب الى الغيبة بقوله : (جعلن ...) واستمر بوصف الظعن والرحلة في باقي الأبيات بقوله : (وعالين أنماطا ... ، ظهرن من السوبان ... ، ووركن في السوبان ... ، كأن فتات ... ، وقفن ... ، بكرن بكورا ... ، فلما وردن ... ، وفيهن ملهى ... .) والضمير في قوله : (جعلن ، عالين ، ظهرن ، وركن ، وقفن ، بكرن ، وردن ، فيهن) عائد الى (الظعائن) في البيت (٧) وتلك من مظاهر ربط الألفاظ والمعاني في الأبيات فضلا عمّا ذكرنا .

جـ- ثم انتقل في البيت (١٦) الى الغرض الرئيس المحور الموضوعي للقصيدة بقولة : (سعى ساعيا ...) وتخلص بطريقة (الإقتضاب) عند الإنتقال من وصف الرحلة من غير تمهيد ، بل بهزّة للأذهان لكي يجلب الإنتباه الى ما سيقوله ، وفيه ذكر حدث الصلح بين المتقاتلين .

- ربط الأبيات من (١٧-٢٥) مع البيت (١٦) بمخاطبة السيدين الجليلين اللذين قاما بالصلح بقوله : (فأقسمت ... ، يمينا لنعم السيدان ... ،

تداركتما ... ، وقد قلتما ... ، فأصبحتما ... ، عظيمين ... ، وأصبح يحدى فيكم ... ، تعفى الكلوم ... ، ينجمها ... .) أنظر إلى الروابط في مخاطبة السيدين ووصف إجراءات الصلح .

- استطرد في البيت (٢٦) بمخاطبة الأحلاف المتنازعة بقوله : (ألا أبلغ الأحلام عني رسالة ...) والتفت من الغيبة الى الخطاب.
- ربط الأبيات من (٢٧-٣٣) بالبيت (٢٦) متمما مضمون الرسالة بقوله : (فلا تكتمن الله ... ، يؤخر فيوضع ... ، وما الحرب ... ، متى تبعثوها ... ، فتعرككم ... ، فتنتج لكم ... ، فتغلل لكم ...) وروابط الألفاظ والمعاني ببعضها واضح في الأبيات .
- عاد من الاستطراد في البيت (٣٤) الى مضمون مسيرة السيدين الجليلين وإكمال ما ذكره في البيت (١٦) بأن سعيهما للصلح وبذل الأموال للديات كان (لحيٍّ حلال ...)
- ربط الابيات من (٣٥-٣٧) بالبيت (٣٤) ووصف حال المتخاصمين بقوله : (كرام ... ، رعوا ، ظمأهم ... ، فقضّوا منايا ...) .
- استطرد في البيت (٣٨) بغدر الحصين بن ضمضم للثأر لأخيه بقوله : (لعمري لنعم الحيّ جرَّ عليهم ...) والضمير في (عليهم) يعود الى (الحيَّين في البيت ٣٤) وتلك من الروابط اللفظية .
- ربط الأبيات من (٣٩-٤٣) بالبيت (٣٨) وذكر ماله علاقة بهذا الغدر بقوله : (وكان طوى كشحا ...، وقال سأقضي ... ، فشدّ ولم ينظر ... ، لدى أسدٍ ... ، جريء متى يُظلم ...) .

- عاد من الاستطراد في البيت (٤٤) الى باقي مسيرة الصلح والسيدين ؛ والتفت من الغيبة الى الخطب بقولة : (ولا شاركت ... ، فكلا أراهم أصبحوا يعقلونه صحيحات ألف ...) وبذلك أكمل ما أراد من مضمون غرض القصيدة الرئيس .

د- أحسن ختام قصيدته في الأبيات من (٤٧-٥٩) بذكر الحِكَم والنَّصائح والأمثال ليكون وازعاً لأطراف النزاع وغيرهم ، ودافعاً للتمسك بالاتفاق ، وأن تكون أموال السيدين ذات جدوى في إقامة الصلح والسلم والعيش بأمان .

أما أوجه البلاغة التي تعمّدها الشاعر من خلال النظم حسبما أرى فهي ربّما : (حسن المطلع ، التصريع ، حسن التخلص ، الاستطراد ، الإلتفات ، حسن الختام ، التشبيهات ، المجاز ، الإستعارات ، الكنايات ، التقديم والتأخير ، الإعتراض ، الإقتضاب ، الإقتباس ، التجريد) خمسة عشر نوعاً من مجموع الأنواع التي استخرجناها من القصيدة عند تحليلها وهي خمسة وستون نوعاً بما مجموعه سبعة عشر وثلاثمائة وجه في تسعة وخمسين بيتاً . وهو بذلك يكون أكبر صنعة من ولده كعب وهما أكبر صنعة من أبي تمام . مع ما نلمسه عنده من غلبة الطبع والسهولة وحسن المأخذ في عموم معلقته ، وبُعْده عن الكلفة في التصنيع ؛ ومجافاته حزونة اللفظ والتّوعر أو الإغراب كما يفعله أبو تمام .

وأرى أن الفرق بين ما هو للشاعر وبين ما بقي من أوجه البلاغة يكون لعظمة اللغة العربية وسعتها ، وفعاليتها وتنوع تراكيبها ، وقدرتها

التعبيرية ، وعمق أبعاد دلالاتها . إذ إن لها القدرة على مطاوعة النخب والفحول والجهابذة ومجاراتهم على مقدار طاقاتهم ، وبُعْدِ أعماق دلالاتهم ، وفيها المزيد على أعلى طاقاتهم ، وبذلك أرى أن ننسب دقائق بلاغة النص الى البليغ من جهة وإلى عظمة هذه اللغة من جهة أخرى ؛ وليس ذلك متاحاً في كل لغة ، وهذا ما استخلصته من هذه البحوث ، وهذا ما أراده الله لها ، لأنها لغة إعجاز كتابه العزيز القرآن الكريم .

من المعايير المنهجية المتوقع تداولها في العصر الجاهلي :

بعد تحليل القصيدة ودراسة الصنعة عند زهير ، أرى أن نقدم نتفا من المواقف النقدية في العصر الجاهلي وبعض الدلائل على المعايير المتوقعة لعلوم اللغة والأدب فيه كما يأتي :

- أورد الرواة بعض مواقف النقد الأدبي الجاهلي عند روايتهم للخطب والأشعار ، منها حكومة أم جندب بين شعر زوجها أمرئ القيس وشعر علقمة الفحل . وقصة النابغة الذبياني مع حسان بن ثابت والخنساء . وما ذكره أبو هلال العسكري أن أكثم بن صيفي كان إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتّابه : ((إفصِلوا بين كلّ معنى منقضٍ ، وصلوا إذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض)) ... وإن الحارث الغساني كان يقول لكاتبه المرقّش : ((إذا نزع بك الكلام الى الإبتداء بمعنىً غير ما أنت فيه ؛ ففصّل بينه وبين تبعيته من الألفاظ فإنك إنْ مذقْتَ ألفاظك بغير ما يحسن أن تَمذقَ به ، نفرت القلوب عن وعيها ، وملّتها الأسماع ، واستثقلتها الرواة))[٧٤] .

---

[٧٤] ينظر الصناعتين : ٤٦٠ . المذق : الخلط .

- ومنها تحاكم علقمة بن عبدة التميمي والزبرقان بن بدر والمخبل السعدي وعمرو بن الأهتم ، الى ربيعة بن حذار الأسدي ، الذي أصدر حكمه على شعر الزبرقان بأنه كلحم أسخن لا هو أنضج فأكل ولا ترك نيّا فينتفع به ، وأما شعر علقمة فكمزادة قد أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء ، وشعر المخبل قصّر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم ، وشعر علقمة كبرود حبّر يتلألأ فيها البصر . وفي هذه الأحكام تظهر الموازنة واضحة)) [٧٥] .

وكان الأصمعي يقول : ((زهير والنابغة من عبيد الشعر ، ومن أصحابهما في التنقيح وفي التثقيف والتحكيك طفيل الغنوي وكان يسمى محبّرا لحسن شعره ، ومنهم الحطيئة والنمرنولب ، هكذا ذكر ابن رشيق)) [٧٦] .

وما جرى للنابغة الذي أخذ عليه أهل يثرب إقواءه في الشعر ، وأسمعوه إياه على لسان مغنية تنبهه له ..)) [٧٧] وما يعزى الى طرفة بن العبد أنه عاب على المتلمس نعته البعير بنعوت النياق . وما أخذه الناس على المهلهل بن ربيعة من أنه كان يبالغ في القول ويتكثر ... [٧٨]

وكانت قواعد الشعر تدرّس وتعلّم أصوله ، من ذلك أن زهير بن ابي سلمى درس على بشامة بن الغدير وأوس بن حجر وروى له ، ثم صار أستاذ ولديه كعب وبجير وكذلك لراويته الحطيئة . وهنالك الكثير من هذا ، ومن

---

(٧٥) ينظر الموشح :٥٧ .

(٧٦) العمدة : ١/١٢٠ .

(٧٧) ينظر الموشح : ٣٨ .

(٧٨) ينظر الموشح : ٧٤ .

أدلة هذهِ الدروس الإلتزام بالبحور والقوافي وكثير من أوجه البلاغة ، وكذلك نظامِ القصيدة التي تتجزأ الى المقدمة الطللية ثم الرحلة ومعاناتها ومخاطرها والصيد أثنائها ثم الدخول في الغرض الرئيس منها ثم حسن ختامها ، مع مراعاة حسن التخلص بين تلك الأجزاء ، والوحدة الموضوعية للقصيدة التي تؤدي الى الفلاح والنجاح بالغاية منها من غير تشتيت لأفكار المتلقي . فضلا عن إختيار المعاني والألفاظ التي تتناسب والغرض من القصيدة بين الفخامة والجزالة أو الرقة والسهولة ، والعناية بالأسلوب الذي يزيدها ماء ورونقا وجاذبية .

- ومن الأدلة على رواج قواعد الثقافة الأدبية ما يجري في سوق عكاظ من المساجلات والمناظرات بين الأدباء والشعراء في العصر الجاهلي ، وفي المربد وكناسة الكوفة في العصر الاسلامي.ولا يتأتى ذلك إلاّ على وفق قواعد وضوابط معلومة تكون معيارا ودليلا للتفاضل فيما يعرض فيها .

- وفي ذلك يقول ابن سلاّم : ((وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلمِ والصناعات ، منها ما تَثْقَفُه العين ، ومنها ما تَثْقَفُه الأذُن ، ومنها ما تَثْقَفُه اليد ، ومنها ما يَثْقَفُه اللسان ..)) [٧٩] ويؤكد هذا المعنى قول أبي عمرو بن العلاء : ((العلماء بالشعر أعزُّ من الكبريت الأحمر)) [٨٠] .

- وتذهب بنا الدكتورة هند الى أعماق العصر الجاهلي فتقول : ((ولسنا ننكر أن توفر النصوص في العصر الإسلامي هو الذي أدى بأكثر

---

[٧٩] طبقات فحول الشعراء : ٥/١ .

[٨٠] إعجاز القرآن للباقلاني : ٣١٠

نقادنا المحدثين الى نفي العلمية والمنهجية عن عرب الجاهلية ... وإننا نفترض وجود العلمية والمنهجية في العصر الجاهلي ، ونفترض ضياع نصوصها ؛ ويسندنا في هذا الإفتراض قول أبي عمرو بن العلاء : ((وما انتهى اليكم مما قالت العرب إلاّ أقلّه ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير))[٨١].

وذكر الباقلاني ان العرب قد اختلفوا في الشعر كيف اتفق لهم ، فقد قيل إنه اتفاق في الأصل غير مقصود اليه على ما يعرض من أصناف النظام في تضاعيف الكلام ، ثم لما استحسنوه واستطابوه ورأوا أنه تألفه الأسماع وتقبله النفوس ، تتبعوه من بعد وتعلموه ، ونقل عن ثعلب:ان العرب تُعلّم أولادها قول الشعر بوضع غير معقول يوضع على بعض أوزان الشعر كأنه على وزن : (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) ويسمّون ذلك الوضع الميتر ،واشتقاقه من المتر ،وهو الجذب أو القطع ..))[٨٢] .

قال ابن فارس : ((وقد زعم ناس أن علوما كانت في القرون الأوائل والزمن المتقادم ، وأنها درسَت وجُدّدت منذ زمان قريب ، وترجمت وأصلحت منقولة من لغة الى لغة ، وليس ما قالوا ببعيد ، وإن كانت تلك العلوم – بحمد لله وحسن توفيقه – مرفوضة عندنا .))[٨٣] . وإن تعقيب ابن فارس هذا على هذه المعلومة يؤكد لنا نفرة الرواة وعلماء صدر الإسلام من علوم

---

[٨١] ينظر النظرية النقدية عند العرب : ٣٣ وطبقات فحول الشعراء : ١/٢٥ .

[٨٢] إعجاز القرآن للباقلاني : ٥٤-٥٥ .

[٨٣] الصاحبي : ٢٢ .

العصر الجاهلي حرصا منهم على الالتزام بعلوم الدين وعقائده وانصرامهم مما علق في الجاهلية من الوثنية وما أحيط بها من علوم.

- وقال ابن فارس : ((وحكى أن أبا حيّة النميري سئل أن يُنشِد قصيدة على الكاف فقال :

كفى بالنأي عن أسماء كافِ　　　وليس لسقمها إذ طال شافِ

وما العرب في قديم الزمان إلا كنحن اليوم فما كلٌّ يعرف الكتابة والخطّ والقراءة ، وأبوحية كان أمس ، وقد كان قبله بالزمن الأطول من يعرف الكتابة ويخط ويقرأ .

- وقال : وكان من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كاتبون ، منهم أمير المؤمنين عليٌّ صلوات الله تعالى عليه وعثمان وزيد وغيرهم ، وروي عن هانيء قوله : كنت عند عثمان رضي الله تعالى عنه ، وهم يعرضون المصاحف ، فأرسلني بكتف شاة الى أُبيّ بن كعب فيها ((لم يتسنّ)) و ((فأمهل الكافرين)) و ((لا تبديل للخلق)) ، قال : فدعا بالدواة فمحا إحدى اللامين وكتب ((لخلق الله)) ، ومحا ((فأمهل)) وكتب ((فمهّل)) وكتب ((لم يتسنّه)) ألحق فيها الهاء . أفيكون جهل أبي حيّة حجّةً على هؤلاء الأئمة ؟))[84]

- وأضاف : والذي نقوله في الحروف هو قولنا في الإعراب والعروض . والدليل على صحة هذا وأن القوم قد تداولوا الإعراب ؛ إنا نستقري قصيدة الحطيئة التي أولها :

شاقتك أظعان لليلى　　　دون ناظرةٍ بواكرْ

---

[84] ينظر الصاحبي : ٢٠-٢١ .

فنجد قوافيها كلَّها على الترنم والإعراب تجيء مرفوعة ، ولولا علم الحطيئة بذلك لأشبه أن يختلف إعرابها ، لأن تساويها في حركة واحدة إتفاقا من غير قصد لا يكاد يكون .

أما العروض فمن الدليل على أنه كان متعارفا معلوما ، اتفاق أهل العلم على أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا إنه شعر ، فقال الوليد بن المغيرة منكِرا عليهم : ((لقد عرضت ما يقرؤه محمد على أقراء الشعر ، هزجه ورجزه وكذا وكذا ، فلم أره يشبه شيئا من ذلك)) .

أفيقول الوليد هذا وهو لا يعرف بحور الشعر ؟ .

ويضيف : ومن الدليل على عرفان القدماء – من الصحابة وغيرهم – بالعربية ، كتابتهم المصحف على الذي يعلله النحويّون في ذوات الواو والياء والهمز والمدّ والقصر ، فكتبوا ذوات الياء بالياء ، وذوات الواو بالألف ولم يصوروا الهمزة إذا كان قبلها ساكنا في مثل : (الخبء ، والدفء ، والملء) فصار ذلك كله حجة ، وحتى كره من العلماء ترك اتباع المصحف من كره)) [٨٥] .

وقال : ((أجمع علماؤنا بكلام العرب ، والرواة لأشعارهم ، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالِّهم ، أن قريشا أفصح العرب ألْسنة وأصفاهم لغة)) [٨٦]

---

[٨٥] ينظر الصاحبي : ٢١–٢٣ ، وقوله أقراء الشعر : طرق الشعر وأنواعه وبحوره ، واحدها قَرء بالفتح .

[٨٦] ينظر الصاحبي : ٤١ .

وروى حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((أنا أفصح العرب بَيْدَ أني من قريش وإني نشأت في بني سعد بن بكر)) [٨٧]

وقال : ((والشعر ديوان العرب وبه حُفظت الانساب وعُرفت المآثر ، ومنه تُعُلِّمت اللغة . وهو حجة فيما أُشكل من غريب كتاب الله جلّ ثناؤه ، وغريب حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) [٨٨] وتلك من مآثر العرب ودليل دقتهم في علومهم .

وذكر حماد الراوية : إن العرب كانت تعرض شعرها على قريش فما قبلوه منها كان مقبولا ، وما ردّوه منه كان مردودا . وحينما قدم عليهم علقمة بن عبدة وأنشدهم قصيدته التي يقول فيها :

هل ما علمت وما أستودعتَ مكتوم ... أم حبلُها أن نأتكَ اليوم مصرومْ

قالوا هذه سمط الدهر ، ثم عاد اليهم بعد عام فأنشدهم :

طحا بك قلبٌ في الحسانِ طَروبُ ... بُعيدَ شبابٍ عصر حان مشيبُ

فقالوا : هاتان سمطا الدهر . [٨٩] وهذا يدل على وجود معايير للموازنة بين الأشعار ، والتفاضل بين الشعراء .

ومن مظاهر اهتمام العرب بالقول الحسن قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لبعض ولدِ هرم بن سنان : أنشدني بعض مدائح زهير في أبيك ، فأنشده فقال : إنه كان يحسن فيكم القول ، قال : ونحن

---

[٨٧] الصاحبي : ٤٧ ، وروي (بيد أني) ، وبيد بمعنى غير .

[٨٨] الصاحبي : ٤٨١ .

[٨٩] ينظر الأغاني : ٢١/٢٢٥-٢٢٦ طحا : بسط .

والله كنّا نحسن له العطية ، قال له الخليفة : لقد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم)) [٩٠]

– وفي دقّة القول روى الثعالبي أن رجلا مرَّ بأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ومعه ثوب ، فقال له : أتبيعه ؟ قال له الرجل لا رحمك الله ، فقال له (رضي الله عنه) : ((قد قوّمتُ ألسنتكم لو تستقيمون ، ألا قلتَ : لا ورحمكَ الله)) [٩١] وتلك مسألة معروفة عند أهل اللغة .

– وفي نقد الأسلوب وتقييمه قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : ((خرجت مع عمر (رضي الله عنه) في أول غزاة غزاها ، فقال لي ذات ليلة : يا ابن عباس أنشدني لشاعر الشعراء . قلت : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ابن أبي سلمى . قلت : وبم صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يتبع حوشي الكلام ، ولا يعاظل من المنطق ، ولا يقول ألاّ ما يعرف ، ولا يمتدح الرجل إلاّ بما يكون فيه)) [٩٢] .

– تلك نتف مما تداولته المصادر تؤكد ما كان عند العرب في الجاهلية من الثقافة والمعارف والعلوم لها منهجية ومعايير متعارفة لديهم يقوّمون بها خطبهم وشعرهم وكلامهم ، وإن دليل الأدلة على ذلك الذي نضيفه الى هذا الباب تحدي الله رب العالمين لهم بأن يأتوا بسورة من كتابه العزيز بقوله عز وجل : ((وإنْ كُنْتم في رَيْبٍ مما نزّلنا على عَبْدنا فأْتوا بسورةٍ من مثلِهِ وادْعوا شُهداءَكم من دونِ الله إن كنتُم صادقين)) [البقرة : ٢٣] . وسورة الكوثر

---

[٩٠] ينظر الأغاني : ١٠/٢١٣ .

[٩١] ينظر ثمار القلوب : ٦١١ .

[٩٢] ينظر الاغاني : ١٠/٢٩٩-٣٠٠ .

عشر كلمات وقفت العرب أمامها عاجزة مبهوتة مستسلمة مستبدلة ذلك بالقتال والقتل الذي هو أقسى ما يعانيه الأنسان . ذلك لأنهم أهل فصاحة وبلاغة ومعرفة ، يدركون عظمة الآيات وإعجاز سبكها وعظمة نظمها ؛ فلم يَلِجوا هذا الميدان بل تهيبوه لعلمهم أنهم عاجزون أن يأتوا بما يماثل هذه الكلمات . ولم يَرِدْ أنهم قبلوا التحدي وخاضوا ميدان مبارات القرآن ومجاراته ، ومن مظاهر عجزهم قول الوليد بن المغيرة لأبي جهل : ((فوالله ما فيكم رجلٌ أعلم بالأشعار منّي ولا أعلمُ برجزه ولا بقصيده منّي ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا ، ووالله إنّ لقوله الذي يقولُ حلاوةً وإنّ عليه لطلاوة ؛ وإنّهُ لمثمرٌ أعلاه مُغْدقٌ أسفلُهُ ، وإنّه ليعلو وما يُعلى عليه وإنّه لَيَحْطِمُ ما نحتهُ))[٩٣] وفي ذلك دليل على علمهم بدقائق اللغة وبيانها وعروضها وتذوقهم لأساليبها وانفعالهم بما حسن ورقا من نظمها ، فضلا عن أن الحق جل جلاله لا يتحدى بعلمه الجهلاء .

ومن الجدير بالذكر ان المصحف الذي بين أيدينا كتبه عدد من الصحابة على وفق قواعد وثوابت رصينة هم كتّاب الوحي (رضي الله عنهم) في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) وفي عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وجُمع بين دفتين في عهد عثمان (رضي الله عنه) ، ولا يستطيع ذلك كما هو معلوم إلاّ علماء جهابذة علموا قواعد اللغة وبناء حروف كلماتها وأسس نظم جملها ، وأن تلك العلوم متوارثة من بيئة العصر الجاهلي التي كانت عدّتهم في كتابة القرآن الكريم قمة التعبير العربي ، ثم

---

[٩٣] الخصائص الكبرى : ١/١١٣ .

انتشرت وتطورت في أمة إقرأ حتى تعددت وقُننت في القرن الثاني الهجري كما هو معلوم .

– وما تقدم يدل على منهجية اللغة العربية وعلميتها وأنها على قواعد راسخة ثابتة متعارفة في العصر الجاهلي ؛ تداولها العلماء بها في ذلك العصر من خطباء وشعراء وكتاب فأحسنوا الحذق بها معرفةً وكتابةً كما مَر ذكره في كتّاب ملوك العصر الجاهلي نموذجا لهم ؛ وما عرف من كتّاب الوحي والقرّاء الذين أشارت اليهم السير المعروفة .

بعد الاشارة الى ما هو متوقع وجوده من معايير ومنهجية في علوم العربية في العصر الجاهلي – والجاهلية هي : زمن الفترة قبل الإسلام ؛ وفي الحديث : ((إنك امرؤ فيك جاهلية)) وهي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين ، والمفاخرة بالأنساب والكِبْر والتَّجَبُّر وغير ذلك . كذا ورد في اللسان[٩٤] ، ولم يتطرق الى الجهل بالثقافة والمعرفة ... – نعود الى ما ورد عن ابن رشيق في المطبوع والمصنوع قوله : ((ومن الشعر مطبوع ومصنوع ؛ فالمطبوع هو الأصل الذي وضع أولا وعليه المدار ، والمصنوع وإن وقع عليه هذا الإسم فليس متكلفا تكلف أشعار المولَدين ، ... حتى صنع زهير الحوليات على وجه التنقيح والتثقيف ... والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل فتترك لفظة للفظة أو معنى لمعنى – كما يفعل المحدثون – ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى

---

[٩٤] لسان العرب : جهل .

وابرازه ؛ وإتقان بنية الشعر وإحكام عقد القوافي ، وتلاحم الكلام بعضه ببعض .)) [٩٥]

وميّز بين المطبوع والمصنوع بقوله : ((ولسنا ندفع أن البيت إذا وقع مطبوعا في غاية الجودة ثم وقع في معناه بيت مصنوع في نهاية الحسن لم تؤثر فيه الكلفة ولا ظهر عليه التعمل كان المصنوع أفضلها ، إلاّ أنه إذا توالى ذلك وكثر لم يجز البتة أن يكون طبعا واتفاقا إذ ليس ذلك في طباع البشر ... وقيل إذا كان الشاعر مصنعا بان جيده من سائر شعره كأبي تمام فصار محصورا معروفا بأعيانه ...)) [٩٦]

- وفي ضوء ما تقدم من آراء ابن رشيق التي يوافقه فيها كثير من علماء البلاغة والأدب ، وفي ضوء تحليلنا معلقة زهير بن أبي سلمى ، وما ذكرنا من دلائل على منهجية ومعايير اللغة العربية لدى النخبة المثقفة في العصر الجاهلي ، تتجلى قدرة اللغة وتراكيبها ودلالاتها ، وكذلك دور زهير في بناء معلقته نظما ومعنىً ، حسبما أراه من خلال نتائج تحليلي هذه المعلقة الجاهلية .

---

[٩٥] العمدة : ١/١١٦ .

[٩٦] ينظر العمدة : ١/١١٨ .

منحق جرد الأوجه البلاغية :

ت	اسم الوجه البلاغي	العدد	رقم البيت
	المعاني	-	
١	الوصل	٣	٣/٩/١١
٢	الفصل	١	١٠/٠
٣	المساواة	١	٥٨/٠
٤	التخصيص	٣	١/٣/١١/٠
٥	التقديم والتاخير	١٠	٤/١٤/١٥/١٧/١٨/٢٣/٢٥/٣٤/٤٤/٤٦/٠
٦	الحذف	٥	١/٤/٨/٣٨/٤٦/٠
٧	القصر	١	٢٩/٠
٨	الاعتراض	٣	١٢/١٦/٥٦/٠
٩	التقييد	٤٧	جميع ابيات القصيدة عدا ٤/٧/١٤/١٦/١٨/١٩/٢٢/٢٧/٢٨/٣٥/٣٦/ ٣٧/٠
	البيـان	-	
١٠	التشبيه المرسل	٢	١٢/٣٢/٠
١١	التشبيه البليغ	١	٣١/٠
١٢	التشبيه المركب	٢	٢/٥/٠
١٣	التشبيه التمثيلي	١	١٣/٠
١٤	الاستعارة التصريحية	٢	١٨/٤٢/٠
١٥	الاستعارة التمثيلية	١٤	١٦/١٩/٢٢/٢٤/٣١/٣٦/٣٧/٣٩/٤١/٤٤/ ٤٧/٥٣/٥٤/٥٧/٠

١٦	الاستعارة المجردة	١	٤٢
١٧	الاستعادة المرشحه	١	٤٢
١٨	الاستعادة المعادلة	١	٤٢
١٩	المجاز المرسل	٣	٣/٣٤/٣٦/٠
٢٠	الكناية	١٨	١/٢/٣|٢/٩/١١/١٣/١٤/٢٤/٢٥/٢٧/٢٩/٣٢/٣٦/٣٩/٤٤|٢/٥٣/٠
٢١	التعريض	١	٨/٠
٢٢	المثل السائر	٩	٢٢/٤١/٤٨/٤٩/٥٠/٥٣|٢/٥٤/٥٧/٠
	البديع		
٢٣	التصريع	١	١/٠
٢٤	التجريد	٣	١/٦/٢٦/٠
٢٥	الجمع	٨	١/٣/٨/١٥/١٧/١٨/١٩/٢٠/٠
٢٦	المطابقة	١٧	٤/٨/١٠/١١/٢٧/٣١/٣٢/٣٣/٣٥/٣٦/٣٩/٤٧/٤٨/٤٩/٥٢/٥٨/٥٩/٠
٢٧	التفريع	٣	٤/٣٦/٤٠/٠
٢٨	الاستتباع	٢	٦/١٠/٠
٢٩	التكرار	٦	٦/٨/٩/٢٣/٢٥/٣٠/٠
٣٠	الالتفات	١٢	٦/٧/٨/١٨/٢٤/٢٦/٣٤/٤٤/٤٧/٥٦/٥٨/٥٩ /٠
٣١	تجاهل العارف	١	٧/٠
٣٢	التخلص	١	٧/٠
٣٣	مراعاة النظير	٩	٩/١٠/١٣/١٥/٢١/٢٢/٢٩/٣٥/٤٠/٠
٣٤	الايغال	٩	١٢/١٤/١٥/٢٣/٣٧/٤٦/٥٠/٥٣/٥٧/٠
٣٥	الملحق بالجناس	٤	١٢/١٣/١٦/٢٦/٠

٣٦	الجناس المطرف	٢	٣٠/٣١/٠
٣٧	الجناس المحرف	١	٥٢/٠
٣٨	الجناس المضارع	١	٢٨/٠
٣٩	التسهيم	١٨	١٤/٣٠/٣٢/٣٣/٤٧/٥٠/٥١/٥٢|٢/٥٣|٢/ ٥٤/٥٥|٢/٥٦/٥٧|٢/٥٨
٤٠	التدبيج	١	١٤
٤١	الاقتضاب	١	١٦
٤٢	الافتنان	٣	١٦/١٩/٣٦/٠
٤٣	التلميح	٥	١٧/١٩/٣٢/٣٧/٣٨/٠
٤٤	المزاوجة	٢١	٢٠/٢٢/٢٧/٣٤/٤٧/٤٨|٢/٤٩/٥٠/٥١/٥٢| ٢/٥٣|٢/٥٤/٥٥|٢/٥٦ /٥٧|٢/٥٨/٠
٤٥	السجع	١	٢٨/٠
٤٦	الاقتباس	٢	٢٨/٣٢/٠
٤٧	حسن التعليل	٤	٢٢/٢٧/٤٠/٥٧/٠
٤٨	المبالغة	٤	١٢/٢١/٣١/٤١/٠
٤٩	المشاكلة	١	٣١/٠
٥٠	المماثلة	٢	٣١/٤٩/٠
٥١	التقسيم	٢	٢٨/٥٩/٠
٥٢	الجمع مع التقسيم	٣	٣٣/٣٥/٣٩/٠
٥٣	القول بالموجب	١	٣٣/٠
٥٤	التذييل	٤	٢١/٣٦/٤٧/٥٤/٠
٥٥	المواردة	١	٤٢/٠
٥٦	الكلام الجامع	١٠	٤٧/٤٨/٤٩/٥٠/٥١/٥٢/٥٤/٥٥/٥٧/٥٨/٠
٥٧	الغلو	١	٤٩/٠

٥٨	اللف والنشر	١	٠/١٣
٥٩	التنكيت	١	٠/٥٩
٦٠	الاكتفاء	٢	٠/٤٩/٢٠
٦١	رد العجز على الصدر	٥	٠/٥٦/٤٣/٣٠/٢٢/٢٠
٦٢	الاستطراد	٢	٠/٣٨/٢٦
٦٣	المذهب الكلامي	١	٠/٢٧
٦٤	الانسجام	٨	٠/٥٩/٥٦/٥٥/٥٤/٥٣/٥٢/٥٠/٤٩
٦٥	حسن الختام	٢	٠/٥٩-٤٧
	المجموع الكلي	٣١٧	

المصـــادر :

١- الأغـاني ، أبـو الفرج علـي بن الحسـين الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٧م .

٢- الايضـاح فـي علوم البلاغة ، الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩ هـ) ـار الكتب العلمية لبنـان ، ٢٠٠٢ م ، وطبعة اخرى مكتبة النهضـة - بغداد .

٣- أشعار الشعراء الستة الجاهليين ، يوسف بن سليمان الاندلسي المعروف بالأعلم الشنتمري (ت٤٧٦ هـ) - دار الفكر - / ١٩٨٢ م .

٤- إعجاز القرآن ، أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ) تحقيق أحمـد صـقر ، دار المعـارف بمصـر ، ١٩٥٤ وتحقيـق ابـوبكر عبد الرزاق ، مكتبة مصر ١٩٩٤م .

٥- التـاج الجـامع للاصـول ، الشـيخ منصـور علـي ناصـف الحسـيني، دار الفكر- بيروت- ١٩٧٥ م.

٦- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعـالبي (ت٤٢٩هـ) ، تحقيـق محمـد أبـو الفضـل ابـراهيم ، مطبعـة المدني ، القاهرة . ودار نهضة مصر ، ١٩٦٥ .

٧- جهود العلماء في تحديد مصطلح الاستعارة، الدكتور أحمد حمد محسن الجبوري - ٢٠٠٩ م.

٨- خزانـة الادب وغايـة الارب ، لابـن حجـة تقـي الـدين أبـي بكـر الحمـوي (ت ٨٣٧ هـ) تحقيق الدكتور محمد ناجي عمر دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ٢٠٠٨ هـ .

٩- الخصائص الكبرى ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

١٠- ديوان أوس بن حجر ، تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت – لبنان -- ١٩٦٠ م .

١١- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لأبي بكر محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٨ هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف – القاهرة – ١٩٨٠ م .

١٢- شرح المعلقات السبع ، القاضي أبو عبدالله الحسين بن أحمد الزوزني (ت ٤٨٦ هـ) دار المعرفة - بيروت -- ٢٠١٠ م.

١٣- شرح القصائد العشر ، للخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) دار الجيل – بيروت .

١٤- الصاحبي ، لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق الشيخ أحمد صقر ، مؤسسة المختار القاهرة ، ٢٠٠٥م .

١٥- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلّام (ت٢٣١هـ) شرح محمود محمد شاكر ، دار المعارف ، ١٩٥٢م وطبعة القاهرة ، ١٩٧٤م .

١٦ – العروض تهذيبه وإعادة تدوينه ، الشيخ جلال الدين الحنفي ، مطبعة العاني – بغداد – ١٩٧٨ م .

١٧- العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده ، الحسن بن رشيق القيرواني (٤٥٦ هـ) تحقيق محمد محيي الدين – دار الجيل ، بيروت ١٩٧٢ ، وطبعة ثانية بتحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية – بيروت ٢٠٠٧ م .

١٨- كتاب الصناعتين ، أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري (ت٣٩٥هـ) تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، البابي الحلبي ١٩٧١ .

١٩- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت١١٧هـ) دار الحديث ، القاهرة ٢٠٠٣م .

٢٠- منهاج البلغاء وسراج الادباء ، لأبي الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ١٩٦٦ م .

٢١- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، ابو عبيدالله محمد بن عمران المرزباني (ت٣٨٤هـ) ، جمعية نشر الكتب العربية ١٣٤٣هـ .

٢٢- النظرية النقدية عند العرب ، الدكتورة هند حسين طه ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١.

آراء عبد القاهر الجرجاني (٤٧١أو ٤٧٤هـ) النحوية ومعالجاته فيها

م.م. سعد جمعة صالح
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

المنخص :

ركز الباحثون والنقاد المعاصرون على إظهار نظرية النظم من خلال قراءة جهود عبد القاهر بصفتها أسسا نقدية وبلاغية ، إلا أنَّ وبحسب معطيات كتابيه (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز) هنالك قيم معرفية ترتبط بهذه النظرية أقصد في هذا المقام (النحو) وما رافقته من تحولات ، انعكست إيجابا على الساحة الأدبية والنقدية من خلال التعويل على الوظيفة الإبلاغية للغة عن طريق ربط البلاغة بالنحو ، كما يكشف البحث عن الدور المهم الذي يشغله علم النحو في القضاء على ثنائية التفريق بين اللفظ ومعناه ؛ وذلك عن طريق اعتماد مستوى التركيب (الجملة) في التمييز بين نص وآخر .

المدخل :

تناول النقاد المعاصرون آراء عبد القاهر في النحو العربي على أنها طريقة جديدة في التعامل تجاوز من خلالها النظرة المنطقية له أي المعادلة التي تحصره في باب تصويب الخطأ الموجود في الكلام من خلال الحركات الإعرابية ، إلى النظرة الوظيفية "النظمية" للنحو ، بمعنى أنه أصبح مجموعة من العلاقات تحدث بين الكلمات فتجعل منها نصا يحقق معنى كليا يؤخذ من مجموع هذه المفردات مجتمعة لا بالنظر إلى معنى كل مفردة على حد سواء ، ونظر الدكتور محمد عبد المطلب إلى جهوده النحوية من منطلق أنّه ((لم ينفصل قط عن المناخ الذي سبقه ، أو الذي زامنه ولم يستطع - كذلك - أن يتخلص من تأثيرات هذا المناخ الذي سبقه ، أو الذي زامنه))[1].

وفي هذا الصدد يرى الباحث أحمد الجوة أن عبد القاهر قد امتدّ ((فضله على النحو فمرده إلى دفاعه عنه وعدّه علما ضروريا لا ضربا من التكلف وبابا من التعسف فلقد خصص الجرجاني في بداية "دلائل الإعجاز" حيزا دافع فيه عن النحو وجعل معرفته لازمة لمعرفة كتاب الله وأدراك إعجازه ، والزهد فيه "أشبه بأن يكون صدى عن كتاب الله وعن معرفة معانيه"))[2] انطلاقا من هذه الأهمية جاءت نحوتات عبد القاهر في التراث

---

[1] قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني : ٥٢.

[2] معاني النحو ومعاني البلاغة في كتب عبد القاهر الجرجاني(بحث) : احمد الجوة : ضمن وقائع ندوة عبد القاهر الجرجاني ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية : جامعة صفاقس ، تونس ، ١٩٩٨م : ٥٠.

النحوي العربي ، إذ هو الأداة التي تكشف من خلالها سمو القرآن الكريم وإعجازه .

وفضلا عن ذلك فإنَّ تصوير عبد القاهر ، وتهكمه على ما جرى في الموضوعات النقدية من خلل وبعد الصواب عن طريقته المثلى في المعالجة كان من بين أولوياته في هذا المقام ما ذهب إليه من رد بعض الدعوات الفاسدة على حد تعبيره ، إذ إنَّه هاجم الدعوة إلى إهمال الشعر والانصراف عن علم النحو ، ولاسيما أنَّ دراساته ترعرعت تحت راية القرآن والبحث في إعجازه إذ سمى عبد القاهر كتابه (دلائل الإعجاز) وبين فيه أن تأكيد الوظيفة الإبلاغية للغة عن طريق ربط البلاغة بالنحو هو السبيل إلى كشف أسرار دلالات الإعجاز القراني وتقديم الأدلة عليه ، ومن جانب آخر اشتمل كتابه هدا على دراسة تفصيلية للعلاقة بين اللفظ والمعنى في مستوى التركيب (الجملة) فكان بذلك بداية مرحلة جديدة في تاريخ علوم العربية هي مرحلة تأكيد الوظيفة الإبلاغية للغة عن طريق ربط البلاغة بالنحو[٣].

ومن جانب آخر ((كان لمنهجه النحوي أثر عظيم في وضوح ملامح نظرية النظم عنده ، وتعدّ هذه النظرية فلسفة اللغة العربية والمنهج النقدي السديد))[٤] ، والبحث يتقصى عمق هذه التجاذبات من خلال الطروحات المعاصرة وقراءاتها التأويلية على وفق التصور الآتي :

---

[٣] ينظر : نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية (النحوية البلاغية) والبنيوية الوظيفية في النقد الأدبي :٢٠٢-٢٠٣

[٤] بحوث بلاغية : الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٩٧م : ٩٠.

أولا / النحو ليس قواعد جامدة :

اتفق جمع من الباحثين والدارسين المعاصرين على ما ذهب إليه عبد القاهر في رفضه معيرة النحو ذلك أنَّ ((النحو ليس مجموعة من القواعد الجامدة))(٥) وحدودها لا تقف عند حدود ما ((لا يعتد بمجرد الصواب اللغوي ، لا لأن هذا الصواب من شأنه أن لا يعتد ولكن لأنه غير ذي قيمة فنية أدبية))(٦) ، وبهذا نجدهم قد حصروا المعيارية بالاعتداد بالصواب والخطأ ، وبنظرته هذه يكون قد ابتعد عن ((تفكير النحاة العرب المعياريين))(٧) ، وفي هذا القول اعتراف ضمني بأن النحاة القدماء كما أسلفنا في المبحث الأول كانوا يعتدون بمستويين من النحو.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ رفض عبد القاهر جعل قواعد الصواب والخطأ النحوية مقياسا لجودة النصوص الأدبية ، وجعله الأساس بدلا من المستوى النحوي الوظيفي الذي ما زال يردده ويؤكده حتى أوهم بعض الباحثين المعاصرين ((أنَّ النحو عند عبد القاهر نحوان : نحو وظيفته خدمة اللغة والتعبير عن مقاصد المتكلمين وغايته أن يمكنهم من انتحاء سمت الكلام كما رسمه الوضع والاصطلاح وأن يعصمهم من الخطأ واللحن وزيغ الإعراب ،

---

(٥) المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية : ٢٤١. وينظر : معاني النحو ومعاني البلاغة في كتب عبد القاهر الجرجاني(بحث) : ٥٠. وينظر : قضايا الحداثة عند عبد القاهر :٥١.

(٦) النحو والنظم عند عبد القاهر الجرجاني(بحث) : ١٩ .

(٧) النحو والنظم عند عبد القاهر الجرجاني(بحث) :١٩ ، وينظر : قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني : ٥١.

ونحو وظيفته خدمة اللغة الفنية الأدبية والقيام بحق المبدعين من أصحاب اللغة))[٨].

وكان رفض عبد القاهر مَعيَرَة النحو لسببين هما[٩] :

١- إنه لم ينكر فضل النحو المعياري لأنه يتحرّز به من الخطأ إلى الصواب .

٢- إخضاع الفنون البلاغية لسلطة هذا النحو المعياري .

وهذان السببان في نظر عبد القاهر بعيدان كل البعد عن الوظيفة الرئيسة للنحو ، انطلاقا من هذا النظرة التي تبنى على أساسها فكرة رفض إقحام النحو المعياري في الميدان ؛ ((لأن هذا النحو قاصر بطبيعته عن أن يحقق شرائط المزية والفضل))[١٠]. في النص الإبداعي وينهض بها أساسا جماليا ليؤكد أن ذلك لم يكن اعتباطيا بل جاء نتيجة ، هذا الفهم الخاطئ لطبيعة النحو هو الأساس الفاسد الذي بُني عليه التفكير المنطقي المجرد ذلك أنَّ هذا النوع من التوجه لا يلتفت إلى ما يحمله النحو من معانٍ ، هي جوهر الإحساس والفكر ، وكان بحملته على التصور السائد في عصره للنحو والبلاغة ، يبغي الوصول إلى فهم صحيح لهما [١١].

وقد كانت نظرة عبد القاهر الإبداعية مصوبة في هدف التفرد مما يعني أنه من المعارف التي يشترك جميع الناس في معرفتها وهي لا تشكل جمالا

---

[٨] النحو والنظم عند عبد القاهر الجرجاني(بحث) : ٢٠

[٩] ينظر : قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني : ٥١.

[١٠] النحو والنظم عند عبد القاهر الجرجاني(بحث) : ١٩.

[١١] ينظر : الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا وتطبيقا : ٢٨

يعتد به بذاتها ، ومن ذلك انطلق في رفضه القواعد المعيارية بوصفها أساسا للإبداع إذ ((لو كان الأمر كذلك لتساوى في الفصاحة كل من يتقن العربية ويجيد استخدام قواعدها النحوية ، وعبد القاهر أول من أدرك ذلك وسط حماسه الشديد للنحو ودفاعه عنه. وكانت هذه في الواقع أولى النقاط التي نبه إليها في مقدمته لدلائل الإعجاز حيث نبه إلى أنّ التمكن من علم النحو وحده لا يصنع الفصاحة ، وأنّ النحو وحيدا لا يفسر إعجاز لغة القرآن[١٢].

وقد ذهب الدكتور عبد العزيز حمودة إلى أنَّ نظرة عبد القاهر الجديدة قد عدلت من مسار النحو ، ((في مواجهة الهجوم الذي سبق [...] ضد النحو العربي باعتباره قيدا جامدا على الإبداع ردّ ، الجرجاني للنحو اعتباره ، مؤكدا أنه ليس قيدا)) وإذا كان النحو ليس قيدا يقَيد الكلام فما هي وظيفته ، إذ عمله ينصب بالدرجةَ الأساسية على تحرير المعنى ((إذ قد علم أنَّ الألفاظ [...] في الحقائق نفسه))[١٣] وكأن الألفاظ التي لا تعني مفردة شيئا في حالة لا معنى ، تمكن عن طريق النحو من كشف مكنون كنوزها. إنَّ النحو بهذا المعنى ليس قيدا على الكلمة لأنه هو الذي يفك إسارها من سجن اللامعنى))[١٤].

---

(١٢) المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية : ٢٤١.

(١٣) المصدر نفسه : ٢٤١

(١٤) دلائل الإعجاز : ٢٣-٢٤

ثانيا / النظرة التوسعية للنحو عند عبد القاهر :

انطلقت الدراسات المعاصرة من فكرة عدم الشك ، في أن عبد القاهر كشف عن مفهوم جديد في النحو ، إذ كانت النظرة السائدة للنحو قبله قائمة على أنَّ مهمة النحو مقصورة على صحة التركيب وسلامتها من الخطأ[١٥].

وقد ذكر البحث في المبحث السابق من هذا الفصل أن الأساس الأول للنحو العربي قد حوى مستوى ثانيا يضاف إلى المستوى النحوي الأول ، وإذا كانت هذه هي آراء عبد القاهر المتمثلة بنظرته الحادة لتوجه إعطاء النحو المعياري مكانة أكبر من طاقاته التي أسس من أجلها يذهب إلى أنَّ نظرته إلى النحو تستوجب منه أن يحقق شروطا ثلاثة إذ الذي يريده من النحو[١٦]:-

الشرط الأول: أن يحقق صنعة في الكلام ، ومعنى ذلك أن يكون فيما صنعت على وفق هذا النحو ما يتسم بالخصوصية والتميز والتفرد.

الشرط الثاني: أن يكون اختيار الكلمات أساسا تبنى عليه البنى النحوية ، إذ الاختيار كلمة تؤذن أنه يتوفر لك غير وجه من وجوه القول وغير طريقة من طرائق الاستعمال.

الشرط الثالث: أن تكون قد استدركت صوابا ، وأن تستدركه معناه أن غيرك قد غفل عنه ولم ينتبه إليه. وهذا الصواب المستدرك غير الصواب النحوي الذي هو نقيض الخطأ فهذا الصواب لا يعتد به في ميدان الفن والأدب ، وقد أشار عبد القاهر إلى ذلك بقوله : فإن قلت :

---

(١٥) ينظر : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث : ٢٤٠.

(١٦) ينظر : النحو والنظم عند عبد القاهر الجرجاني (بحث) : ١٩.

أفليس هو كلاما قد اطرد على الصواب وسلم من العيب ؟ أفما يكون في كثرة الصواب فضيلة ؟))[١٧].

وفضلا عن ذلك هنالك عنصر آخر من عناصر التعامل النحوي في أدبيات نحو العلاقات إذ من شروطه ((هو اعتبار حال المنظوم بعضه مع بعض؛ أي ملاحظة ما يجب أن يكون عليه الترتيب بين الكلمات ، والذي يتم بمراعاة جوانب ثلاثة ، وهي وفقا للمفهوم الحديث: الاختيار – والموقعية – والمطابقة . ويأتي الإعراب نتيجة وتابعا لها على رأي عبد القاهر))[١٨].

وقد توسعت نظرة عبد القاهر إلى النحو التي تجاوز بها سابقيه فهو ((ليس نحويا بالصفة الخالصة التي يصير بها مقعدا لمسائل النحو ، منظرا لقضاياه))[١٩] وهو ينظر للنحو على أن له علاقة ((بالمعنى لان المعنى من شؤون الدلالة))[٢٠] كما أنه ينظر إليه على انه علم يتجاوز المعيار ((إلى لطيف التراكيب ودقيق الاستعمالات دون خروج عن أحكام النحو وقوانينه))[٢١].

وفي إشارة إلى أنّ هدف عبد القاهر كان ينصب بالدرجة الأساسية على تطوير النحو فهو لا((لم يهدف حقيقة إلى تخليص النحو مما علق به ، وإنما تحدث عن طريق جديد للبحث النحوي تجاوز فيه أواخر الكلم ،

---

[١٧] ينظر : دلائل الإعجاز :

[١٨] عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتنُّ في العربية ونحوها : ١٦٠-١٦١.

[١٩] معاني النحو ومعاني البلاغة في كتب عبد القاهر الجرجاني(بحث) : ٥٠

[٢٠] المصدر نفسه : ٥٠

[٢١] المصدر نفسه : ٥٠

وعلامات الإعراب ، وبين أنّ للكلام نظما ، وأنّ رعاية هذا النظم وإتباع قوانينه هو السبيل إلى الإبانة ، والإفهام ، وأنه إذا عدل بالكلام عن سنن هذا النظم لم يكن مفهوما معناه ولا دالا على ما يراد منه))[٢٢] في حين نجد أنّ نسبة غير قليلة من تعاملاته كانت تهدف إلى الرد على الانحراف الذي اعتلى مسار النحو عند من سبقه من رواده كانت تشكل رفضا لما علق به من رواسب النظرة المنطقية لذلك أراد تنقيته مما علق به أولا ومن ثم سارت معالجاته على نحو جعل منها أقرب إلى النظرة التطويرية للنحو.

ثالثا/ استثمار الإمكانات النحوية :

لم يكن استثمار الإمكانات النحوية وطاقتها الإبداعية دربا قد اعتادته الدراسات النقدية قبل عبد القاهر ، وهذا لا ينفي في أحسن الأحوال استثمارها إياه في معاملاتهم اللغوية ، لكن ما يؤخذ عليها ضياع التنظير تحت إطار شامل يجمع تنافرها في كتب قد تكون ليست ذات صلة مباشرة بالدراسات اللغوية من مثل كتب التفسير والقراءات لكنها قد شُغلت مفاتيح فهم كثير من بياناتها المعرفية ، الأمر الذي أدى الى إغفالها في القرن الرابع والخامس الهجريين.

وبسبب من هذه وذاك يضاف إليها غلبة التأليف فيما أطلق عليه من تسمية (النحو المعياري) يضاف إليه المنظومات النحوية الكثيرة في هذا الإطار ، كانت هذه الفجوة تشغل مساحة كبيرة في حياة النقد والبلاغة لا ريب في أنها من معطيات إثبات إعجاز القرآن النقطة الفاصلة بين متجاورات كثيرة.

---

[٢٢] معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني : ٩٠.

استجمع عبد القاهر هذه الخيوط ودفع بحركتها تنظيرا وتطبيقا ، فلم يدخر أي جهد لتوسيعها وتبويبها ، لأنها عماد فكرته "النظمية إذ هو يمثل ((محور المشهد الأخير من سلسلة الجهود السابقة عليه في دائرة النقد ، أو دائرة النحو والبلاغة كما يمثل كمال الإفادة من هذه الدوائر الثلاث في بلورة مفهوم (نحو نقدي) قاده إلى تكوين نظرية مكتملة في فهم الخطاب الأدبي بالتركيز على صياغته))[٢٣] ، والمقصود بالنحو النقدي هو استثمار الإمكانات النحوية بوصفها أداة نقدية في قراءة النصوص الأدبية؛ وكان رصد المعاصرين هذه الإمكانات النحوية ينطلق في اتجاهين أحدهما : التعريف بهذه الإمكانات النحوية ، والاتجاه الآخر : رصد مساحة اشتغال الإمكانات النحوية على وفق التصور الآتي:

الاتجاه الأول / حدود الإمكانات النحوية :

انطلق المعاصرون في تحديد هذه الإمكانات النحوية من آراء عبد القاهر التنظيرية والتطبيقية ، وكانت هذه الأسس هي منطلقات النظرية النظمية عنده إذ استخدم ((وجوه النحو وفروقه المختلفة كقاعدة ينطلق منها الى تتبع صور التراكيب وتلمس الأغراض التي توحي بها حين تتغير من صورة الى أخرى ، ولولا ذلك لاضطرب عليه الأمر ولم يجد سبيلا الى ضبطه))[٢٤].

---

[٢٣] قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني :٥١-٥٢. وينظر : عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتن في العربية ونحوها :١٠٩.

[٢٤] نظرية العلاقات أو النظم بين عبد القاهر والنقد الغربي الحديث : ٥٨.

إذ بتعديل التركيب يتغير المعنى وتتبدل صورة بنيته النحوية ، والاختيار من الوجوه والفروق لا يسري اعتباطا بل يخضع لقواعد تركيبية تحكم بناءه النحوي من الانزلاق في متاهات النظم الفاسد ((إذ الحقيقة الواضحة في الموضوع أنَّ كل تغيير في صورة التراكيب لابد أن يجيزه النحو أولا من حيث الصحة والسلامة الإعرابية وإلا انقلب التركيب الى حال من الفساد والتعقيد الذي يختفي معه وجه المعنى))[٢٥].

وهذا يعني أن العملية التأليفية محكومة بأسس تمنح حرية الانتقاء من الأبواب وتفرض في سلطة الاستخدام الأمثل لها بما يناسب البنى النحوية ومعانيها؛ ((فليس الناظم حرا في التصرف في التراكيب إلا حيث يمنحه النحو هذه الحرية فهو يتوخى أغراضه في نطاقها ، ويفتن في نظمه على هدى منها ، ثم تجئ الناقد ليسأله كيف استخدم هذه الحرية في صناعته ونظمه ، هذه هي الحقيقة التي فتحت لعبد القاهر الطريق ليضع الأصول العامة لهذا الفن على أساس تلك الوجوه النحوية))[٢٦].

ولعل هذه الإمكانات النحوية بعد أن كانت متشعبة اتفقت رؤاها عند عبد القاهر في بودقةٍ واحدة ، ألا وهي معاني النحو ، ولعل ما تميز به منهجه النحوي ويجعل فهمه تطويرا لإشارات سابقيه هو تفرده في ((التحليل للأساليب والتمييز بين تعبير وآخر إذا حدث فيه تقديم وتأخير. وقد عالج عبد القاهر موضوعات النحو بهذا الأسلوب وكثيرا ما ينساق وراء ذوقه فيقف

---

[٢٥] المصدر نفسه : ٥٨.

[٢٦] نظرية العلاقات أو النظم بين عبد القاهر والنقد الغربي الحديث : ٥٩.

أمام النص مبهورا يتعجب من روعته ويحاول أن ينقل إعجابه إلى الآخرين))[٢٧].

وبتحديد هذا الهدف الذي ملكَ كل أفكار عبد القاهر يجب معرفة آلية عمل معاني النحو بوصفها قائمة على البحث في الفروق والوجوه النحوية ((فالنظر في الفروق والوجوه بين هذه الأبواب المختلفة ليس بحثا في النحو من حيث هو علم الإعراب ، أو من حيث هو جملة من القواعد ينبغي على الدارس حفظها والإلمام بها ، وإنما هو البحث في معاني العبارات ، وفي إدراك الفروق الدقيقة التي تكون بين استخدام لغوي وآخر [...] في كيفية صياغة الجملة))[٢٨]

إنَّ البحث في معاني النحو هو بحث في معاني العبارات ، ويبدو أنَّ تفصيل هذا الأمر وشرحه يعد الجديد الذي أضافه عبد القاهر إلى النحو ورسخه قواعد يصار إليها عند نقد النصوص الأدبية وبيان صياغتها الشكلية ، فضلا عن ذلك تشكل (معاني النحو) عند عبد القاهر ، من أهم أسس منهجه وأخطرها ، وأغمضها في أذهان معاصريه ومن تلاهم والمحدثين على سواء ، كما لا يفوت عبد القاهر بيان أن االنحو يتكون من أشكال تحدد المعاني الخاصة بالبنية ، وقد بيَّن أن من طرائق تشكل النص هو إمكانيات التأليف بطرق التعليق ، ومكونات الجملة والعبارة وطرق ربطها[٢٩].

---

[٢٧] عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده : ٦١-٦٢.

[٢٨] قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث :٢٤٣.

[٢٩] ينظر : عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتنُّ في العربية ونحوها :١٦٠-١٦١.

وقد تنوعت منافع النحو مع عبد القاهر فلم تعد تقتصر على تصويب الخطأ بل أصبح علما يفاد منه في تأدية الكثير من المهام ، ولا ريب أنَّه عماد كل نص فمن فوائده التي عدها الباحثون ، أنَّه ((يفتح الألفاظ المغلقة على معانيها ، وهو المعيار الذي يُعرف به فضل كلام على كلام ، وهو مقياس الصحة من السقامة في الفكر ، كذلك فإنَّ معرفتنا قواعد لغة من اللغات تختلف عن قدرتنا على إدراك الدقائق والإسرار والخصائص التي ينفرد بها معنى عن آخر))[٣٠].

ومعاني النحو لا تنهض بهذه الإمكانات من علم النحو بل لابد من تآزر علم البلاغة معه وامتزج أبوابهما ((مزجا يجعلنا ندرك أن البحث في معاني العبارات وفي إدراك الفروق الدقيقة التي توجد في استعمال لغوي ، أو في آخر ، وفي الفروق التي تكون بين معنى ومعنى آخر))[٣١].

ويعرج المعاصرون إلى أنَّ من بوادر تفصيلاته (معاني النحو) هو شرحه أغلبَ أبوابها إذ ((الموضوعات التي عالجها بأسلوب العالم الأديب هي: التقديم والتأخير والحذف ، والتعريف والتنكير ، والفصل والوصل ، والقصر والاختصاص وما يتعلق بها ، ويختلف منهجه عن منهج النحاة في بحثها ، كما يختلف في فهمه وتفسيره لها الأساليب اختلافا كبيرا ، فقد أعطى هذه الموضوعات حياة فقدتها على يد الذين قللوا من قيمة الإعراب وزهدوا فيه أو نظروا إليه نظرة ضيقة تنحصر في الإعراب والبناء))[٣٢] وهذه الموضوعات

---

[٣٠] الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا وتطبيقا : ٣٠

[٣١] المصدر نفسه : ٣٢

[٣٢] عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده : ...

كانت موجودة لكن غلبة النظرة المنطقية على تعاملاتها افقدها روحها ، وما يحسب له هو نظرته الجديدة الى هذه الأساليب كونها مفاتيح نصية تدخل في تشكيل النصوص وإنتاجها .

والنظرة المعاصرة إلى توجيهات عبد القاهر في الإمكانات النحوية ، تتجه نحو الاعتراف أنها ((يمكن تبيُّن عدة ملامح تجعل مفهوم النَّظم الجرجاني صالحا لإدراك الحقيقة الجمالية في الصّياغة الأدبية؛ ذلك أن معظم الإمكانات النحوية ذات طبيعة اختيارية ، تهيئ للمبدع – بشكل أو بآخر – أن يقدم المعنى بطرائق مختلفة في الوضوح والخفاء ، والزّيادة والنُّقصان ، وهي أمور تتجسّد على مستوى الصّياغة الخارجية بمجموعة من الحركات: الأفقية كالتقديم والتأخير ، والرأسية كالحذف والذكر ، والموضعية كالتعريف والتنكير؛ ولهذا كانت الإمكانات النحوية مُهيئة لكثير من الدلالات ؛ وان رجعت في الأصل إلى (الكلام النفسي)))[٣٣].

الاتجاه الثاني/ مساحة اشتغال الإمكانات النحوية :

ذهب المعاصرون إلى أن استثمار عبد القاهر الطاقات النحوية وتحركه في مساحة خصبة تندرج في ((آثر الرجلُ توجيه دراسته إلى ما بين المفردات من عَلاقات ، بوصفها مجسِّدة للنشاط العقلي ومصوّرة له . وهذه العلاقات – بدورها– ليست إلا إمكانات النحو واحتمالاته داخل التراكيب ، فهي التي تعطي الصيّاغة ملامحها الفنية في الشعر أو النثر ، كما أنها هي التي تخلّصها من الفوضى (الجمع) وعفوية التعبير ، وقد أطلق عبد

---

[٣٣] قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ٧٣٠

القاهر على هذا المفهوم كلمة دقيقة هي (النظم)))[٣٤]؛ فالإمكانات النحوية هي التي تعطي النصوص الأدبية بكل أجناسها من (الشعر والنثر) أبعادهما الفنية وذلك من خلال الصياغة .

أقرّ عبد القاهر – باستثماره إمكانات النحو حقيقية ثورته على الزاهدين في النحو ، ممن درسوا الشعر وتعرضوا للبيان العربي ، فإنَّ اللغة بفعل هذه الإمكانات النحوية تكون قوى فاعلة في أعماق اللغة وحركة من الإنتاج مستمرة ، ومن هذا التصور يمكن القول إنَّ بيان صحة الكلام وسلامته من الخطأ ، ناحية شكلية ، إذا قيست بما تقدمه اللغة إلى قارئها أو سامعها من دلالات وفاعليات إذا خرجت من يد صانع متمرس[٣٥].

ولم تكن استثمارات عبد القاهر هذه تنظر إلى ((أنَّ الكلام الملفوظ لم يكن يهمه في حدّ ذاته ، فإنه الشيء الوحيد الذي يقبل الملاحظة))[٣٦] ، هذا وأنَّ نظرته النحوية تتسع وتتميز عن رؤية القدماء إذ يقدم تفسيرا للكثير من البنى الأسلوبية بحيث يكون((وسيلة الشاعر الفنان لإبراز الصور الذهنية والمعاني التي تألف داخل السياق))[٣٧]

وعناية عبد القاهر بالشعر واهتمامه ودفاعه عنها تؤكد أنَّ اللغة عنده أوثق اتصالا بالمنطق ، وأنَّ النحو عنده أكثر ارتباطا بعلم المعاني والبلاغة

---

[٣٤] قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني : ٥٩.

[٣٥] ينظر : المصدر نفسه ٢٤١.

[٣٦] قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني : ٥٩.

[٣٧] النظرية السياقيّة للاستعارة وتمثلاتها في كتابات عبد القاهر الجرجاني (بحث) : الدكتور يوسف أبو العدوس ، ضمن وقائع ندوة عبد القاهر الجرجاني ، كليه الآداب والعلوم الإنسانية جامعة صفاقس تونس ١٩٩٨ : ١٢١

منه بالقواعد الجامدة التي لا تسمح بأي دور دلالي ثانوي[٣٨] ، لكن يبقى التساؤل محط أنظار النقاد والدارسين أي منطق هذا الذي يرتبط باللغة عند عبد القاهر إذ ((تستعمل هنا كلمة (منطق) بمعنى التفكير العقلي الاستدلالي دون تخصيص))[٣٩] هذا هو تصور الدكتور محمد عابد الجابري الجابري في مُنجز سيبويه الذي اتجه عنده الدرس النحوي العربي اتجاها يتداخل فيه المنطق باللغة[٤٠].

إنَّ جوهر نظرة عبد القاهر تدخل في حيز الخواص التركيبية لاي لغة ، وعلى هذا ، فـ((النحو علم يكشف عن المعاني التي هي ألوان نفسية ، ندركها من وجوه استعمال الكلام ، ومن الفروق التي تبدو بين استعمال وآخر من خلال ارتباط بعضها ببعض))[٤١].

كما يمكن الإشارة إلى ما يحدثه من علاقات مطردة بين الألفاظ داخل اللغة ، حتى تقدم وصفا لهذه العلاقات إذ ((بحيث تجتمع لتشكل نسيجا حيا من المشاعر الإنسانية والصور الذهنية والأحاسيس الوجدانية))[٤٢].

وبذلك يقرر النقد المعاصر ، أن طبيعة العلاقة بين النحو والبنى النصية الأدبية قائمة على التواشج والتوافق ، ولا سيما أنَّ الغرض الأساسي

---

[٣٨] ينظر : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث٢٣٨.

[٣٩] هامش كتاب (بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية) : ٤٨

[٤٠] ينظر : بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية : ٤٨.

[٤١] النظرية السياقية للاستعارة وتشكلاتها في كتابات عبد القاهر الجرجاني (بحث) : ١٢١.

[٤٢] المصدر نفسه : ١٢١.

من هذا الترابط للحصول على معانٍ ذات اثر نفسي على المتلقي على هذا النحو يكون من المعقول القول ((إنَّ النحو عند عبد القاهر الجرجاني ليس إذن بمسألة هامشية ولا هو بالدخيل المتطفل على الدراسة الأدبية ، فهو عمادها ، وهو مصدر عملية الصياغة الأدبية نفسها من حيث إنه لحمة التضافر الأدبي وسدى الصورة الفنية والقطب الذي يدور عليه الخلق والإبداع ، وإذا كان النظم استغلالا لإمكانات النحو معاني ووجوها وقوانين وأصولا ومناهج ورسوما ، وأحكاما وفروقا وكانت هذه الإمكانات "كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ، ونهاية لا تحد لها ازديادا بعدها"[43] أمكننا أن نتبين ما يتسم به النظم من طابع خلاق ، فهو – مثله مثل النحو– ذو طاقات إبداعية لا حصر لها ، فالنظم في حقيقة أمر نُظم متنوعة متجددة يكون فيها باب خلق التراكيب والأساليب وابتكارها مفتوحا أبدا))[44].

وبهذا يتضح جليا أنَّ إقامة عماد المستوى الثاني (النحو الوظيفي) من النحو العربي ، منفصلا عن المستوى الأول (النحو المعياري)؛ لأن مساحة الاشتغال للمستويين تكاملية لا ينفك احدهما عن الآخر: لكنهما يختلفان في الدلالة على المعنى والأثر الذي ينتظمه المعنى في نفس السامع "المتلقي" ، والغرض الأهم من هذا كله هو تأسيس قاعدة نقدية تستطيع التمييز بين كل النصوص الأدبية بغض النظر عن الجنس .

---

[43] دلائل الإعجاز : ٥٢٥

[44] النظرية السياقيّة للاستعارة وتمثّلاتها في كتابات عبد القاهر الجرجاني (بحث) : ١٧.

الخاتمة :

١ - أثبتت الدراسات المعاصرة أن جهود عبد القاهر النحوية ، كانت تجري باتجاه توضيح أنَّ النحو العربي ليس قواعد منطقية جامدة ، بل علاقات نظمية مرنة ، تسهم بشكل فاعل في إنتاج النصوص الإبداعية العالية الجودة.

٢- أثبتت الدراسات اللغوية المعاصرة ، أن تنظيرات عبد القاهر النحوية تصب في إطار مساهمة هذا العلم في الكشف عن الجوانب الإبداعية للنص الأدبي ، وذلك من خلال الكشف عن آليات تشكيل النصوص الأدبية .

٣- أثبتت الدراسات المعاصرة أن جهود عبد القاهر النحوية ، كانت من قبيل النظرة التوسعية للنحو ، بمعنى أن معالجاته لهذا الجانب قد تجاوزت الكثير من المسلمات التي قال بها من سبقه من العلماء في هذا الجانب ، إذ ربط البلاغة بالنحو .

٤- أكدت جهود عبد القاهر استثمار الإمكانات النحوية في تقييم الإعمال الإبداعية ، وفي الحكم على درجة جودتها.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

- بحوث بلاغية : الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب ، دار الفكر للنشر والتوزيع . ط١ ، ١٩٨٧م
- بنية العقل العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ، الدكتور محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط٦ ، بيروت ، ٢٠٠٠م.
- دلائل الإعجاز ، الشيخ عبد القاهر الجرجاني . تحقيق ، محمود محمد شاكر ، دار المدني بجدة ، ط٣ ، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا وتطبيقا ، الدكتور أحمد علي دهمان ، منشورات وزارة الثقافة- سوريا ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٠م.
- عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتنُّ في العربية ونحوها ، الدكتور البدراوي زهران ، دار العالم العربي ، ط١ ، ٢٠٠٩م.
- عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده ، الدكتور أحمد مطلوب ، وكالة المطبوعات - الكويت ، ط١ ، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني ، الدكتور محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ، ط١ ، ١٩٩٥م.
- المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية ، الدكتور عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة ، الكويت (لا.ط) ١٤٢٣هـ-٢٠٠١م.

- معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني ، محمد بركات أبو حمدي ، دار الفك – عمان– المملكة الأردنية ، ط١ ، ١٤٠٥هـ–١٩٨٤م.
- نظرية العلاقات أو النظم بين عبد القاهر والنقد الغربي الحديث ، الدكتور محمد أحمد نايل ، دار السنار ،١٤٠٩هـ–١٩٨٩م
- نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية (النحوية البلاغية) والبنيوية الوظيفية في النقد الأدبي.

ثانيا: البحوث والدراسات :

- معاني النحو ومعاني البلاغة في كتب عبد القاهر الجرجاني(بحث): احمد الجوة : ضمن وقائع ندوة عبد القاهر الجرجاني ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية : جامعة صفاقس ، تونس ، ١٩٩٨م.
- النحو والنظم عند عبد القاهر الجرجاني(بحث). محمد عمر الصماري ، صمن وقائع ندوة عبد القاهر الجرجاني ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة صفاقس تونس١٩٩٨م.
- النظرية السياقيّة للاستعارة وتمثّلاتها في كتابات عبد القاهر الجرجاني (بحث) : الدكتور يوسف أبو العدوس ، ضمن وقائع ندوة عبد القاهر الجرجاني ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة صفاقس تونس ١٩٩٨.

Grammatical Views of Abdul Qahir Aljerjani (471 or 474H)

Saad Jumaah Salih
College of Education for Humanitarian Sciences / University of Diyala

Abstract:

The contemporary critic researchers focused to reveal the theory of versification through reading the efforts of Abdul Qahir in it as rhetorical critical foundations. But according to the data of his two books "Asrar Albalaghah" (Secrets of Rhetoric) and "Dala'el Alie'jjaz" (Signs of Miracles) revealed that there are cognitive values that are related with this theory and the turnovers that came with it. This is positively reflected on the literary and critical scene by relying on the reporting function of language through linking rhetoric with grammar.

The paper also revealed the important role that grammar has in the elimination of the bilateral distinction between pronunciation and its meaning by the adoption of the sentence standard in distinction between a text and another.

Influence of Language! And Man-Made of Zuhair Bin Abi Salma in His Mualakat

Dr. Tariq Ameen Sajir Al-Rifaee
College of Arts / The Iraqi University

Abstract:

This paper analyzes Zuhair Bin Abi Salma's Mualakat, as he was considered as Imam of man-made in the pre-Islamic century. He seemed to be more man-made from his sons Kaa'b and Abi Tamam , in spite of that he was far away from cost in the made of poem, but Abu Tamam insisted on that. It mentions that there are types of eloquences that he used in the made of poem, and another type depended on language, that means it is a sharing between the poet and language in the made of an excellent text. At the end, many truths were mentioned that ensured criteria and methods for educated people in Pre-Islamic century in the made of poem for example: Mualakat, or when it was critiqued and showed figures of weakness and strength in it.

Communicating Prospects in the Art of the Message
-Modern Critical Approach-

Ishtar Dawood Mohammed
College of Education for Girls / University of Mosul

Abstract:

There is no doubt in the relying of the message art on the broad communicative dimension. which gives it international keys and access to globalization later. This requires communicative investigation, benefit from the data of the literary and cultural criticisms. as there is no harm from working together, depending on the opinion, that "cultural criticism is a branch of the general textual criticism, so it is one of the language sciences and linguistics fields. specialized on criticizing of the implied formats, involved in the cultural discourse in all its manifestations, patterns and formula, what is an informal. non-institutionalized. and the like. In terms of their respective roles in the collective cultural consumer calculation", its mission is not limited then to the range of literary texts of aesthetic nature, but

rather extends to include the cultural discourse in general. and the literary within. through monitoring implied cultural patterns. The art of message- in part of it- needs to address such cultural criticism, after the prevalence of messages of modern technologies, including the non – aesthetic dimensions. The monitoring of this message style reveals the implicit marginal coordination in the contemporary era.

However, the desire to have a comprehensive investigation, invited us not to depend only on the culturally implied patterns, the implicit and non-implicit, the aesthetic and non-aesthetic and the literary and non-literary as well, according to the communicative approach that combines both criticisms as two complementary directions. but are not the two contradictory approaches. through joint data communication investments for them. The approach begins with the literary criticism. and ends up with the cultural one. especially in the private section (systemic function) of them. There is justification to this pairing that would be felt at the beginning of speaking about the functions of language

Baghdad Population at the Period of Establishment / 145-169H (762-785)
-A Study in Demographic History-

Dr. Abid Ali Al-Khafaf
Dean of Al- Farabi Institute for Higher Studies / University of Kufa

Abstract:

This paper tried to estimate the size of population of Baghdad city at the period 145- 169H (762- 785). when Baghdad had been ruled by three Abasian Caliphs:

- Abu Jaafar Almansoor.
- Al Mahdi.
- Musa Alhadi.

From that time the site and situation of Baghdad was suitable for living of people.

We estimated the size of population at that period about 500,000 People. Functional structure of Baghdad was divided into 45% for residence, 30% for trade and services and 25% for administration and political uses.

Alserafi Grammatical Preferences in the Explanation of Sibawayh Book

Dr Mohammed Fadhil Salih Alsamaraee
College of Arts / University of Sharjah

Abstract:

It is known that Sibawayh book has received many explanations, since it is a summarized book in its term. and therefore many contemporary grammarians and those who came after him considered it a difficult book.

Sibawayh book is not a book for education characterized by easy phrase. but it is a book for scientists, so it came summarize. The reader needs to stand long at some ambiguous words to understand the intent of Sibawayh. That is why the book needs to simplify and clarify its phrases and removes the uncertainty that shrouded it. Hence, the book has numerous explanations. some explaining the subject of the book and others its quotations

One of the most prominent and largest of these annotations: (Explanation of Alserafi), as he elaborated in addressing in details the subject of the book and tried to simplify and bring near the meanings into the minds of students.

One of the images of elaboration is that his book contained many controversial issues. Alserafi presents the grammarians views and controversies, simplifies their evidence and see which is right, or leave it without tipping if the views are equally divided in his opinion.

This paper is a study of the grammatical preferences of Alserafi. It displays different images and types of his preferences, then grammatical controversial issues which Alserafi has opinions about, some of which are wrong with attribution; other is irregular view and some are preferences in interpretation of a grammatical rule.

It showed the most important bases adopted by Alserafi in his preferences: hearing, measurement and meaning.

In the conclusion, the paper showed the most important findings.

Problematiques of Translation of Koran into English by Non Arab Muslims

Waleed Khalid Ahmed

Abstract:

This research deals with criticizing translations of the Koran meanings and interpretations made by non Arab Muslims and the statement of the right and wrong in it.

Awjila Oasis and Its Economic Role in Desert Trade during the Islamic Era

Dr. Suaad Jawad Hassan
College of Education / University of Maysan

Abstract:

Desert oases constitute prominent places and great importance in the global economy trade over the centuries because of its great role in desert trade. Awjila oasis (which is called by Ibin Hawqal El-Nasabi "Awjila Island") is one of those oases that have had a role in the desert trade because of its strategic location mediating the main trade routes between the countries from all sides, that matter made it a break station on the trade routes of convoys desert that came from the east and west, or vice versa since ancient times, i.e. between Egypt and neighboring countries to the east, and Maghrib countries and its environs to the west, and between Sudan in the south and north Mediterranean countries to the north.

The research states the importance of the location of Awjila Oasis based on the reported Islamic Arab and

foreign sources, and what presented by historians in the past and present about its inhabitants, their language and their business relationships with other oases and its neighboring countries to the east, west, north and south focusing on its important role in the Islamic era.

The Great Lexicon and Its Impact on The Evolution of The Arabic Language

Dr. Mohammed Salih Yaseen Aljuboori
College of Education for Humanitarian Sciences / University of Diyala

Abstract:

This research is based on the study of (The Great Lexicon and its Impact on the Evolution of the Arabic Language). It included the concept of the lexicon, lexical authoring and the resources of the great lexicon. then reviewed the importance and functions of the great lexicon on the evolution of language. It reported analytical models of the great lexicon that included semantic development in words and formulas, morphological and obstetrics and its relationship to sound and the significance of sound in the great lexicon. It moved then to the impact of the great lexicon in developing language and its relationship to linguistic and non linguistic science.

This study depended on linguistic dictionaries, books of ancient scientists, modern studies, recites from the Quran and Hadiths and poetic divans of different ages.

The study ends up by mentioning the most important findings.

The Climate Changes and its Consequences

Prof. Dr. Dakhil Hassan Jerew
Member of the Iraqi Academy of Science

Abstract:

The climate changes caused by the emission of greenhouse gases, namely Carbon dioxide. Nitrogen dioxide and Methane. (which result in global warming and increase of the temperature of the earth surface), increasingly endanger the entire environment. Some countries will suffer from the rise of sea water level which causes floods, hurricanes, and earthquakes, other countries will suffer from drought because of the decline of rainfall. Thus it is very important that all countries should join efforts to decrease the level of the emission of greenhouse gases which is the main cause of the climate changes.

This paper examines the main consequences of the climate changes on the environment in the world in general, and in the Arab countries in particular.

"Explanation of Alkafiyah Albadeiyah"

Prof. Dr. Ahmed Matloub
President of the Iraqi Academy of Sciences

Abstract:

Islam was not only a doctrine and law, but also a spirit that elevated Man to the highest in the universe of high values and great meanings. The light of skies was seeking between his eyes, and the insured believer's heart and the self satisfied spirit.

The result of this was loving of this religion and believing by who was sent by the Almighty God to the worlds as promising and portent. And his gifts were characterized in poetry that warbles praising the greatest Prophet. The prophetical praises increased and the poets sang about the virtues of the chosen Prophet. So Albadeiyat appeared which is a type of the praises filled with Albadee' colors.

Saffi Eddeen Alhilli was one of the famous poets of Albadeiyat he wrote a poem praising the Prophet, and explained it in his book" Explanation of Alkafiyah

Albadeiyah" which has abounded manuscripts and editions. In 1898 a bulletin appeared (The Scientific Printing Press "Almatba'a Alelmiyah"), and in 1983 a new bulletin appeared of Dr. Naseeb Nishawee, followed by another edition in 2004 by Dr. Rasheed Abdul Rahman Alobeidi, both took a way of the origins of authentication, they were the best gift to believers of Allah and His Messenger - the best prayers and peace be upon him –.

This paper sheds light on the efforts of authenticators, showing the importance of Saffi Eddeen's book for its ability to manipulate poetry to express the highest meanings and the virtues of the greatest Prophet, mentions the badee'e type in each line (which is not easy) but Saffi Eddeen was a prominent poet who was characterized in accurate versification and magnificence of imaging.

Journal Of the ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

E-mail: iraqacademy@yahoo.com

journalacademy@yahoo.com

Annual Subscription : In Iraq (20000) I.D.

Outside Iraq (100 Dollars)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٩٧٦ لسنة ٢٠١٤م



Journal
Of the
ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal – Established on 1369H- 1950

No.3

Vo3. 61

1435H - 2014